

ومع ذلك فالأموات أحياء

Hans-Jörg Ronsdorf



خلود النفس

Hans-Jörg Ronsdorf

ومع ذلك فالأموات أحياء

خلود النفس

Christliche Literatur-Verbreitung

صندوق البريد 33661 • 35 01 11 Bielefeld

الترجمة المستخدمة: Überarbeitete Elberfelder (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)، 1999، CSV، Hückeswagen

الطبعة الأولى 1992

الطبعة الثانية 1994

الطبعة الثالثة المنقّحة والمزينة 2004

© 1992 by

CLV • Christliche Literatur-Verbreitung

صندوق البريد 110135 • 33661 Bielefeld

CLV على الإنترنت: www.clv.de

التنضيد: CLV

الغلاف: ديتر أوتن (Dieter Otten)، غومرسباخ (Gummersbach)

الطباعة والتجليد: Ebner & Spiegel، أولم (Ulm)

ISBN 3-89397-227-7

فهرس المحتويات

تمهيد

12	1 مقدمة
13	1.1 أهمية الموضوع ومداه
14	1.2 الدافع والتحدي
15	1.3 بنية الكتاب وتقسيمه
15	1.4 ترتيب الأحداث المستقبلية - التقويم النبوي
17	1.5 إعلان الكتاب المقدس في العهد القديم والعهد الجديد
18	1.5.1 إعلان العهد الجديد
19	1.5.2 إعلان العهد القديم
20	1.5.3 نور في العهد القديم أيضًا
22	1.6 أصل الموت وأثره
24	1.7 ماذا يحدث عند الموت؟
24	1.7.1 روح الإنسان والموت
25	1.7.2 النفس عند الموت
26	1.7.3 الروح والنفس
27	1.8 جوانب مختلفة للموت
27	1.9 الانتصار على الموت
27	1.9.1 الموت والخطية
30	1.9.2 الموت وإبليس
32	2 ماذا يأتي بعد الموت؟
32	2.1 لعازر والغني
33	2.1.1 هل يدور الأمر هنا حول الحياة بعد الموت؟
34	2.1.2 مغزى القصة
34	2.1.3 مثل؟
35	2.1.4 قبل الموت
36	2.1.5 تصور اليهود للعالم الآخر
37	2.1.6 حضن إبراهيم
37	2.1.7 كيف ذهب لعازر إلى حضن إبراهيم؟
38	2.1.8 الهاديس
41	2.1.9 الهاديس في لوقا 16

43	 2.1.10 الشبول
44	 2.1.11 رفع العينين
45	 2.1.12 من بعيد
46	 2.1.13 الهوة العظيمة
47	 2.2 إله الأحياء
	 2.2.1 الصدوقيون
49	 2.2.2 موسى وإيليا على جبل التجليّ
50	 2.2.3 العلاقة بين الحياة بعد الموت والقيامة
51	 2.2.4 صورة حياة الخنطة
52	 2.3 المجرم على الصليب
53	 2.3.1 الفردوس
53	 2.3.2 الفردوس في التقليد اليهودي
55	 2.3.3 الفردوس في العهد الجديد
57	 2.3.4 هل يمكن تفسير لوقا 23: 43 تفسيراً آخر؟
59	 2.4 مجد أبدي - رجاء في مواجهة الموت
61	 2.4.1 الإنسان الخارج
62	 2.4.2 الإنسان الداخل
63	 2.4.3 بيت الخيمة الأرضي
64	 2.4.4 اللباس
67	 2.4.5 الغربة والوطن
69	 2.4.6 تفسيرات أخرى
71	 2.5 الموت ربّح
74	 2.5.1 تفسيرات أخرى
74	 2.5.1.1 هل هو مجيء المسيح ثانية؟
74	 2.5.1.2 الانطلاق
75	 2.5.1.3 نوم النفس؟
75	 2.5.1.4 حق لبوس وحده؟
75	 2.5.2 أن نلقاه!
76	 2.6 الراقدون
77	 2.6.1 هل الراقدون في نوم للنفس؟
78	 2.6.2 إلام يشير الرقاد؟
78	 2.6.3 مثال موت استفانوس
79	 2.6.4 الراقدون عند الاختطاف

80	2.6.5 الراقدون قبل الاختطاف
81	2.6.6 الخلاصة
81	2.7 المسيح - سيد على الأحياء والأموات
85	2.8 النفوس تحت المذبح
85	2.8.1 نفوس الشهداء
87	2.8.2 تحت المذبح
89	2.8.3 في أي زمن يقع هذا الحدث؟
89	2.8.4 المطالبة بالانتقام
90	2.9 الحياة الأبدية
91	2.9.1 ما هي الحياة الأبدية؟
92	2.9.2 الحياة الأبدية والخلود
93	2.9.3 كيف يستطيع إنسان أن ينال حياة الله؟
93	2.9.4 كيف يملك المؤمنون الحياة الأبدية؟
94	2.9.5 الحياة الأبدية والموت
95	2.9.6 المؤمنون الذين ماتوا
95	2.9.7 المؤمنون الأحياء
96	2.9.8 الشكل المستقبلي للحياة الأبدية
97	2.9.9 الروح القدس
98	2.9.10 الخلاصة
98	2.10 الأرواح التي في السجن
99	2.10.1 قصد بطرس
99	2.10.2 تفسيري للنص
101	2.10.3 مُمَاتًا في الجسد - ولكن مُحْيًى في الروح
102	2.10.4 الكرازة للأرواح التي في السجن
102	2.10.5 مضمون الكرازة
103	2.10.6 نفوس وأرواح
104	2.10.7 هل الأرواح ملائكة ساقطون؟
105	2.10.8 أرواح - بشر ماتوا
106	2.10.9 السجن
107	2.10.10 تحرير مؤمني العهد القديم من الشيول؟
108	2.10.11 نزول يسوع إلى الجحيم؟
109	2.10.12 الخلاصة
110	2.11 اختبارات الاحتضار وتجارب الاقتراب من الموت

111	2.11.1 ما مدى صحة هذه الروايات؟
112	2.11.2 اختبارات الاحتضار في الكتاب المقدس؟
114	2.11.3 الرسولان بولس ويوحنا
115	2.11.4 اختبارات الاحتضار - السماء وجهم
116	2.11.5 غواية الظلمة
117	2.11.6 مستحضرو الأرواح رجس عند الرب
118	2.11.7 شاول وصموئيل
118	2.11.8 الغواية المضادة للمسيح في آخر الزمان
	2.11.9 الخلاصة
122	3 صورة الإنسان في الكتاب المقدس
123	3.1 مِمَّ يَتَكَوَّنُ الإنسان؟
125	3.2 روح الإنسان
125	3.2.1 نسمة الحياة
126	3.2.2 الروح الذي من الله وروح الإنسان
128	3.2.3 ملخص
128	3.3 نفس الإنسان
131	3.3.1 ملخص
131	3.4 جسد الإنسان
133	3.5 الخلاصة
134	4 خلود النفس
135	4.1 الحياة الأبدية وخلود النفس
136	4.2 الخلود في العهد الجديد
137	4.3 بين الموت والقيامة
138	4.3.1 وعي النفس بدون الجسد
138	4.3.2 هل لا تزال النفس بحاجة إلى جسد؟
139	4.4 الخلود في الكتاب المقدس وفي الفلسفة اليونانية
140	4.4.1 الثنائية
140	4.4.2 القيامة
141	4.4.3 خلود النفس ليس الحالة النهائية
141	4.4.4 الشخصية
142	4.5 الخلاصة
143	4.6 أهمية هذا الحق
144	5 مستقبل الأموات

144	5.1 القيامة
146	5.1.1 القيامة في العهد القديم
147	5.1.2 قيامة الحياة
149	5.1.3 الجسد في القيامة
151	5.1.4 توقيت القيامة
154	5.1.5 القيامة للدينونة
157	6 الإنسان في الأبدية
158	6.1 المؤمنون في الأبدية
159	6.2 غير المؤمنين في الأبدية
160	6.2.1 جهنم (جَهَنَّا Gehenna)
162	6.2.2 بحيرة النار
163	6.2.3 الموت الثاني
164	6.3 كم تدوم العقوبة؟
165	6.3.1 «الأبدية» و«أبدي» في العهد الجديد
167	6.3.2 «الهلاك»
168	6.3.3 ملخص
169	6.3.4 برّ الله وقداسته
171	6.3.5 صليب الجلجثة
174	7 ملحق
174	7.1 ماذا يعلم الكتاب المقدس عن الشيول والهاديس؟
179	7.2 جدول بالمصطلحات المختلفة
182	8 قائمة المراجع
188	الحواشي

تمهيد للطبعة الأولى

لم يكن تناول هذا الموضوع الصعب والمعقد مهمة سهلة. لذلك فإن ما بين يدي القارئ الآن ليس معالجة شاملة لهذا الموضوع، كما يتضح بسهولة من قائمة المراجع التي تظهر كثرة الكتب التي تناوله.

وما كان لهذا الكتاب أن يخرج بهذه الصورة لولا مشاركة صديقي ماتياس بيل (Matthias Piel)، الذي أعبر له هنا عن شكري الخاص. وأشكر أيضاً مارتن هايد (Martin Heide) على مساعدته. وأخيراً وليس آخراً أشكر زوجتي، التي اضطرت أن تستغني عني ساعات كثيرة، ومع ذلك لم تكف عن تشجيعي على إتمام هذا العمل. ليبارك الإله الأمين هذا الكتاب لمجده! وأنا شاكر لكل قارئ يقدم نقداً مبنياً على الكتاب المقدس.

Hans-Jörg Ronsdorf

تمهيد للطبعة الثالثة

هذا الكتاب لم يُكتب للاهوتيين. فلهم مؤلفات تعالج هذه المسألة بتوسّع وعمق أكبر. أما غايي - ولا سيما حين يلاحظ المرء كم يحتاج فهم الكتاب المقدس إلى تحسين حتى في الكائس الأمانة للكتاب المقدس - فهي أن أضع بين يدي المؤمن كتاباً يعرفه بهذه الحقائق بطريقة بسيطة ومفهومة.

في بعض المواضع يُستشهد باللغة الأصلية. لكنني مقتنع اقتناعاً عميقاً بأن ترجمة جيدة تكفي لفهم صحيح للمسائل التي يتناولها هذا الكتاب.

عنوان الكتاب «خلود النفس» استفزازي لبعض المسيحيين، ولهذا أحياناً سبب وجيه. غير أنني أريد أن أحاول فحص مضمونه في ضوء الحق الكتابي، وأصل إلى نتيجة أن له ما يسوغه تماماً، بشرط أن نفهمه ونستخدمه فهماً واستخداماً كتابيين.

وصلتني رسائل كثيرة جداً بعد صدور الطبعتين الأولى والثانية. كان فيها تأييد كثير، ولكن رفض بالقدر نفسه. وقد أدرجت نقاطاً كثيرة في هذه الطبعة، ومنها أيضاً تصحيحات أجريتها في بعض المواضع. وأنا شاكر على هذه الملاحظات. فعرفتنا جرئية.

وبما أنني أعالج في هذا الكتاب معالجة منهجية جميع المقاطع الكتابية ذات الصلة بالموضوع (كما أرجو)، فيمكن اعتباره أيضاً مرجعاً. ولذلك يحدث بالضرورة تكرار أكثر من مرة، لأن كل فصل يمكن أن يُقرأ وحده.

وفي هذه الطبعة أيضاً، التي صارت مراجعة كاملة مع إضافات كثيرة، أنا ممتنّ جداً للمشاركة والدعم، ولا سيما من فيرنر ميونخر (Werner Muecher)، غومرسباخ، ومن فولفغانغ كلوكنر (Wolfgang Klöckner)، أوبرغونتسبورغ / ألغوي (Obergünzburg) (Allgäu /)، الذي أضاف أسئلة التعمق. لقد ساعدا على أن تصبح الأفكار أوضح وأسهل فهماً.

وفي إطار عمل كهذا ألاحظ أيضاً كم ينفعني اليوم الأساس الروحي الذي وُضع في شبابي. لذلك أنا شاكر أيضاً لأولئك الذين بذلوا الجهد في وضع هذا الأساس.

صلاقي أن ينتفع كثيرون من أولاد الله بهذا الكتاب، وأن يكتسبوا نظرة أوضح إلى عظمة الرب يسوع المسيح في انتصاره على الموت، وإلى البركة التي نتجت لنا عن ذلك.

Hans-Jörg Ronsdorf، كمبتن في ألغوي (Kempten im Allgäu)، ديسمبر/ كانون الأول 2003

1 مقدمة

هل يوجد حقًا وجود، أي استمرار للحياة بعد الموت؟ وإن كان الأمر كذلك، فكيف علينا أن نتصور هذا الوجود؟ هكذا أو على نحو مشابه تُطرح الأسئلة مرارًا وتكرارًا. لقد وضع الله الأبدية في قلب الإنسان، وهذا يجعله يستشعر أن الموت ليس النهاية:

«صنع الكل حسنًا في وقته، وأيضًا جعل الأبدية في قلوبهم، التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعملهُ الله من البداية إلى النهاية» (الجامعة 3: 11).

وإن لم تكن هذه الكلمة تعني في حدّ ذاتها أن القلب - وهو في الكتاب المقدس أعمق ما في الإنسان وجوهه - مهيأً نحو الأبدية، فهي تقول على الأقل إن الإنسان يشعر - كما تؤكد جميع الديانات العالمية والقبلية، القديمة منها والحديثة - بأن هناك شيئًا يتجاوز أفق معرفتنا، أي حياة بعد هذه الحياة. فالخالق نفسه منح الإنسان الوعي بسموه هو فوق الزمن.¹

لكن في النفس نفسه تذكر كلمة الجامعة هذه حدود المعرفة. فعن الموت والمستقبل لا توجد **تحت الشمس** معرفة. و«**تحت الشمس**» عند الجامعة هي نظرة إلى العالم من زاوية الإنسان الذي لا يعرف إعلان الله. والشكر لله أن بين أيدينا إعلان الله من خلال الكتاب المقدس. إنه آتٍ من الإله الذي هو فوق الشمس، إن أردنا أن نكمل بلغة الجامعة.

يحاول الناس بكل ما يتوفر من فروع العلم والعلم الزائف أن يحلّوا هذه المسألة الأخيرة. ومع أن حدود المعرفة لا يمكن إزالتها، تقدم حلول تفسّر الموت وما يأتي بعده بطريقة - من منظور الكتاب المقدس - مضلّة ومهلكة! فبعضهم يقول إن الموت هو لجميع الناس العبور إلى الفردوس. وآخرون يزعمون أنه لا يأتي بعد الموت شيء على الإطلاق. أو يرى بعضهم أنه بعد وجود محدود زمنيًا تأتي النهاية النهائية للبعض، والحياة الأبدية للآخرين.

هذه التفسيرات مهلكة، لأنها تقود إلى الضلال ولا تفهم الموت على حقيقته: أجرة الخطية (رومية 6: 23) والانفصال عن الله.

1. ولا يغيّر من ذلك شيئًا أن هذا الوعي كثيرًا ما يكون متفاوتًا جدًا في درجته، وأن كثيرين ينكرون الحياة بعد الموت.

فإذا لدينا نحن المسيحيين أن نقول في ذلك؟ هل نبنى نظرتنا في هذه المسألة على كلمة الله، وهل نحن مستعدون وقادرون أن نعطي جواباً عن الرجاء (1 بطرس 3: 15)² الذي في قلوبنا؟

لسنا بحاجة إلى أن نختبئ، بل لا يجوز لنا ذلك، لأنه مع كل محاولات تفسير الموت من حولنا سيتضح دائماً أن النظرة الكاثية إلى الموت وما بعده، ومن ثم إلى مستقبل الإنسان، فريدة. فلا يوجد في أي مكان آخر هذا الرجاء العظيم ولا مستقبل بهذا الجمال. غير أن هناك غايتين تقفان في نهاية طريق واسع وطريق ضيق (متى 7: 13، 14).

1.1 أهمية الموضوع ومداه

يتناول موضوع هذا الكتاب أسئلة تقع على حدود المعرفة البشرية في مجال الحياة والموت. ونحن نعتمد اعتماداً كاملاً على ما يقوله الله لنا في كلمته عن هذا الموضوع. ومع أن للكتاب المقدس ما هو جوهري ليقوله في هذه الأمور، فلا يجوز لنا أن نبالغ في التشديد على هذا الموضوع وأن نعطي قيمة لا يعطيه إياها الكتاب. فلا نزيد أن نقول فيه أكثر مما ينبغي، ولا أقل مما ينبغي. وحيث يصمت الكتاب نزيد نحن أيضاً أن نصمت! فالكتاب المقدس يتكلم كثيراً جداً عن المستقبل - أما عن الفترة بين الموت والقيامة فيتكلم قليلاً نسبياً، إذ لا يتعلق الأمر هنا إلا بمرحلة انتقالية تنتهي يوماً إلى الأبد.

للهولة الأولى لا يبدو أن للحياة بين الموت والقيامة صلة مباشرة بأساس الإيمان (مثل شخص يسوع المسيح وعمله، ووحى الكتاب المقدس). وقد لا يكون اقتناع أحدهم بأنه بعد الموت يغرق في نوم غير واعي حتى القيامة بدعة³. ولكن إذا استنتج من ذلك - وهذا ما نجده كثيراً - أن هذه الحالة غير الواعية أو انتهاء الوجود، كإفناء الأشرار مثلاً، موجودة في الأبدية أيضاً، فعندئذ تكون أسس الإيمان المسيحي قد تعرضت للهجوم.

وعندئذ تُمس أيضاً، كما سنرى، طبيعة الله ومحبه وقداسته وبره. ولعل بعض القراء يتعجبون من هذه العلاقة. ولكن الأمر يتعلق فعلاً بصلاحية عمل الفداء الذي عمله الرب يسوع المسيح وبناتجته.

2. رجاؤنا لا يخصص في حياة بعد الموت، فالفترة بين الموت والقيامة ليست «إلا» أمراً مؤقتاً، رجاؤنا ومستقبلنا هو الحياة الأبدية في القيامة.

3. أعد هذا الرأي تعليماً خاطئاً، قد لا يكون له في ذاته أثر كبير، غير أن الخطوة إلى البدعة، أي إلى تعليم يقود الناس إلى الضلال والهلاك (الثانية 27: 18، حزقيال 13: 10)، قريبة جداً، وقد خطاها غير قليلين.

وعند النظر الشامل في هذا الموضوع، أي مستقبل الإنسان، سنرى كيف تكتمل الدائرة. فالأمر يتعلق بأكثر من مجرد حياة بين الموت والقيامة.

1.2 الدافع والتحدي

قبل مدة واجهت وجهة نظر تنكر أن النفس تبقى بعد الموت. وهذا الاقتناع نجده لدى بدع وتعاليم ضالة مختلفة (ومنها السبتيون الأدفنتست⁴ وشهود يهوه⁵)، ومضمونه تقريباً ما يلي:

ليس للإنسان منذ ولادته نفس خالدة. فبسبب الخطية صار خاضعاً للفناء. ولا ينال الخلود إلا بالمسيح وحده. هذه هي الحياة الأبدية التي ينالها كل الذين يؤمنون بالمسيح. وبالتالي فإن كل الذين ليست لهم حياة في المسيح لن يحيا إلى الأبد، بل سيكفون يوماً عن الوجود، أي أنهم سيفنون في جهنم ويمحى وجودهم.

ولأن نفس الإنسان ليست خالدة بل فانية، فلا توجد أيضاً حياة بعد الموت. ففي الموت تموت النفس، ويذول الإنسان كله، وتنطفئ كل وظيفة - حتى ما كان منها ذا طبيعة روحية أو نفسية. وفي صيغة من صيغ هذا الرأي تُسمى حالة «عدم الوجود» هذه أيضاً نوم النفس، ما دام الأمر يتعلق بالحالة بعد الموت وقبل القيامة. وفي أثناء نوم النفس هذا لا يوجد وعي⁶.

في هذا الرأي يُنظر إلى الإنسان كوحدة لا تنفصل. فإما أن يكون الإنسان حياً (في الجسد)، وإما أن يكون ميتاً. ولا توجد بين هذين الشككين من الوجود حالة وسيطة. والإنسان، الذي خلق كوحدة، لن يستعيد الوعي إلا في القيامة. ففي هذا الرأي لا توجد نفس ولا روح بدون الجسد أو خارجه.

لا يهتمّ هنا الدخول في جدال مع النظرة الإلحادية والمادية إلى الموت وخلود النفس. بل يهتمّ بالأحرى أن أواجه رأياً يُدافع عنه انطلاقاً من الكتاب المقدس.

4. مثلاً: Tobler, G., Wann beginnt das ewige Leben, (Advent-Verlag, Zürich). Tomasi, M., Tod und: 4 Auferstehung, Himmel und Hölle, (Advent Verlag, Zürich). 77 Fragen an die Gemeinschaft der Siebenten-Tagen-Adventisten, (Union Verlag Berlin), 1988.

5. لا شك أنه ينبغي النظر إلى هاتين البدعتين نظرة مميزة، غير أنه لا توجد بينهما في هذه النقطة فروق جوهرية، فكلتاها تمادي بتعليم خاطئ.

6. يعرف هذا الرأي بمصطلح «المشروطة» (Konditionalismus)، وإن كان أقل شيوعاً في البلدان الناطقة بالألمانية. والمصطلح (من اللاتينية conditio، أي الشرط) يعنى أن خلود الإنسان متوقف على شرط: هل له حياة في المسيح أم لا.

غير أن هذا الكتاب ليس موجَّهًا فقط إلى من يتعاملون مع المشكلة الخاصة بالمشروطة (الخلود المشروط) أو بنوم النفس، بل إلى كل من يريد أيضًا أن يتناول هذا الموضوع تناوُلًا أساسيًا.

1.3 بنية الكتاب وتقسيمه

أولاً من الضروري الوصول إلى تقييم متوازن لأقوال الكتاب المقدس المتعلقة بموضوعنا: كيف كان الأنبياء في العهد القديم والرسل في العهد الجديد يفكرون في أمور العالم الآخر؟ ثم يأتي فحص الموت من جهة أصله وطريقة عمله. وسيُولى بعد ذلك اهتمام خاص لاتتصار ربنا يسوع المسيح على الموت.

وبعد هذا العمل التمهيدي سأتناول ما يأتي مباشرة بعد الموت. وفي ذلك أستعين بجميع المقاطع الأساسية في العهد الجديد التي تقول شيئاً عن ذلك. وهذه النصوص هي أهم جزء للموضوع الفعلي، لأن الفترة بين الموت والقيامة يتناولها فيها كُتَّاب مختلفون تناوُلًا مباشرًا. فأحد الكُتَّاب يلمس الموضوع لمساً فقط، وآخر يتناوله بالتحديد. ولا يمكن الحديث عن قلة في المقاطع الكتابية.

وهذا بدوره يتأخّم السؤال: ما هو الإنسان؟ والأمر يتعلق هنا بخاصة بطبيعة النفس وخلودها. وهناك أيضًا يكمن جذر الآراء التي تقوم عليها المشروطة. وبما أن الحالة الوسيطة بعد الموت محدودة زمنياً فقط، فإننا نصل بعد ذلك إلى الحدث العظيم الذي ينهي هذه الحالة: القيامة. وفي فصل آخر سأتناول الحالة الأبدية، وسأفحص على نحو خاص مصير الأشرار. فالسؤال يطرح مراراً وتكراراً: هل يمكن حقاً - في ضوء محبة الله - أن توجد جهنم أبدية؟

1.4 ترتيب الأحداث المستقبلية - التقويم النبوي

أيّاً كان الكتاب الذي يقرؤه المرء عن هذا الموضوع، فإن وراء كل الكتب رأياً معيناً في علم الأخرويات، أي التعليم عن الأحداث المستقبلية. وهذا الكتاب أيضًا ليس مختلفاً. وأريد أن أوضح مسبقاً اقتناعي بشأن ترتيب الأحداث النبوية وما تتركّز عليه، لأمكن القارئ بذلك من فهم أفضل للعلاقات بينها. وأعرض اقتناعي بكلمات قليلة ومن دون تحليل إضافي في هذا الموضوع.⁷

أؤمن بأن جميع المسيحيين، جميع أولاد الله، سيُختطفون قريباً جداً إلى يسوع المسيح في السماء. وعندئذ سيقوم جميع المؤمنين الذين ماتوا حتى ذلك الحين ويُختطفون مع الأحياء. ثم يأتي زمن دينونات عظيمة، يظهر فيه ضد المسيح ويضلّ كثيرين من الناس. وسيكون محور تاريخ الخلاص الإلهي حينئذ قبل كل شيء أرض إسرائيل وشعبه. وسيتمم الله يهوه كل المواعيد التي أعطاها لشعبه القديم إسرائيل. ثم يظهر المسيح (بالعبرية **ماشيح**) لدينونة الأحياء ويؤسس ملكوته. فليس المسيحيون من سيننون مملكة القوة والمجد هذه، بل المسيح، حين يأتي لملك. وبعد هذا الملكوت سيكون هناك مرة أخرى ضلال عظيم من قِبَل الشيطان. وعندئذ فقط تأتي الدينونة الأخيرة لجميع البشر، التي تُسمى عموماً «اليوم الأخير». ثم تخلّ الأرض والسماء وتُخلقان من جديد.

غير أن الفهم المختلف للتسلسل الزمني النبوي لا يعني بالضرورة أن يصل المرء إلى استنتاجات مختلفة في كل النقاط التي تخص موضوعنا. فهناك مثلاً في موضوع القيامة توافق كبير على كفيّتها وطبيعتها، ولكن ليس على توقيتها، ولا على ما إذا كانت ستكون قيامة واحدة أو قيامات عدة.

يعرض الرسم البياني المجاور ترتيب القيامات والدينونات. وأرجو من القارئ أن يرجع إلى المقاطع الكتابية المذكورة.

- جهنم¹¹ . سماء جديدة وأرض جديدة¹⁰ . بيت الآب¹²
- الحالة الأبدية⁹
- □ دينونة الأموات أمام العرش العظيم الأبيض في نهاية الدهر⁸
- ▲ قيامة جميع الأشرار للدينونة بعد الملك الألفي أمام العرش العظيم الأبيض⁷
- ▲ القيامة الأولى المرحلة ب⁵ شهداء من الضيقة
- □ ظهور المسيح لدينونة الأحياء في بداية الملك الألفي على الأرض⁶
- □ كرسي المسيح للمؤمنين الممجدين في السماء⁴
- ▲ القيامة الأولى المرحلة أ² اختطاف الكنيسة إلى السماء³

7. نجد عرضاً مفصلاً لوجهات النظر المختلفة في جملة مراجع منها مقدمة التفسير على سفر الرؤيا: W.J. Ouweeneel, Das Buch der Offenbarung, Bielefeld (CLV) 1995 و J.D. Pentecost, Bibel und Zukunft, Dillenburg (CVD) 1993.

• موت يسوع المسيح وقيامته¹

□ = دينونة : = زمن • ▲ = قيامة

¹ 1 كورنثوس 15: 23-1؛ أعمال الرسل 17: 31؛ ² + ³ 1 تسالونيكي 4: 13-17؛ 1 كورنثوس 15: 51-54؛ ⁴ 2 كورنثوس 5: 10؛ 1 كورنثوس 3: 13-15؛ 4: 4 و5؛ ⁵ رؤيا 20: 4-6؛ ⁶ متى 25: 31-46؛ ⁷ رؤيا 20: 5؛ يوحنا 5: 29؛ أيوب 14: 10-12؛ ⁸ رؤيا 20: 11-15؛ 1 كورنثوس 15: 24؛ ⁹ 2 بطرس 3: 13؛ 1 كورنثوس 15: 24؛ ¹⁰ رؤيا 21: 1-8؛ ¹¹ متى 18: 8؛ يهوذا 7، 13؛ رؤيا 14: 11؛ 20: 10؛ ¹² يوحنا 14: 2-3؛ 17: 24؛ 1 تسالونيكي 4: 17

1.5 إعلان الكتاب المقدس في العهد القديم والعهد الجديد

إذا فحص المرء الكتاب المقدس كله بحثاً عن الجواب على السؤال: كيف تكون حالة الإنسان بعد الموت وفي الأبدية، تلفت النظر فروق كبيرة بين العهد القديم والعهد الجديد. والفرق الجوهرى يكمن في درجة الإعلان، أي في المقدار الذي تكلم به الله عن هذه الأمور في العهد القديم من جهة وفي العهد الجديد من جهة أخرى. فالعهد الجديد وحده يجيب إجابة شاملة ونهائية عن سؤال العالم الآخر وخلود الإنسان.

وهذا لا يعني أن المرء يجد في العهد القديم قليلاً عن هذا الموضوع. كلا، بل في العهد القديم أقوال عن الموت والشيول أكثر مما في العهد الجديد. لكن أقوال الناس في العهد القديم كثيراً ما يطبعها عدم اليقين والجهل بالموت، والشكوك أيضاً، بل والخوف كذلك. والسبب أن هؤلاء الناس لم يعلن لهم إلا القليل جداً عن الحياة بعد الموت، ولم يكن لهم يقين السلام مع الله والفداء الأبدي.

أما لدى مؤمني العهد الجديد فنجد موقفاً مختلفاً تماماً. فالموت لم يعد لهم ما كان عليه لكثيرين من مؤمني العهد القديم. فلم يعد لديهم عدم اليقين هذا ولا الجهل، ولا الشك ولا الخوف. ويكفي أن نقارن أقوال أيوب بأقوال الرسول بولس.

قال أيوب: «قبل أن أذهب ولا أعود. إلى أرض ظلمة وظل الموت، أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب، وإشراقها كالديجى» (أيوب 10: 21).⁸

أما بولس فاستطاع أن يقول: «... أم العالم أم الحياة أم الموت أم الأشياء الحاضرة أم المستقبل، كل شيء لكم» (1 كورنثوس 3: 22).⁹

بقِيامة يسوع المسيح تغيّر موقف المؤمنين من الموت تغيّراً جذرياً. فالمسيحيون يعرفون الانتصار على الموت والمنتصر عليه. وهذا الانتصار لا يظهر في القيامة فقط، بل في الحالة التي تلي الموت مباشرة أيضاً.

1.5.1 إعلان العهد الجديد

لماذا يعلن لنا العهد الجديد أكثر عن العالم الآخر؟ لأن الموت هُزم وأُبطل بموت يسوع المسيح وقيامته، وبذلك حدث تحوّل جذري يغيّر كل شيء بمدهاء. وهذا التحوّل هو رسالة الإنجيل:

«الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مُخلصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأثار الحياة والخلود [أو: عدم الفساد] بواسطة الإنجيل» (2 تيموثاوس 1: 9، 10).

وعبر لوقا عن ذلك تعبيراً مشابهاً في سفر أعمال الرسل:

«إن يؤلم المسيح، يكن هو أول قيامة الأموات، مُزمعاً أن يُنادي بنور للشعب وللأمم» (26: 23).

كان كتاب العهد القديم يبحثون عن الوضوح في الأمور التي لم يكن ممكناً أن تأتي إلا نتيجةً لعمل يسوع المسيح. فبالنسبة إليهم لم يكن الموت - على الأقل من الناحية الذاتية - قد أُبطل بعد بعمل المسيح.¹⁰ لقد نظروا إلى الموت قبل أن تثار الحياة وعدم الفساد. ولم تكن المسألة مسألة إعلان فحسب، فقد كان أمراً يسيراً على الله أن يرفع الستار. بل كانت المسألة إعلان هذه الأمور في ارتباطها بموت يسوع وقيامته.

9. انظر أيضاً فيلبي 1: 23، 1 كورنثوس 15: 54-56، 2 كورنثوس 4: 7-5: 10.

10. ومع ذلك فإن جميع مؤمني العهد القديم ذهبوا بعد موتهم إلى الفردوس السماوي، كما سنرى لاحقاً. ولم يكن ذلك معروفاً لهم قبل موتهم، أي لم يكن معلناً.

كان الإعلان الكامل لأمر العالم الآخر ينبغي أن ينتظر مجيء ابن الله. وقبل ذلك لم يكن هناك إلا القليل من المواعيد أو الإعلانات عن أمور العالم الآخر، بخلاف ما نعرفه اليوم، بعد مجيء الرب يسوع، من خلال أسفار العهد الجديد (يوحنا 3: 11-13؛ أفسس 1: 3 وما بعده؛ فيلي 3: 20).

1.5.2 إعلان العهد القديم

نجد في العهد القديم كتاباً متنوعين جداً، ومن ثم أشكالاً نصية مختلفة¹¹. فهناك الأسفار التاريخية التي توثق طرق الله مع شعبه. ثم هناك الأسفار النبوية التي تكلم فيها الله بأنبيائه عن الحالة الأدبية لشعبه ولشعوب أخرى، وعن مستقبلها.

وإلى جانب ذلك هناك أيضاً الأسفار الشعرية مثل أيوب والمزامير والجامعة، التي تعبر بطريقة خاصة عن أفكار البشر ومشاعرهم وانفعالاتهم.¹² وفي الأسفار الثلاثة الأخيرة المذكورة نجد معظم الأقوال التي تهمن في إطار هذا الموضوع.

يحاول الجامعة أحياناً أن يفسر معنى الحياة والعالم من منظور أفقي بحث: فأفقته في ذلك لا يتجاوز ما يراه «تحت الشمس» (1: 3؛ 2: 11، 18، 22). وأحد أجوبته عن سؤال المعنى هو:

«لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة، وحادثة واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك، ونسمة واحدة لكل. فليس للإنسان مزية على البهيمة، لأن كليهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب، وإلى التراب يعود كلاهما. من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق؟ وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل، إلى الأرض؟» (الجامعة 3: 19-21).

يصل الجامعة إلى استنتاجات لا تصحّ إلا من منظور هذا العالم. لذلك لا يجوز أن يصير هذا السفر شاهداً رئيسياً على أمور العالم الآخر، فضلاً عن الأمور الأبدية. وفي المزامير نجد بعض الأقوال الشبيهة جداً بأقوال الجامعة (مثلاً المزامير 49: 12؛ 103: 15، 16). وهذه الأقوال أيضاً لا تعطينا التوضيح النهائي عن العالم الآخر.¹³

11. التاريخ، والشعر، والأمثال، إلخ.

12. حين أقول هنا إن هذه الأسفار تتضمن أفكاراً بشرية، فلأنها مع ذلك، مثل سائر أسفار الكتاب المقدس، موحى بها من الروح القدس ومدونة لنا بقصد إلهي.

13. للمزامير طابع آخر، فهي في معظمها ذات طبيعة نبوية. والمميز فيها أن هذه النبوات كثيراً جداً ما تعبر عنها في أفكار البشر.

إذا نظر المرء إلى العهد القديم بمعزل عن العهد الجديد، فقد يتكوّن لديه انطباع بأنه أمام تناقضات. لكن هذا الانطباع لا ينشأ إلا إذا نُسي أن أمور العالم الآخر لم تكن معلنة في زمن العهد القديم إلا جزئياً. والبرهنة التي تكون أقوال العهد القديم فيها أقوى الحجج لا يمكن أن تعرض الحق كله.

1.5.3 نور في العهد القديم أيضاً

لكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك أي نور على الإطلاق فيما يتعلق بموضوعنا. فحتى العهد القديم يعطينا إشارات كافية إلى أن كل شيء لا ينتهي بالموت.

- «انضمّ إلى قومه» (حرفياً: جُمع إلى شعبه).¹⁴ في العادة يعني «الجمع» أيضاً في استعمالنا اللغوي أن يجمع عدة أشخاص في مكان واحد في أمر يخص جميع الحاضرين. وإذا استعمل هذا التعبير أيضاً للموت، ففيه على الأقل تلميح إلى أن الأموات يُجمعون في مكان واحد أو في عالم الأموات - وهو في العهد القديم الشيول¹⁵. واللافت أن الدفن أو المواراة يُميّز عن «الانضمام» أو «الجمع».¹⁶ إذاً منذ بداية التاريخ توجد مفاهيم لها صلة بالعالم الآخر.

- العرافة في عين دور وروح صموئيل (1 صموئيل 28). كان من المسلّم به في إسرائيل أن مستحضي الأرواح يستطيعون أن يصعدوا روح ميت. وهذا يفترض أن روح الميت كان لا بد أن تكون موجودة بطريقة ما وفي مكان ما، أو على الأقل كان يُفترض أن أرواح الأموات هذه موجودة. وبصرف النظر عن ذلك فقد حرم الله، تحت طائلة أشد العقوبات، سؤال أرواح الأموات بواسطة مستحضي الأرواح السحريين.¹⁷

- نقل أخنوخ (التكوين 5: 24) وإيليا (2 الملوك 2). مع أن ما حدث لهذين الشخصين استثناء، فلنا أن نسأل: أين كان هذان الشخصان بعد صعودهما إلى السماء؟¹⁸ لقد ظهر إيليا وموسى - وقد مات موسى موتاً طبيعياً - كلاهما على جبل التجلي وتكلّما مع يسوع.¹⁹

14. التكوين 25: 8، 17؛ 35: 28، 29؛ انظر أيضاً التكوين 37: 35؛ القضاة 2: 10.

15. التكوين 37: 35؛ 42: 38؛ 44: 31؛ العدد 16: 30؛ 1 صموئيل 6: 2.

16. التكوين 35: 29؛ 2 الملوك 22: 20؛ 2 أخبار الأيام 28: 34؛ 28.

17. اللاويين 19: 31؛ 20: 6، 27؛ التثنية 18: 11.

18. قارن القسم 2.2.

19. متى، 17: 3؛ مرقس، 9: 4؛ لوقا، 9: 30.

- داود وطفله الميت (2 صموئيل 12: 23). قال داود: «والآن قد مات، فلماذا أصوم؟ هل أقدر أن أردّه بعد؟ أنا ذاهب إليه وأما هو فلا يرجع إلي».

إن شركة المؤمنين مع الله وثقتهم بالله لا تنقطع حتى في موتهم. وإلى جانب الأقوال التي يُعبر فيها عن الخوف من الموت، توجد أيضاً أقوال نجد فيها الثقة والسلام والترقب: المزامير 16: 9-11؛ 17: 6؛ 31: 5؛ 49: 14، 15؛ 73: 24-26؛ 116: 15.

وخلاصة القول نقرّ أن العهد القديم لا يعطينا معلومات عن العالم الآخر إلا إلى حدّ معين. فلو حاولنا أن نستخرج منه أقوالاً قاطعة عن الحياة بعد الموت، لأظلمنا النور الذي نجده في العهد الجديد عن ذلك. ولن نفهم أقوال العهد القديم فهماً صحيحاً إلا إذا فصلناها على أساس العهد الجديد وفسرناها في نوره. فالعهد الجديد هو دائماً مفتاح العهد القديم، لا العكس.

وما يُقال في الآية التالية عن الخلاص يمكن أن يصحّ بمعناه أيضاً على مستقبل الإنسان. فقد رأى الأنبياء وكتبوا أموراً كثيرة، لكن ذلك كان تفتيشاً وبحثاً، ولم تُعطَ لهم المعرفة الكاملة:

«... الخلاص الذي فُتس وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح، والأعجاد التي بعدها» (1 بطرس 1: 10، 11).

ويمكن توضيح العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد في هذه المسألة بمبدأ من القانون الأساسي الألماني، المادة 31: «القانون الاتحادي يعلو على قانون الولايات» (Bundesrecht bricht Landesrecht)، أي أن للقانون الاتحادي الأولوية حين يختلف مضمون المواد المتعلقة بالأمر نفسه.

أسئلة للتعمق

- لخّص ما أُعلن في العهد القديم عن «حياة بعد الموت»!
- ما الفرق في الإعلان بين العهد القديم والعهد الجديد؟
- لماذا لا يمكن الاستناد إلى العهد القديم أساساً للتعليم عن مستقبل الإنسان؟

1.6 أصل الموت وأثره

من يد الله الأزلي،²⁰ الذي وحده له عدم الموت،²¹ خرجت خليفة لم يكن ممكناً أن يكون فيها شيء أفضل ولا أجمل (التكوين 1: 31؛ الجامعة 3: 11). والإنسان، المخلوق على صورة الله وشبهه (التكوين 1: 26، 27؛ يعقوب 3: 9)، ومن ثم مركز الخليفة المنظورة، كان معيناً ليحيا في شركة مع خالقه. وكان يسكن في جنة رائعة، أنسب بيئة لتحقيق هذه الغاية. وفي وسط الجنة كانت شجرة الحياة (التكوين 2: 9، 16؛ 3: 22). كانت الحياة بقوتها وتنوعها هي ما يميز الخليفة. والحياة، ومن دون أي حد زمني، كانت أسمى ما أعطاه الله للإنسان. وكان يحق له أن يأكل في أي وقت من ثمر شجرة الحياة. فالإنسان كان منذ البداية مهياً لحياة لا نهاية لها. وهذا وحده كان يوافق طبيعة الله ومشيئته.

لذلك يكون أشدّ وقعاً التهديد بالموت إن خرج الإنسان بالعصيان من الاعتماد على خالقه ومن الشركة معه (التكوين 2: 17). ففي هذا المجال الذي تسري فيه الحياة كان التهديد بالموت أرهب إنذار يمكن أن يوجد. فالموت كان يعني للإنسان أنه يجب أن يترك الخليفة المنظورة له - أي نطاقها الأرضي - ومن ثم أيضاً الخالق الذي عرفه في داخل هذه الخليفة (المنظورة). من التراب جبل (التكوين 2: 7)، وإليه سيعود:

«بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض [حرفياً: إلى الأديم] التي أخذت منها. لأنك تراب، وإلى تراب تعود» (التكوين 3: 19).

الإنسان، المخلوق للحياة، سيفنى ويفقد حياته الأرضية، ويصير بلا قيمة كالتراب. فهل يمكن أن يكون التناقض أكبر من ذلك؟!

لقد اختار الإنسان، بإغواء الحية، أي إبليس، العصيان ومن ثم الموت (التكوين 3: 1-7). وفتحت الخطية للموت الباب ليبدأ عمله المرعب في هذه الخليفة (رومية 5: 12 وما بعده). الموت أجرة الخطية (رومية 6: 23). إنه العاقبة المرعبة للارتداد عن الله. هذا هو القول الأساسي للكاتب المقدس عن الموت. الخطية هي السبب، والموت هو النتيجة

20. «من قبل أن تولد الجبال، أو أبدأت الأرض والمسكونة، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (المزامير 90: 2). «... حسب أمر الإله الأزلي» (رومية 16: 26).

21. «الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد: ملك الملوك [حرفياً: ملك الذين هم ملوك] ورب الأرباب [حرفياً: رب الذين يسودون]، الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين» (1 تيوتافوس 6: 15، 16).

المحتومة. فبالخطية يخرج الإنسان من الاعتماد على الله، ويترك بذلك من له الحياة ويعطيها.²²

لذلك فالموت ليس نهاية طبيعية للحياة ولا نهاية رحيمة. فلا شيء صالح في الموت. الموت ينهي الحياة التي لا يريد الإنسان أن يتخلى عنها. إنه نهائي ولا رجعة فيه، ولا يمكن عكسه. واستحالة استرداد الإنسان من الموت (2 صموئيل 12: 23؛ 14: 14) هي المصير المرعب للإنسان الذي صار خاطئاً. وبهذه الآفاق القائمة يبدأ مسار التاريخ. فقد وقعت الخليقة كلها تحت حكم الموت والفناء. لكن هناك رجاء، لأن نسل المرأة سيسحق يوماً رأس الحية، وبذلك يفتح الطريق لتحرير الخليقة كلها (التكوين 3: 15):

«لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أخضعت الخليقة للبطل [أو: الفناء، الباطل] - ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها - على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتمنحض معاً إلى الآن» (رومية 8: 19-22).

لقد اقتحم الموت الخليقة كشيء مضاد للطبيعة، وذلك كعدو لا يقهره البشر، يعمل عمله بقسوة وبلا رحمة. وهكذا يشعر الإنسان بالموت في العادة. فالإنسان الذي يعيش بدون الله يعاني من خوف الموت، لأنه لا يعرف ما ينتظره، ولأن ضميره أيضاً يشتكي عليه، فيدينه ويثبت فيه الخوف من الله الحي (العبرانيين 2: 15).

بعد أن أخطأ آدم وحواء، ألبسهما الله أقصة من جلد (التكوين 3: 21) ليستر عريهما. وللمرة الأولى واجها الموت. فقد كان على حيوان أن يموت لصنع هذا اللباس. وكان الأمر أروع بكثير عليهما حين نظرا إلى ابنيهما الميت، الذي قتله أخوه (التكوين 4: 8). فالموت يكشف عن نفسه عدواً مدمراً لا يقهر. ويبدأ مسيرة انتصاره بلا توقف (هوشع 13: 14؛ 1 كورنثوس 15: 54). ومع أن آدم عاش طويلاً جداً (التكوين 5: 5)، فقد تحقق مع ذلك أنه كان لا بد أن يموت ويصير تراباً.

أسئلة للتعمق

- من أين يأتي الموت؟

22. يوحنا 1: 4؛ انظر أيضاً الأمثال 14: 27؛ 19: 23.

• ماذا أحدث الموت؟

1.7 ماذا يحدث عند الموت؟

الحديث هنا عن الموت الجسدي، الذي يضع حدًا لحياة الإنسان الأرضية نتيجةً للخطية. ولكن ماذا يحدث عند الموت؟ لقد أشرنا من قبل إلى أن الموت يحدث انفصالًا ويمزق ما ينتمي بعضه إلى بعض. الموت هو نهاية وحدة، أي نهاية كَلِيَّة الإنسان.

والإنسان، مع أنه وحدة، له جوانب كثيرة تُكوّن وجوده. وفي ارتباط بالموت يدور الحديث عن الروح والنفس والجسد.²³ فالموت يحدث انفصال الجسد عن الروح والنفس، أي انفصال الإنسان الداخل عن الإنسان الخارج (2 كورنثوس 4: 16 وما بعده). وهذا ما تشهد به كلمة الله مرارًا كثيرة.²⁴

1.7.1 روح الإنسان والموت

عند موت الإنسان ترجع روحه إلى الله الذي أعطاه. وهذا ما يقوله حتى الجامعة، الذي يجيب عن أسئلة كثيرة من منظور هذا العالم:

«فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاه»
(الجامعة 12: 7).

ويذكر ذلك أيضًا لوقا في روايته عن إقامة ابنة يائرس:

«فأمسك [يسوع] بيدها ونادى قائلاً: يا صبية، قومي! فرجعت روحها وقامت في الحال. فأمر أن تعطى لتأكل» (لوقا 8: 54، 55).

إن روح الفتاة، التي كانت قد فارقته عند حلول الموت، رجعت. فحين يموت إنسان تغادر الروح الجسد (المزامير 146: 4). وهكذا يقول يعقوب أيضًا: «لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان أيضًا بدون أعمال ميت» (يعقوب 2: 26).

23. انظر بالتفصيل في هذا الشأن الفصل 3.

24. لا يعني في هذا الموضع أن أنظر إلى الإنسان في تقسيم ثنائي أو ثلاثي. فكثيرًا ما يُستعمل المصطلحان الروح والنفس بالتبادل، والمهم أنهما الجزء من الإنسان الذي يبقى بعد الموت ويحفظ شخصية الإنسان إلى ما بعد الموت. والقلب أيضًا يحتل في الكتاب المقدس مكانًا لا يقل أهمية حين يتعلق الأمر بجوهر الإنسان.

عند خلق الإنسان أعطاه الله الروح (التكوين 2: 7). وحين يموت إنسان يسترد الله الروح:

«يقول الرب باسط السماوات ومُؤسس الأرض وجابل روح الإنسان في داخله»
(زكريا 12: 1).

«تُحجب وجهك فترتاع، تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود. تُرسل روحك
[حرفياً: نَفْسَكَ (أو: روحك)] فتُخلق، وتُجدد وجه الأرض» (المزامير 104: 29،
30).

الموت هو استقبال الروح في يدي الله (المزامير 31: 5). وهذا ما قاله أيضاً الرب يسوع المسيح حين مات على الصليب. والبشرون يذكرون ذلك صراحة:²⁵

متى: «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم، وأسلم الروح» (متى 27: 50).

لوقا: «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه، في يديك أستودع روحي. ولما قال
هذا أسلم الروح» (لوقا 23: 46).

يوحنا: «فلما أخذ يسوع النخل قال: قد أُكَلِّم. ونكس رأسه وأسلم الروح» (يوحنا
19: 30).

بصفته الخالق نفخ في البدء نسمة الحياة في الإنسان، أما على الصليب فقد أسلم روحه في
يدي أبيه (المزامير 31: 5)، لأنه كان إنساناً كاملاً. فقد كان إنساناً بالروح (مرقس 8:
12)، والنفس (مرقس 14: 34)، والجسد الذي فيه تألم ومات.

وصلى استفانوس وهو يموت: «أيها الرب يسوع اقبل روحي» (أعمال الرسل 7: 59).

1.7.2 النفس عند الموت

حين ماتت راحيل عند ولادة بنيامين، خرجت نفسها (التكوين 35: 18). وصلى إيليا أن
ترجع نفس الصبي الميت ابن أرملة صرفة: «فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس
الولد إلى جوفه فعاش» (1 الملوك 17: 22).

²⁵ أسلم يسوع الروح، أي أنه حدّد بنفسه وقت هذا التسليم. وفي ذلك هو فريد. فقد كان له سلطان أن يضع حياته (يوحنا 10: 18). أما الإنسان بوصفه مخلوقاً فليس له ذلك.

وأحياناً يدور الحديث في العهد القديم أيضاً عن موت النفس (مثلاً العدد 23: 10؛ القضاة 16: 30). لكن المقصود بذلك ليس موت النفس، بل موت الجسد. فالأمر يتعلق بخروج النفس من الجسد. وهذا يتضح في كلام إيليا «الذي سُمّ الحياة»، حين جلس تحت الرثمة ولم يتنّ شيئاً أكثر من أن تموت نفسه (1 الملوك 19: 4). فقد طلب من الرب أن يأخذ نفسه.

وصلى يونان أن يأخذ الرب نفسه منه، لأن الموت خير له من الحياة (يونا 4: 3). وفي حالة حنانيا وسفيرة، وكذلك في حالة الملك هيرودس، حلّ الموت حين «أسلموا النفس» (أعمال الرسل 5: 5، 10؛ 12: 23).²⁶

وطلب الله من الغني صاحب الغلال لا حياته فقط، بل نفسه أيضاً (لوقا 12: 20). إذاً فالموت هو أخذ النفس (لا الحياة البيولوجية فحسب!) إلى الله، وليس أبداً انحلالها أو إفناءها. والكتاب المقدس يوضح بلا أدنى شك أن نفس الإنسان لا تزول في الموت، بل تستمر في الحياة.

1.7.3 الروح والنفس

إن الروح والنفس ككتهما تدلان في الأقوال الكلاية المقتبسة على ما يغادر الإنسان عند الموت، ليذهب إلى مكان آخر أو لوجود في حالة «لا جسدية». والمصطلحان «الروح» و«النفس» يُستعملان في أحيان كثيرة كترادفين، وكثيراً ما يدلان على الشيء نفسه. لذلك حين أتكلّم في ما يلي من هذا الكتاب عن روح الإنسان ونفسه، سأجمع بين المصطلحين. وسأستعمل مصطلح «الروح-النفس». صحيح أن هذا المصطلح لا يوجد في الكتاب المقدس، لكنه يسهّل الفهم.

أسئلة للتعمّق

- صف ما يحدث عند الموت أو عند الاحتضار!
- لماذا يخاف الناس من الموت؟
- اشرح العلاقة بين الموت والخطية!

26. الكلمة اليونانية ek-psycho، المترجمة بـ«أسلم الروح/فارق الحياة»، تعني حرفياً «أخرج النفس».

- بين الدور الذي يؤديه إبليس من جهة، والرب يسوع من جهة أخرى، فيما يتعلق بالموت!

1.8 جوانب مختلفة للموت

لا يتعلق الموت بجسد الإنسان فقط. فالعهد الجديد يتكلم أيضاً عن موت روحي، يوجد فيه كل إنسان بسبب خطيته.²⁷ والموت الروحي ليس «عدم وجود» الروح البشرية، فضلاً عن أن يكون إفناءها، بل هو انفصال روحه عن الله.

ويتكلم العهد الجديد أيضاً عن «موت ثانٍ».²⁸ أما «الموت الأول» فيدلّ على الموت الجسدي للإنسان حين يترك العالم المنظور. وبالنسبة لغير المؤمنين يتبع الموت الثاني قيامتهم. إنه أشبه بموت ثانٍ بعد أن يقوموا، لن ينتهي أبداً. والموت الثاني ليس الإفناء النهائي للإنسان، بل الانفصال النهائي عن الله، حيث لا رجوع إلى الشركة مع الله.

1.9 الانتصار على الموت

بخطية الإنسان بدأ الموت مسيرة انتصاره في العالم. فبالانفصال عن الله لا يوجد إلا الموت. الموت هو دينونة الله على الخطية. ولكن هل مشيئة الله أن يحتفظ الموت بالسلطان، وأن يبقى الإنسان خاضعاً للموت الروحي والجسدي، وفي النهاية للموت الأبدي؟ كلا، فالكتاب يقول في ذلك:

«لأن هذا حسن ومقبول لدى مُخلصنا الله، الذي يُريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون» (1 تيموثاوس 2: 3، 4)؛ و: «هل مسرة أُسر بموت الشرير؟ يقول السيد الرب. ألا يرجوه عن طريقه فيحيا؟» (حزقيال 18: 23).

1.9.1 الموت والخطية

لكي تُعطى الحياة كان لا بد أن تُحلّ مشكلة الموت. والله المُخلص، الذي طلب خلاص الإنسان الواقع تحت سلطان الموت والخطية (تيطس 2: 11، 3: 4)، وجد طريقاً. فالإله الأزلي (رومية 16: 26)، الذي له حياة في ذاته (يوحنا 5: 26)، والذي هو نور (1

27. لوقا 15: 32؛ يوحنا 5: 25؛ أفسس 2: 10؛ كولوسي 2: 13؛ 1 يوحنا 3: 14؛ يهوذا 12؛ رؤيا 3: 1.
28. رؤيا 2: 11؛ 20: 6، 14؛ 21: 8.

يوحنا 1: 5) ومحبة (1 يوحنا 4: 8)، يضيء في شخص يسوع المسيح بنور الحياة (يوحنا 1: 4؛ 8: 12) في أرض الموت:

«الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور» (متى 4: 16؛ اقتباس من إشعياء 9: 2).

ومع أن هذه الكلمة الكلاية تصف شعب إسرائيل، فإنها من حيث المبدأ تصحّ على جميع الناس. لقد أرسل الله ابنه لما جاء ملء الزمان (غلاطية 4: 4؛ العبرانيين 1: 1)، ليهزم الموت. وقد أحرز ابن الله الانتصار. وقال بعد أن أكمل العمل على الصليب وبعد قيامته: «أنا هو الأول والآخر، والحى. وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين! ... ولي مفاتيح الهاوية [الهاديس] والموت» (رؤيا 1: 17، 18). ومن هذه الكلمات يتضح أن الله نفسه هو المتكلم، لأن هذه الكلمات لا تنطبق إلا على الله (رؤيا 1: 8؛ 2: 8؛ 22: 13). إنه الإله نفسه الذي أعلن ذاته في العهد القديم (إشعياء 41: 4؛ 44: 6؛ 48: 12).

كان للرب يسوع، وهو إنسان على الأرض، السلطان على الموت. وقد برهن على ذلك بإقامة لعازر (يوحنا 11)، والشاب في نايين (لوقا 7: 11-14)، وابنة ياريس (لوقا 8: 49-56). فإقامته للأموات كانت البرهان على أنه رئيس الحياة (أعمال الرسل 3: 15)، ومن ثم أنه الله نفسه.

ولا تقل أهمية عن لاهوت المسيح حقيقة أنه إنسان. فقد صار إنساناً ليستطيع أن يموت نيابةً عن الخطاة. مات ذبيحةً عن الخطية. ووضِع في قبر. وبعد ثلاثة أيام أقامه الله. وفي القيامة صارت له الآن، بوصفه إنساناً، حياة لا تزول (العبرانيين 7: 16). ولهذا، بوصفه الإنسان القائم من الأموات والمجدّد، له مفاتيح الموت والهاديس. والمفتاح صورة للسلطان.²⁹ فالإنسان يسوع المسيح له سلطان على الموت وعلى الهاديس، أي عالم الأموات. ولا يستطيع الموت أن يسود عليه بعد (رومية 6: 9، 10). لذلك لا يستطيع الموت أيضاً أن يسود على الذين هم متحدون به. وهؤلاء هم الذين رجعوا إليه وصارت لهم حياته، حياة القائم من الأموات.

29. قارن رؤيا 3: 7؛ 1: 9؛ 20: 1؛ متى 16: 19؛ 18: 18؛ إشعياء 22: 22.

ولكي يستطيع الله أن يحرّر البشر من الموت إلى الأبد، كان لا بد أن يصير هو نفسه إنساناً ويموت. وبذلك حُسمت مسألة الخطية، وهُزم الموت بالقيامة أيضاً. يا له من انتصار إلهي! كان يسوع المسيح، ابن الله، هو القدّوس، أي المحبّول به من الله الروح القدس نفسه (لوقا 1: 35). ومن ثم لم تكن في حياته خطية (1 يوحنا 3: 5)، لا في الأقوال ولا في الأفكار ولا في الأفعال (2 كورنثوس 5: 21؛ 1 بطرس 2: 22). لذلك لم يكن يسري عليه ما يسري على سائر البشر: لم يكن مضطراً أن يموت. وحين مات، مات طوعاً. فقد كان له سلطان أن يضع حياته، وكان له أيضاً سلطان أن يأخذها من الموت ثانية (يوحنا 10: 17، 18).

وهذا يعيدنا إلى العلاقة بين الموت والخطية. فالخطية أحدثت الموت. ومشكلة الموت هي في الوقت نفسه مشكلة الخطية. لذلك كان لا بد أن يُعالج هذا السبب أولاً. لقد ذُكر في البداية أن الله نور، أي أنه قدّوس قداسة مطلقة. فهو لا يستطيع أن ينظر إلى الخطية (حقوق 1: 13)، ولا أن يتركها بلا عقاب. ولا يستطيع الله أن يقبل الخاطئ بخطيته ويعطيه الحياة دون أن يتمّ كفارة عن خطاياها. لذلك مات المسيح، حمل الله (يوحنا 1: 29). لقد حمل غضب الله على الخطية نيابةً عن الخاطئ (2 كورنثوس 5: 21). فطالب الله قد استوفيت بموت المسيح. واستجيب لقداسته استجابة كاملة.

إن موت المسيح الذي أتمّ الكفارة لم يكن موت إنسان عادي. فموت المسيح كان دينونة الله على الخطية. فقد جعل، وهو القدّوس، خطيةً. وتألّم من جهة الله لأجل الخطية. وتأديب سلامنا كان عليه. لقد عاقب الله البريء لأجل خطايانا. لذلك فالموت الذي يناله الإنسان أجرةً للخطية ليس الموت الجسدي فحسب، بل هو في النهاية الموت الأبدي أيضاً. والعقوبة التي تقوم في الموت الأبدي، أي في الانفصال الأبدي عن الله، اختبرها المسيح على الصليب، ليحررنا نحن المؤمنين منها إلى الأبد.

وحين قام المسيح بعد ثلاثة أيام، حطّم بقوته الإلهية الذاتية قيود الموت. لقد قام المسيح، وكفّر عن الخطية، وهُزم الموت. لقد كسر سلطان الخطية والموت (رومية 5: 12-21). هذا هو صميم رسالة القيامة. هذه هي نهاية سيادة الموت!

غير أن هذا الانتصار لا يعني أن الموت قد ألغي الآن وأزيل من العالم. فالموت لا يزال يسود في العالم. وحتى المؤمنون الذين لهم حياة قيامة المسيح لا يزالون يموتون. غير أن

الموت قد جُرد من سلطانه بالنسبة إلى المؤمنين. ف«الإبطال» يعني «جعله بلا مفعول» و«بلا قوة». ففي العالم يستمر الموت في السيادة بواسطة الخطية، أما المؤمن فقد تحرر من سلطان الموت. فالموت لم يعد يعني له دينونة، بل الدخول إلى المجد. والعبرانيين 2: 14، 15 تلخص هذه الأفكار:

«فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبذل بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خَوْفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية».

1.9.2 الموت وإبليس

ماذا يعني أن لإبليس سلطان الموت؟ هل يستطيع إبليس أن يقتل الناس بحسب مشيئته؟ هل يستطيع أن يتصرف في الموت؟ هذا مستحيل، لأن الله يمسك حياة جميع الناس في يده، ويستردها متى شاء. هذا ما لا يستطيعه إبليس، لكن له سلطان الموت حليفاً إلى جانبه. لقد أغوى إبليس الإنسان بتجربته الماكرة إلى الخطية، وبذلك أوقعه تحت سلطان الموت. وكان هذا هدفه.

وهكذا اكتسب إبليس نفوذاً على الإنسان. فصار إليه هذا الدهر (2 كورنثوس 4: 4) ورئيس هذا العالم (يوحنا 12: 31؛ 14: 30؛ 16: 11). إن سلطان الموت والظلمة يسود في هذا العالم، وإبليس قتال للناس من البدء (يوحنا 8: 44؛ 1 يوحنا 3: 8). وأكّـر: ليس له سلطان أن يقتل، لكنه يقتل بوصفه مضلاً ماكرًا، إذ يقود الإنسان بعيداً عن الله، ينبوع الحياة. وسمّ الإغواء هذا يقتله روحياً وجسدياً، وذلك إلى الأبد. فكل إنسان يموت بدون الله هو فريسته إلى الأبد. وبهذا المعنى يعمل الموت لحساب إبليس ويدعم مقاصده الفاسدة.

لكن المسيح أبطل إبليس، إذ اقتحم مجال سلطانه، أي الموت، وأحرز الانتصار بقيامته. فوته على الصليب هو الانتصار على إبليس (كولوسي 2: 15).

صحيح أن إبليس لم يُفْن، لكنه اضطرَّ أن يتجرَّع هزيمة ساحقة. وهو لا يزال حياً ولا يزال فاعلاً كما في البدء. غير أن نهاية إبليس ونهاية الموت قد تقررت قطعاً.

إن انتصار يسوع يسري الآن فقط على الذين هم متّحدون بالمسيح. فهم قد تحرّروا من خوف الموت، لأن الموت بالنسبة إليهم عدوٌّ مهزوم. وبحسب كلمات الرسول بولس (1 كورنثوس 3: 22) فإن الموت صار الآن ملكاً لهم، إذ يأتي بهم إلى المسيح في الفردوس. وإن كان مكتوباً أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للّهؤمنين (رومية 8: 28)، فإن الموت نفسه ليس مستثنى من ذلك.

أما كل الذين لا يعرفون المنتصر على الموت، فيمكن أن يعني لهم الخوف من الموت عبودية طوال الحياة. ويكون خوف الموت لدى الناس في مواجهة الموت على أشده حين يستيقظ ضميرهم بشأن الذنب غير المكفّر عنه ويشتكي عليهم. لذلك لا بد أن كاتب العبرانيين في الآيتين 2: 14، 15 كان يفكر خاصة في الذين كانوا تحت عبودية الناموس ولم يكن لهم يقين غفران خطاياهم.

لقد حطّم انتصار يسوع المسيح عبودية الموت والخوف من الموت. فالخطية والموت وإبليس قد هُزمت بموت الرب يسوع المسيح الكفّاري وقيامته. وهذا هو الأساس لكي ترفع الخطية قريباً من الكون (يوحنا 1: 29؛ العبرانيين 9: 26)، ويبطل الموت بوصفه آخر عدوٍّ (رؤيا 20: 14).

«آخر عدوٌّ يُبطل هو الموت» (1 كورنثوس 15: 26).

«ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: «ابتلع الموت إلى غلبة». «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟» (1 كورنثوس 15: 54، 55؛ قارن إشعياء 25: 8؛ هوشع 13: 14).

«لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (1 يوحنا 3: 8).

لقد فعل ذلك حقاً، وسيكمله! تبارك الرب!

2 ماذا يأتي بعد الموت؟

لا يقول الكتاب المقدس الكثير جداً عن حالة الإنسان بعد الموت حتى القيامة. بل إنه يوجّه انتظارنا بالأحرى إلى يوم الكمال. فرجاء المسيحيين متّجه إلى مجيء الرب يسوع المسيح ليأتي بشعبه إلى الوطن السماوي. والحياة بين الموت والقيامة تتراجع إلى الخلفية أمام هذا الرجاء المبارك.

ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك، لأن رجاءنا لا يتحقّق بالموت. فنحن لا نبلغ غايتنا النهائية بالموت، بل في وقت القيامة فقط. غير أن الحالة الوسيطة هي المرحلة الأخيرة قبل الغاية النهائية، وهذه معرفة مباركة نضمّن منذ الآن تذوّقاً مسبقاً للكمال.

وحين يتعلق الأمر بالحياة بعد الموت، فإننا نتكلم عن حالة وسيطة محدودة زمنياً. والسؤال الذي أريد أن أثبته في ما يلي هو: كيف تكون حالة وعي الإنسان بعد الموت؟ وفي ذلك سأناقش أكثر من مرة الرأي الذي ينكر كل وعي بعد الموت، وينكر العالم الآخر عموماً.

سأتبع هذه الأسئلة الآن في 11 نقطة، متناولاً في ذلك المقاطع الكتابية الأساسية في العهد الجديد. وكل فصل مكتوب بتفصيل يكفي لأن يُستعمل وحده. لذلك قد يحدث هنا وهناك بعض التكرار.

2.1 لعازر والغني

لا شك أن كثيرين يفكرون أولاً في هذه القصة المعروفة حين يتعلق الأمر بالحياة بعد الموت. وبهذا المعنى فهمت دائماً. ومع ذلك توجد محاولات تفسير تفصل هذه القصة تماماً عن الحياة بعد الموت، كأنه ليس لها ما تقوله عنها. وسأستخرج من جهة معناها، ومن جهة أخرى سأبدي رأيي في التفسيرات الخاطئة.

«كان إنسان غني وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مُترَفَهاً. وكان مسكين اسمه لعازر، الذي طُرح عند بابه مضروباً بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه. فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات الغني أيضاً ودُفن، فرفع عينيه

في الهاوية [الهاديس] وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم، ارحمني، وأرسل لعازر ليبل طرف إصبغه بماء ويبرد لساني، لأني مُعذب في هذا اللهب. فقال إبراهيم: يا ابني، اذكر أنك استوفيت خيرائك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزى وأنت تُعذب. وفوق هذا كله، بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرُونَ، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا. فقال: أسألك إذاً، يا أبت، أن تُرسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم. فقال: لا، يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يُصدقون» (لوقا 16: 19-31).

2.1.1 هل يدور الأمر هنا حول الحياة بعد الموت؟

الأسباب التالية تشهد بوضوح بأن الأمر هنا يدور حول حياة بعد الموت:

- إن الجزء الأكبر من هذه القصة، الذي يزيد على ثلثها، يصف أموراً تحدث «بعد» موت الشخصين. ولا حديث على الإطلاق عن قيامة الشخصين.
- إن «الهاديس»، حيث رفع الغني عينيه بعد موته، و«حُضن إبراهيم»، الذي حُلَّ إليه المسكين بعد موته، كليهما يدلّان على أماكن أو حالات فيما وراء الموت. ولا يمكن تفسير هذين المصطلحين بغير ذلك.
- كان اليهود مألوفين بهذه المصطلحات. ففي تقليدهم كانت هذه الأوصاف للعالم الآخر، أو أوصاف مشابهة لها، معروفة لديهم.
- كان الغني في حالة الموت بينما كان إخوته لا يزالون أحياء. فالإخوة موجودون في الوقت نفسه، بعضهم على الأرض، والآخر في الهاديس.³⁰

إن ابن الله يزيح هنا الستار ويكشف شيئاً لم يكن حتى ذلك الحين معلناً في أسفار العهد القديم.

30. وبناءً على ذلك لم يحدث أيضاً أي تغيير في مجرى هذا العالم، مثل بداية ملكوت الله أو القيامة.

2.1.2 مغزى القصة

حين نقول إن هذه القصة تدور حول الحالة التي تلي الموت مباشرة، فإننا لا نتجاهل بذلك السياق (أمثلاً أخرى) ولا الأشخاص - أي الفريسيين - الذين تخاطبهم هذه القصة مباشرة. ففي هذه القصة يصور يسوع ترف الرجل الغني وأنانيته بمداها المرعب. والغني لا يصور متعدياً للناموس علناً، لأن خطيته لم تكن في ذلك، ولا كانت خطية الفريسيين كذلك. نخطيتهم، أي محبة المال، كانت مستترة تحت عباءة التقوى المرائية (لوقا 16: 14). ومحبة المال (1 تيموثاوس 6: 10) لها عواقب على الأبدية، وهذه العواقب تبدأ مباشرة بعد الموت. هذا هو موضوع القصة.

كان الفريسيون قد سمعوا من مسافة ما القصة عن الوكيل الظالم، التي كانت موجّهة إلى تلاميذ الرب (لوقا 16: 1؛ 16: 14). ولأنهم استهزأوا بالرب على أثر ذلك، التفت إليهم مباشرة. فنالوا درساً جاداً على نحو خاص ولا لبس فيه. لقد خاطبهم يسوع من خلال سلوك الرجل الغني.

وهذا التعليم لا يقتصر على توبيخ محبة الفريسيين للمال. كما أن التحذير لا يخصص في أن جميع الناس، أغنياء كانوا أو فقراء، لا بد أن يموتوا يوماً، بل يتجه قبل كل شيء إلى ما يأتي بعد ذلك. لذلك فإن الجزء الأطول بوضوح يتناول الأحداث فيما وراء الموت، ولا سيما مصير الغني. والأحداث التي تلي موت الاثنين لا تشكّل إطاراً عديم الأهمية وضع فيه تعليم عن المال، بل هي المضمون الرئيسي لهذه القصة.

2.1.3 مَثَل؟

قليل الكثير في مسألة ما إذا كانت هذه القصة مثلاً أم لا. فبعضهم يشدد على أنها مَثَل، لا يقصد به تقرير أقوال تعليمية أو إعلان أمور لم تكن معروفة من قبل. ويقولون أيضاً إنه لا يمكن تفسير كل تفصيل في المَثَل، لأنه لا يتضمّن إلا فكرة محورية واحدة. وهي هنا توبيخ جشع الفريسيين وسوء استعمال المال. هذا، لا الحياة بعد الموت، هو القول المحوري بحسب رأيهم.

لا يسمّى لوقا هذه القصة مثلاً. وربما كما نتوقع منه ذلك، لأنه يتكلم في إنجيله عن الأمثال، ما لا يقل عن إحدى عشرة مرة. وأقوى حجة على أنها ليست مثلاً هي استعمال اسم علم،

أي لعازر، وهو أمر لا يحدث في الأمثال عادةً. واسم العلم - وكان لعازر اسماً معروفاً (انظر يوحنا 11) - يشير إلى أن الأمر يتعلق بحدث وقع فعلاً.

لماذا يستعمل يسوع مصطلحات كانت تُستعمل صراحة للعالم الآخر؟ لقد أصاب بذلك الفريسيين في صميم تصوراتهم، أي فيما كانوا يؤمنون به بشأن العالم الآخر، لكنهم لم يطبقوا جدية الأمر على أنفسهم.

2.1.4 قبل الموت

إن الآيات الثلاث الأولى فقط تصف الحياة الأرضية (لوقا 16: 19-21)، وتتضمن بالضبط ما كان حاسماً لحياة الشخصين بعد الموت. فالغني، الذي لا يُذكر اسمه، عاش في الأنانية. وكانت ملابسه من أغفر ما يكون. ومع أنه ربما فهم غناه على أنه بركة من الله، فإن الله، معطي كل العطايا، كان غائباً عن حياته. ويبدو أنه لم يعرف محبة القريب، وهذا ما يتضح من سلوكه تجاه المسكين. وكان المسكين يشارك الكلاب نصيبها عند مدخل بيت الغني، حيث كان يقضي عيداً بأشأ كمتسول، ويعيش على فضلات الغني. ولم يكن الغني خطية الغني، بل أنانيته التي لم يكتثر فيها بالمسكين، مع أنه ربما كان يراه كل يوم. ويبدو أن الكلاب أبدت نحو لعازر شفقة أكثر مما أبداه الرجل الغني.

اسم المسكين يُذكر، بخلاف اسم الغني. ولعازر يعني «الله معين». وفي هذا الاسم يمكن المفتاح لموقف المسكين من الحياة. فقد وجد العون عند الله، الذي ألقى عليه في فقره. ولكن لم يكن فقره هو ما أتى به بعد الموت إلى حضن إبراهيم، بل ثقته بالله.

وكما هو الحال مع كل إنسان، جاء أيضاً على هذين الاثنين اليوم الذي كان عليهما فيه أن يودعا الأرض. فمات كلاهما الموت نفسه. ونال الغني دفناً، أما دفن المسكين فلا يُذكر. غير أنه بموتهما تُرى الأمور فجأة في ضوء آخر.

حين يموت إنسان تأتي ساعة الحقيقة، التي ينكشف له فيها ما له قيمة حقاً وما يبقى إلى ما بعد الموت. حينئذ لا يكون خداع للنفس ولا عدم إيمان، ولا يعود الإنسان يسأل عن براهين كان يطلبها دائماً في حياته كلها كُلم عن الحياة بعد الموت.

يقرر يسوع أن الفرق بين الاثنين بعد موتهما أكبر بكثير مما كان في حياتهما الأرضية. فقد انقلبت الأمور، إذ صار المسكين في مكان البركة، ولا حاجة له أن يأسف على وداعه

للحياة الأرضية. والملائكة، الذين هم أرواح خادمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص (العبرانيين 1: 14)، يحملون عازر في لحظة موته إلى حضن إبراهيم.

2.1.5 تصوّر اليهود للعالم الآخر

من المسلّم به عمومًا أن الرب يسوع يربط هنا بتصور سامعيه، الذي كان معروفًا له هو نفسه بوصفه يهوديًا. لذلك من المفيد أن نشرح باختصار التصوّر الذي كان سائدًا آنذاك عن العالم الآخر.

كان اليهود يؤمنون بأن نفوس الأموات أو أرواحهم تذهب إلى الشيول. وهو عالم الأموات، الذي ليس إلا مكان إقامة مؤقتًا في انتظار القيامة. وكانوا يؤمنون أيضًا - وهذا يتجاوز شهادة العهد القديم الكثيرة - بأن هناك فصلًا بين الأبرار والأشرار. فبعضهم كان في سعادة، والآخرون كانوا ينالون العقاب والجزاء. لذلك لم يكن لديهم شك في أن الأموات يحتفظون بوعيمهم الكامل، وإلا لكانت البركة والعقوبة بلا معنى.

يصف المؤرخ يوسفوس (Josephus) إيمان الفريسيين هكذا: «ويؤمنون أيضًا بأن النفوس خالدة، وأنها تنال تحت الأرض ثوابًا أو عقابًا بحسب ما كان الإنسان فاضلاً أو رذيلًا، بحيث يقبع الأشرار في سجن أبدي».³¹ وعلى هذه الخلفية لم يكن على الفريسيين أي صعوبة في فهم هذه القصة. فقد تكلم يسوع عن حياة الإنسان ووجوده بعد الموت، وعن كيف يتحدّد هذا الوجود بالحياة على الأرض.

ليس قصدي أن أبحث كيف وصل الفريسيون إلى هذه النظرة التي تتجاوز العهد القديم. فالمهم أن هذا الإيمان لا يتناقض مع العهد القديم. والرب يسوع لا يدين هذه النظرة ولا يصححها، بل يربط بالفكرة الأساسية³² لهذا التصور، ويعلن في الوقت نفسه، بعلبه الإلهي المحيط بكل شيء، ما يأتي بعد الموت.

إن ابن الله يوضح هنا، ومن دون تأثر بالفلسفة اليهودية أو اليونانية، أن هناك حياة بعد الموت، في الفرح وفي العذاب على السواء. ومن يعترف بيسوع المسيح لا يستطيع أن يعيد تفسير هذه الكلمات دون أن يضع بذلك شخصه موضع التساؤل.

31. Flavius Josephus, *Jüdische Altertümer*, الكتاب 18، الفصل 1.3، 1985، Wiesbaden (Fourier Verlag)، ص.

506، 507.

32. أتكلّم صراحةً عن «الفكرة الأساسية»، لأنه كان في عالم الأفكار في ذلك الزمن خيال جامع لا يؤيده لوقا 16.

2.1.6 حضن إبراهيم

«حضن إبراهيم» تعبير يهودي نموذجي. وكان معروفاً لدى السامعين. ولا يرد هذا التعبير في الكتاب المقدس إلا مرة واحدة. كان حضن إبراهيم مكان البركة الذي يُستقبل فيه البار بعد موته. وكذلك كان تعبير «حضن الأبرار» يدلّ عند اليهود على مكان فيما وراء الموت. وإبراهيم، خليل الله، في المركز هنا. ولم يكن لدى اليهود شك في أن إبراهيم استمر حياً بعد موته (لوقا 20: 27-40). وكان حضن إبراهيم عند اليهودي مكان شرف أراد أن يحتلّه بعد موته بأي ثمن. وهذا المكان يشير إلى الشركة والقرب والفرح (يوحنا 1: 18؛ 13: 23).

إن تعليم الرب يسوع المسيح لا يسري على اليهود فقط، وإن كان قد ربط بتصورهم؛ بل إنه، بالتوافق مع أقوال أخرى في العهد الجديد، يمتد من حيث المبدأ إلى جميع الناس. لذلك يمكن أن يُسمى «حضن إبراهيم» أيضاً «الفردوس». ولم تكن هذه الفكرة أيضاً غريبة على اليهود. ففي تتردد مثلاً في «ترجوم نشيد الأنشاد» (Targum zum Hohenlied)³³، حيث يُقال إن نفوس الأبرار الراقدين تحملها الملائكة إلى الفردوس.

وحضن إبراهيم ليس، كما يُزعم أحياناً، ملكوت الله المستقبلي. صحيح أن الحديث يدور في موضع آخر عن وليمة مع الآباء في هذا الملكوت (متى 8: 11)، لكن ذلك سيحدث على الأرض. وليس هذا موضوعنا هنا. ففي هذه القصة نرى أن لعازر والغني ليسا على الأرض، بل خارج العالم المنظور. وفي الوقت نفسه كان إخوة الغني الخمسة لا يزالون آنذاك أحياء على الأرض. فقد أراد الغني أن يُرسل إليهم أحد من الأموات لينذرهم، لأنهم كانوا على ما يبدو يعيشون كما كان هو يعيش من قبل.

2.1.7 كيف ذهب لعازر إلى حضن إبراهيم؟

حين يموت إنسان، تستمر روحه-نفسه في الحياة، بينما يتحلّل الجسد. لكن لعازر يُصور في هذه القصة إنساناً كاملاً حمل إلى حضن إبراهيم. فلا يُقال إن روحه-نفسه وحدها حملت إلى هناك. وليس هذا تناقضاً، لأن النفوس المنطلقة يُتكلّم عنها دائماً كأنها في حالة الحياة

33. كتاب أبوكريفي من الفترة بين العهدين.

الجسدية. فشاعر الراحلين ومظاهر حياتهم لا يمكن وصفها لغوياً أو تصويرياً بغير ما يفعله الرب يسوع هنا، وبما يوافق واقع الحياة الجسدية.

إن وصف الأحداث التي تلي موت الاثنين لا يختلف عن وصف حياتهما قبل الموت. فالموت هنا، فيما يخص وعي الاثنين وإدراكهما، لم يغير شيئاً على ما يبدو. فشخصية الإنسان، وإدراكه الواعي لما حوله، وذاكرته، تبقى بعد الموت دون أي نقصان.

2.1.8 الهاديس

يرفع الغني عينيه في الهاديس، وهو في العذاب. وكان الهاديس مصطلحاً معروفاً من العالم اليوناني. فهناك كان إله العالم السفلي، وكان أيضاً مكان الأموات.

لا يجوز الخلط بين الهاديس وجهم. ومن المؤسف أن بعض ترجمات الكتاب المقدس (مثل ترجمة لوثر Luther، وهي ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) تنقل الكلمة اليونانية «هاديس» المستعملة هنا بكلمة «جهم» (Hölle)، بحيث قد يظن المرء أن المصطلحين يدلّان على الشيء نفسه. لكن الأمر يتعلق بشيئين مختلفين، كما سأتناول ذلك بتفصيل أكبر لاحقاً. وقبل أن نتناول الهاديس في لوقا 16 عن كذب، لننظر - لكي لا نصل إلى تفسير «معزول» ومن ثم خاطئ - في جميع المواضع العشرة في العهد الجديد التي يُذكر فيها الهاديس.

الموضعان 1 و3: «وأنت يا كفرناحوم المرتفعة إلى السماء! ستهبطين إلى الهاوية [الهاديس]» (متى 11: 23؛ لوقا 10: 15).

«الهاديس» هنا في مقابل «السماء». لقد ارتفعت كفرناحوم إلى السماء، لأن المسيح صنع في هذه المدينة معظم معجزاته (متى 9: 1). وهنا يوضح سقوط كفرناحوم العميق في يوم الدينونة بالتضاد الكبير بين المكان «الأعلى» والمكان «الأدنى». وبهذا المعنى كثيراً ما يدور الحديث عن «فوق» و«أسفل».³⁴ فالهاديس هنا مكان الدينونة، البعيد بعداً لا يبلغ عن السماء، مكان البركة.

الموضع 2: «وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة [أو: جماعتي]، وأبواب الجحيم [الهاديس] لن تقوى عليها» (متى 16: 18).

34. قارن يوحنا 8: 23؛ 1 تيموثاوس 6: 9؛ 2 بطرس 2: 4؛ يهوذا 6؛ رؤيا 20: 1؛ الأمثال 9: 18؛ 15: 24.

إن الرب يسوع المسيح، ابن الله الحي، هو الأساس الذي لا يُقْتَحَم ولا يتزعزع، والذي سيبني عليه كنيسته. ولأنها مبنية على هذه الصخرة، لا يستطيع حتى الهاديس أن يقوى على الكنيسة. فللهاديس سلطان، وهذا يُعبر عنه رمزياً بالأبواب. ووراء الهاديس يختبئ سلطان الموت. والهاديس وسلطان الموت لا يستطيعان أن يقويا على الكنيسة و«يستوليا» عليها، لأنها مؤسّسة على الذي هو الحياة والذي هزم الموت. فالهاديس سلطان شرير يظهر هنا عدواً للكنيسة.

الموضع 4: «فرغ عينيه في الهاوية [الهاديس] وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه» (لوقا 16: 23).

الموضعان 5 و6: قال بطرس عن الرب يسوع، مقتبساً المزمور 16: «لأنك لن تترك نفسي للهاديس [أي: لن تسلّمها إليه]، ولا تدع تقيك يرى فساداً» (أعمال الرسل 2: 27؛ انظر أيضاً الآية 31).

كان داود قد قال هذه الكلمات قبل ذلك بقرون (المزامير 16: 10). ويقتبسها بطرس في عظته يوم الخمسين نبوءة عن موت المسيح وقيامته. لقد مدّ الهاديس يديه، إن صحّ التعبير، نحو نفس المخلص المقدّسة ليخطفها ويستولي عليها. لكن الهاديس لم يستطع أن يتسلّط على نفسه، لأنه كان قدّوس الله.³⁵ وحين مات لم يقع في قبضة الهاديس، بل ذهب إلى الفردوس. ووضع جسده في القبر، لكنه لم يفسداً، لأنه أقيم.

يتّضح هنا أن الهاديس هو المكان الذي توجد فيه نفوس الأشرار. فالجسد، أي اللحم، مرتبط بالقبر وبالفساد. أما النفس فمرتبطة هنا وفي سائر المواضع بالهاديس. وهنا يُفصل بين القبر والهاديس فصلاً واضحاً. فهما ليسا الشيء نفسه.

الموضع 7: «... وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين! ... ولي مفاتيح الهاوية [الهاديس] والموت» (رؤيا 1: 18).

35. معظم الترجمات تقول هنا: «لن تترك نفسي في الهاديس» أو ما يشبه ذلك. وبهذه الصياغة يكون الرب قد كان في الهاديس والهاديس في هذه الحالة، مثل الشبول، هو عموماً مكان الأموات، دون تمييز بين الأبرار والأشرار. وهذا يوافق أقوال العهد القديم. انظر في ذلك الرأي، لأن لوقا بالذات، كاتب سفر أعمال الرسل، هو الوحيد الذي يقابل في إنجيله من جهة بين الهاديس وحضن إبراهيم في لوقا 16 (أي أن حضن إبراهيم ليس في الهاديس ولا جزءاً منه)، ومن جهة أخرى يقتبس قول الرب إنه حين مات ذهب إلى الفردوس. وفضلاً عن ذلك كان قد ساد في زمن يسوع الرأي بأن مكان السعداء في السماء ومكان الأشرار في الشبول. وأنا أعتبر الهاديس في العهد الجديد في كل المواضع مكان الأشرار الذين هم تحت سلطان الموت. والمسيح لم يكن هناك (انظر في ذلك الملحق).

هذه كلمات الرب يسوع بوصفه القائم من الأموات. فلأنه مات وقام، له السلطان على الموت وعلى الهاديس. فالموت (فيما يخص الجسد) والهاديس (فيما يخص النفس) كلاهما اضطرّاً أن يخضعا لابن الله. فكل شيء خاضع له! إن عالم الأموات وكل من فيه خاضعون لسلطانه، لأنه «لهذا مات المسيح وقام وعاش، لكي يسود على الأحياء والأموات» (رومية 14: 9). فلا حاجة للمؤمنين بعد إلى الخوف!

ويقوم سلطانه أيضاً في إقامة الأموات، إذ يفتح الهاديس بالمفتاح ويخرج النفوس، ليوحدها بالجسد في القيامة.

الموضع 8: «ففظرت [أنا يوحنا] وإذا فرس أخضر، والجالس عليه اسمه الموت، والهاوية [الهاديس] تتبعه» (رؤيا 6: 8).

الموت والهاديس مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، لأنهما ينجزان عملاً مشتركاً.³⁶ فبماذا يقوم تعاونهما؟ الموت يتسلط على الجسد، والهاديس على النفس. وبهذا المعنى يتبع الهاديس الموت ليستقبل النفوس التي لا يستطيع الموت أن يمسخها (متى 10: 28).

ويمكن أن يعني تعبير «هاديس» من حيث تاريخ اللغة «الذي يستقبل كل شيء». فالهاديس يبتلع الأموات بجوع لا يشبع. وفي ذلك شبه بالشيول (أي الهاديس في العهد القديم)، الذي كان يربط في الوعي اللغوي العبري بـ«الطلب/السؤال» (قارن أعمال الرسل 2: 27، 31).³⁷

الموضعان 9 و10: «وسلم الموت والهاوية [الهاديس] الأموات الذين فيهما. ودينوا كل واحد بحسب أعماله. وطرح الموت والهاوية في بحيرة النار» (رؤيا 20: 13، 14).

الأموات موجودون في الهاديس. وهذه، إلى جانب القصة في لوقا 16، أوضح إشارة إلى طبيعة الهاديس. فالهاديس هو مكان الأموات الذين لم يؤمنوا بالإنجيل. وهؤلاء وحدهم يمثلون أمام العرش العظيم الأبيض.

وهنا نجد نهاية الموت الجسدي. فالموت يطرح في بحيرة النار، أي في جهنم. ولأن جميع الأموات يكونون في ذلك الوقت قد قاموا، لا تبقى نفوس أو أرواح لأموات يمكن أن

36. قارن 2 صموئيل 22: 6؛ إشعيا 28: 15، 18؛ هوشع 13: 14؛ حبقوق 2: 5.
37. الأمثال 1: 12؛ 27: 20؛ 30: 16؛ إشعيا 5: 14.

تقيم في الهاديس. وهذا بالضرورة نهاية الهاديس أيضًا. فالهالكون يُطرحون في جهنم بأجسادهم التي نالوها في القيامة. لذلك لا تعود هناك حاجة إلى الهاديس، فيجد، مثل الموت، نهايته في جهنم.

الخلاصة: الهاديس يستقبل نفوس الموتي التي يفصلها الموت عن الجسد. والهاديس مرتبط بسلطان الموت. وهذا الموت الذي يقود إلى الهلاك الأبدي لا يخضع له إلا غير المؤمنين. وهكذا فالهاديس ليس إلا مكان إقامة الأموات الذين ماتوا بدون المسيح. الهاديس مكان عبور وإقامة للأشرا حتى القيامة.

2.1.9 الهاديس في لوقا 16

معنى الهاديس في لوقا 16 يطابق تمامًا ما اتضح من المواضع التي فحسناها. وتوجد فوق ذلك تفاصيل أخرى لا تُذكر إلا هنا.

لقد دُفن الغني. أما روحه-نفسه فلم تكن في القبر، بل في الهاديس. وأول ما يُقال عنه إنه كان «في العذاب». إذاً لم يفقد إحساسه بالموت. بل لم يحتفظ بإحساسه فقط، بل بوعيه الكامل أيضًا إلى ما بعد الموت: فهو يتكلم، ويعبر عن أفكاره، ويستطيع أن يتذكر. وفوق ذلك يستطيع أن يدرك بعينه ما حوله، وهو محيط بطبعه العذاب والألم. وهذا المحيط يسميه الغني نفسه «موضع» العذاب (الآية 28). إذاً ليس الهاديس حالة فحسب، بل هو أيضًا مكان إقامة فعلي.

يبدو أن العذاب الذي يشعر به الغني وحرارة اللهب يفترضان جسمية من لحم ودم. غير أن الإنسان لا يملك ذلك بعد الموت حتى قيامته. لذلك نفهم هذا الوصف للآلام على أنه وصف تصويري لواقع غريب عنا نحن الذين لا نزال في الجسد، ولا يفهم عمقه ومداه إلا من يكابده بنفسه. وهذه الصورة، التي نصادفها بشكل مشابه في الحديث عن جهنم، ضرورية لتعرض لنا آلام الهاديس بطريقة نستطيع أن نفهمها.

يصف هرمان كريمر (Hermann Cremer) هذه الآلام هكذا: «[النفس] تشبه في الموت المسكين الذي له أكثر مما يلزم للهوت وأقل مما يلزم للحياة - يا لها من حالة مريعة، هذا التعلق والقلق بين الحياة والموت، هذا الموت الذي لا نهاية له! وما دام الموت لم يفتح عيني الإنسان على ذلك، يستطيع المرء أن يخدع نفسه ويستسلم للوهم بأن نفسه لا تنقصها

شيء. فنحن نستطيع أن نترب من كل مشاعر نفسنا وحاجاتها، ما دمنا سادة على أجسادنا ونستطيع أن نتعامل مع العالم المحيط بنا في العمل أو في التلهي. أما بالموت فينتهي هذا الإمكان، ويظهر عجز النفس في هزال لا نهاية له. فإذا انتزعت من الله في اغترابها عنه، صارت مغتربة أيضاً عن الحياة التي من الله. ... فهي بلا قوة إلى الأبد، معوقة ومقيّدة، ولذلك ليس خلودها لها شيئاً أفضل من الموت، بل شيئاً أبأس وأسوأ بكثير، صراعاً أبدياً من أجل البقاء، وحرماناً أبدياً من كل إشباع، واستنزافاً للذات بلا نهاية تحت مقاومة الله القدوس لكل ما هو غير إلهي وكل كائن مغترب عن الله. فالخلود ليس للإنسان الخاطئ غير المفدي سوى موت أبدي، لا شعاع نور يضيء الليل، بل ظل من النور فقط».³⁸

وهذا بالطبع أي شيء إلا نوم للنفس، فضلاً عن أن يكون عدم وجود بعد الموت. فهذه القصة ثبتت بالضبط العكس. وللإبقاء على التعليم الخاطئ بنوم النفس، لا بد من تفسير مختلف تماماً لهذه القصة، مفاده أن الهاديس ليس سوى القبر الذي دفنت فيه جثة الغني. ويستند المرء في ذلك إلى قراءات تغير معنى الجملة بعلاوات ترقية³⁹ مختلفة. وبذلك يصير الهاديس القبر الذي وُضع فيه الغني. فيقرأ النص هكذا: «ومات الغني ودُفن في الهاديس. وإذا رفع عينيه في العذاب ...». ولا يوجد لهذا التقسيم للنص حتى شاهدان أو ثلاثة من الشواهد النصية اليونانية. ولا يوجد هذا التقسيم أيضاً في أي من ترجمات الكتاب المقدس المعروفة اليوم بأنها موثوقة.

إن سياق النص والتوافق في المضمون مع العهد الجديد كله هما الحاسمان في ترقية الجملة. وكما رأينا من قبل، لا يؤكد أي موضع في العهد الجديد أن الهاديس هو القبر نفسه. ومن حيث تاريخ اللغة للكلمة «هاديس» أيضاً معنى «غير المنظور» و«غير المدرك».⁴⁰ ومن هذه الناحية أيضاً لا يمكن أن يشير تعبير «هاديس» إلى قبر.

ولعل الرأي القائل إن الهاديس والقبر شيء واحد قد نشأ من أن «هاديس» هو فعلاً الترجمة اليونانية للكلمة العبرية «شيول»، لكن كلمة «شيول» لها في العهد القديم معنى أوسع، كما سنرى في القسم التالي.

38. Hermann Cremer, *Jenseits des Grabes*, Gießen (Brunnen-Verlag) 1932, ص. 31, 32.

39. الترقيم هو علامات الوقف التي لم تكن موجودة في النص الأصلي، وأضيفت بعد ذلك ببضعة قرون.

40. Dictionary of New Testament Theology, Vol. 2 (Paternoster Press) 1981, ص. 206.

2.1.10 الشبول

يتضح من اقتباس المزامير 16: 10 في أعمال الرسل 2: 27 أن «هاديس» هو ترجمة الكلمة العبرية «شبول». ففي الترجمة السبعينية تُترجم كلمة «شبول» بـ«هاديس»، وأحياناً أيضاً بـ«الموت». وترد «شبول» في العهد القديم 65 مرة. وأكثر من نصف هذه المواضع نجده في أسفار أيوب والمزامير والأمثال.

ما معنى الشبول في العهد القديم؟ نستطيع أن نتبين معاني عدة لهذه الكلمة في العهد القديم. فبوجه عام يتعلق الشبول بمجال الموت، ويدخل في ذلك خوف الموت والقبر والهوة وعالم الأموات.

- الشبول بمعنى القبر أو الحفرة: التكوين 37: 35؛ 42: 38؛ 44: 29؛ العدد 16: 30؛ التثنية 32: 22؛ 1 صموئيل 2: 6؛ أيوب 7: 9؛ المزامير 139: 8؛ الجامعة 9: 10؛ حزقيال 31: 16.
- الشبول بمعنى القبر أو الحفرة، ولكن مع تلميح إلى حياة واعية بعد الموت: 2 صموئيل 22: 6؛ 1 الملوك 2: 6-9؛ أيوب 17: 13-16؛ عاموس 9: 2.
- الشبول بمعنى عالم الأموات، أي مكان إقامة النفوس: المزامير 16: 10؛ الأمثال 15: 11؛ 27: 20؛ إشعياء 14: 9-15.
- الشبول بمعنى رمزي، أي سلطان الموت والشر والخوف والضيق والأسر: المزامير 116: 3؛ إشعياء 28: 15؛ 57: 9؛ يونا 2: 2.

هذه المقاطع الكتابية توضح أن لكلمة «شبول» معاني عدة. فمن الخطأ أن يُقال إن الشبول هو دائماً القبر أو الحفرة. ومن الخطأ بالقدر نفسه إذًا أن يُنقل هذا المعنى إلى الهاديس في العهد الجديد.

كان تصوّر اليهود للشبول، في الزمن الذي روى فيه يسوع هذه القصة، يوافق في جوهره وصف الشبول أو الهاديس في لوقا 16.

يكتب شتراك وبيلبرك (Strack & Billerbeck): «إن نقاط التماس الكثيرة بين أخنوخ 22 ولوقا 16: 19 وما بعده تجعل من المرجح أن تصوّر الشبول الذي يمثله أخنوخ 22

كان قد انتشر إلى حدّ ما في الشعب اليهودي، وكان يمثّل في أيام يسوع الرأي الشعبي العام».⁴¹

ففي كتابات يهودية متنوّعة (مثل سفر أخنوخ) كان الهاديس مكان إقامة أرواح الموتى أو نفوسهم. وإلى جانب ذلك كان منتشرًا أيضًا التصوّر بأن للشّيول أقسامًا للأبرار وللأشرار. فالأبرار فيه في فرح، والأشرار في عذاب.

ومع أن الشّيول كثيرًا ما يكون القبر، فإن الشّيول والقبر مصطلحان مختلفان، لا يُستعملان دائمًا كمترادفين. فالقبر، الذي يرد بخلاف الشّيول بصيغة الجمع أيضًا، يُحفر (مثلًا التكوين 50: 5)، ويخصّ أشخاصًا معيّنين (مثلًا 1 الملوك 13: 30؛ 2 أخبار الأيام 34: 28)، وفيه توضع الجثة.⁴² وهذه الخصائص لا تنطبق على الشّيول. والملوك حرقوا يذكر في جملة واحدة ثلاثة مصطلحات ميّز بينها، ولذلك لا يمكن أن تعني الشيء نفسه: «لأن الهاوية [الشّيول] لا تتمدّد. الموت لا يسبحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك» (إشعيا 38: 18).

لذلك يبقى أن نقرّر بشأن «الشّيول» في ارتباطه بـ«الهاديس» في العهد الجديد ما يلي:

في العهد القديم لم تكن الأمور فيما وراء القبر معلنة على الإطلاق، أو كانت معلنة تليحًا فقط. لذلك لا يمكن أن يُقال الكثير عن الشّيول من منظور العهد القديم. ولا يجوز أن يُنقل معنى واحد فقط من معاني الشّيول المذكورة أعلاه (مثل معنى القبر) إلى الهاديس في العهد الجديد.

2.1.11 رفع العينين

نقرأ أن الغني رفع عينيه في الهاديس (لوقا 16: 23). و«رفع العينين» يجعلنا نفكر في إنسان يستيقظ من النوم. ويستعمل يسوع هذا التعبير ليرصف به مفاجأة الغني ودهشته، وفي الوقت نفسه فرعه. فهو يدرك فجأة محيطًا وحالة مختلفين تمامًا عمّا اعتاده حتى ذلك الحين. وهذا ما لم يكن يتوقّعه، وهو من نسل إبراهيم.

41. من .Kommentar zu Talmud und Midrasch IV

42. مثلًا 2 الملوك 13: 21؛ المزامير 88: 5؛ إرميا 26: 23.

إن «رفع العينين» يفسره الذين يحاولون أن يجدوا في هذه القصة تعليم نوم النفس على أنه القيامة. ولا يبقى تفسير آخر إذا قيل إن الهاديس هو القبر. ففي القبر لا تفتح العينان. وقد لا يبدو هذا التفسير للوهلة الأولى بعيداً تماماً، لأن العلاقة بين رقاد الموت والاستيقاظ في ارتباطهما بالقيامة قريبة إلى الذهن. ومع ذلك فهذا التفسير مشكوك فيه، لأن هذه القصة تتكلم في الآيتين 30 و31 حرفياً عن قيامة. ومن غير المألوف أن يُشار إلى القيامة مرة حرفياً، ومرة أخرى تصويرياً فقط.

والكلمة «رفع» (باليونانية *epairo*) ترد كثيراً مقترنة بـ«العينين» وبـ«النظر».⁴³ ولا يصف العهد الجديد أبداً بهذا التعبير عملية الاستيقاظ من النوم، فضلاً عن القيامة. فحين يقوم الأشرار، يُدانون مباشرة بعد ذلك أمام العرش العظيم الأبيض، ويُطرحون في بحيرة النار، التي هي جهنم (رؤيا 20: 11-15). والدينونة النهائية غير موجودة في هذه القصة. ففي الهاديس لا يُوقَف الغني بعد أمام الديان. فليس الهاديس هو الحالة النهائية، بل بحيرة النار. ولا يجوز الخلط بين الهاديس وجهنم، وإن كان هناك عذاب وألم منذ الآن. فحين يُطرح الخطاة في جهنم، لا يعود الهاديس، الذي كان مكان إقامة الأشرار، ضرورياً (انظر أعلاه).

2.1.12 من بعيد

يرى الغني لعازر من بعيد في حضن إبراهيم. والتعبير «من بعيد» يوضح استحالة بلوغ هذا المكان، والحالة الضائعة بلا رجاء والتي لا تُتغيّر. وبمعنى ما كانت هذه المسافة قائمة من قبل في حياة الرجلين. أما الآن فهذه المسافة أكبر بكثير، ولم يعد ممكناً إلغاؤها. أليس هذا أيضاً إشارة إلى أن البعد عن الله، الذي سيكابد الأشرار عقوبةً أبديةً في جهنم (2 تسالونيكي 1: 9)، يبدأ بطريقة ما مباشرة بعد الموت؟

يلتفت الغني إلى إبراهيم لينال تخفيفاً لعذابه. فيطلب أن يبَلِّ لعازر طرف إصبعه بماء ليبرّد به لسانه. لقد فهم الغني وضعه، لأن هذا الطلب ضئيل جداً، ولم يعد يوافق سلوكه المعتاد كما عُرِف من حياته. أليست قطرة الماء النازلة من الإصبع تقابل الفتات الذي اشتهاه المسكين عبثاً؟ وحتى هذا الطلب لا يُستجاب. إبراهيم أيضاً لم يعد يستطيع أن يغيّر شيئاً في حالة الغني.

43. مثلاً متى 17: 8؛ لوقا 6: 20؛ 13: 18؛ يوحنا 4: 35؛ 6: 5؛ 17: 1.

ومن ذلك يتّضح أن التأثير في الأموات - سواء كان صالحاً أو شريعاً، وسواء جاء من البشر أو من صلواتهم، أو من الملائكة والشياطين - مستبعد تماماً. فالإنسان بعد الموت هو في يد الله وحده (العبرانيين 10: 31). والكتاب المقدس لا يعرف شفاعة ولا صلوات لأجل الموتى.

2.1.13 الهوة العظيمة

بين الهاديس وحضن إبراهيم هوة عظيمة قد أثبتت، لا يمكن عبورها. ولا يكاد يوجد وصف أبلغ أثراً لكون الإنسان لا يستطيع بعد الموت أن يغيّر مكان إقامته. فلا توجد بعد فرصة للتوبة. ولا يمكن تجاوز الهوة لا بالشفقة ولا بالتعسف. والغني يرى بنفسه أنه لم يعد له أي إمكان للإفلات من هذا المكان.

لا توجد بعد الموت رحمة، لأن الحياة الأرضية للإنسان تتيح ما يكفي من الفرص والوقت لينال نعمة الله في يسوع المسيح (رومية 2: 4؛ 2 كورنثوس 6: 2). والرب يسوع ينبّه سامعيه بجديّة إلى أن الحياة الأرضية هي التي تقرر الأبدية.

ومن يستند إلى إمكان التوبة بعد الموت - بوصفه فرصة ثانية - وينادي به أيضاً، فهو كنجم تائه يدلّ على طريق إلى الظلمة (يهوذا 13). فمن المهلك أن ينتظر المرء فرصة ثانية بعد الموت. فهذا الإمكان، مهما رغب فيه الإنسان، غير موجود.

لم يعد هناك خلاص للغني، لكنه يفكر في إخوته. فإذا يستطيع أن يفعل بعد لينذرهم؟ تخطر له فكرة أنهم ربما يسمعون لشخص كان ميتاً ويستطيع أن يشهد بما يأتي بعد الموت. لكن إبراهيم يجب أن إخوة الغني لن يسمعو أيضاً لشخص يعود من الأموات. فبالنسبة إلى الذين يرفضون كلمة الله في الزمن الحاضر، لن تكفي حتى شهادة مثيرة كهذه لتحرك قلوبهم إلى التوبة.

وبعد مدة أعاد الرب لعازر آخر من الأموات (يوحنا 11). كان لعازر هذا شخصاً كالذي طلبه الغني. لكن جواب إبراهيم تأكّد في حالة لعازر. فبدلاً من قبول شهادته، ذهب اليهود إلى حدّ التشاور في قتل رب الحياة والموت، ليسكتوا هذه الشهادة لقدرته الكلية.

والرب يسوع نفسه عاد من الأموات. ومع أن قيامته ثبتت بشهود عيان، ومع أن تلاميذه نقلوا هذه الرسالة، لم يرد الناس أن يقبلوا هذه الشهادة. فقلوب البشر الفاسدة لم تُرد أن

تخضع للحق.

صحيح أن الخاطئ لا يُقاد إلى الله بالبراهين، بل فقط بقلب تائب وضمير مستنير.

أُسئلة للتعمق

- علّل لماذا ليست القصة في لوقا 16 مثلاً!
- نلخص ما يعنيه مصطلحا «الهاديس» في العهد الجديد و«الشيول» في العهد القديم!
- كيف يتضح في لوقا 16 أنه لا يمكن أن تكون هناك فرصة ثانية بعد الموت؟

2.2 إله الأحياء

في الجدال المعروف بين الصدوقيين ويسوع في الهيكل في أورشليم يدور الأمر حول قيامة الأموات. وكان الصدوقيون معروفين بأنهم لا يؤمنون بقيامة. وهذا ما يذكره البشرون متى ومرقس ولوقا بالإجماع.

«وحضر قوم من الصدوقيين، الذين يُقاومون أمر القيامة، وسألوه قائلين: يا مُعلم، كتب لنا موسى: إن مات لأحد أخ وله امرأة، ومات بغير ولد، يأخذ أخوه المرأة ويُقيم نسلًا لأخيه. فكان سبعة إخوة. وأخذ الأول امرأة ومات بغير ولد، فأخذ الثاني المرأة ومات بغير ولد، ثم أخذها الثالث، وهكذا السبعة. ولم يتركوا ولدًا وماتوا. وآخر الكل ماتت المرأة أيضًا. ففي القيامة، لمن منهم تكون زوجة؟ لأنها كانت زوجة للسبعة! فأجاب وقال لهم يسوع: أبناء هذا الدهر يُزوجون ويُزوجون، ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات، لا يُزوجون ولا يُزوجون، إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضًا، لأنهم مثل الملائكة، وهم أبناء الله، إذ هم أبناء القيامة. وأما أن الموتى يقومون، فقد دل عليه موسى أيضًا <في أمر العليقة> كما يقول: «الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب». وليس هو إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء. فأجاب قوم من الكتبة وقالوا: يا مُعلم، حسنًا قلت. ولم يتجاسروا أيضًا أن يسألوه عن شيء» (لوقا 20: 27-40، قارن مرقس 12: 18-27؛ متى 22: 23-33).

لننظر عن كثب قليلًا إلى جماعة الصدوقيين ورأيهم.

2.2.1 الصدوقيون⁴⁴

قبل أن نفحص بعض تفاصيل هذا النص، لنفسح المجال مرة أخرى للبشير لوقا، هذه المرة من سفر أعمال الرسل: «لأن الصدوقيين يقولون إن ليس قيامة ولا ملاك ولا روح» (الأصحاح 23: 8؛ قارن أعمال الرسل 4: 2). كان تعليم الصدوقيين متماسكاً ومتسقاً في ذاته. فإن لم تكن هناك قيامة، فلا وجود أيضاً للأرواح، أي لأرواح الموت⁴⁵ المنفصلة عن الجسد (العبرانيين 12: 23؛ 1 بطرس 3: 19).

والشهادة غير الكاثية للمؤرخ يوسيفوس تؤكد ذلك، إذ يكتب أن الصدوقيين كانوا ينكرون خلود النفس، وكذلك العقوبات والمكافآت في العالم السفلي.⁴⁶

يلبّح هنا إلى أن القيامة ووجود الروح-النفس خارج الجسد بعد الموت مرتبطان ارتباطاً مباشراً، ويتوقف أحدهما على الآخر. فقد عرف الصدوقيون أن القيامة والروح-النفس المنفصلة عن الجسد لا يتناقضان، بل هما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن أن يوجد أحدهما بدون الآخر. لذلك أنكروا كليهما.⁴⁷

وجواب الرب يسوع على هذه المحاجة المتحلقة هو أن الله ليس إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء (الآية 38). ويستنتج الرب هذه الحقيقة من كلمات يهوه لموسى من العليقة المشتعلة: «أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب» (الخروج 3: 6؛ انظر أيضاً الآيتين 14، 15). وكان السامعون يعرفون أن أحداً من الآباء الثلاثة لم يكن حياً على الأرض في الوقت الذي قال فيه يهوه هذه الكلمات. فقد ماتوا جميعاً. فإن كان الموت يعني الانحاء وعدم الوجود الكاملين، أو حتى المحدودين زمنياً، فكيف يستطيع يهوه أن يقول إنه إلههم؟ لكن الله عندئذ فعلاً إله أموات. لكن الله ليس إلهاً لشيء غير موجود. وقد فهم السامعون ذلك، إذ قال بعض الكتبة إنه أحسن القول. ولم يستطع

44. الصدوقيون (ربما سُموا باسم الكهنة صادوق في زمن سليمان) خرجوا من أرستقراطية كهنوتية قديمة، وشكّلوا في الفترة من نحو 150 ق.م. إلى 70 م. حزباً محافظاً وصديقاً للرومان من السلالة الكهنوتية اليهودية. وبخلاف الفريسيين، الذين كانوا خصومهم «التقليديين»، أنكر الصدوقيون استقرار حياة النفس ووجود الملائكة والأرواح. وكذلك لم يؤمنوا بتدخلات إلهية في شؤون البشر. ووفق ذلك رفضوا، بوصفهم خصوماً للفريسيين، التوراة الشفهية، وقدموا عناية الله على حرية الإرادة البشرية. ولم يعترفوا بإعلان إلا بأسفار موسى الخمسة، لكنهم رفضوا آمال القيامة والإيمان بالملائكة (أعمال الرسل 23: 8). ولأن الصدوقيين لم يكن لهم سند واسع في الشعب، فقد زالوا بوصفهم جماعة ذات تأثير سياسي وديني.

45. في هذه الآية يميز بين الملائكة والأرواح، وهذا يبرهن على أن الأرواح هنا هي أرواح الموتى. وفي مواضع أخرى يُسمى الملائكة أيضاً أرواحاً (مثلاً العبرانيين 1: 14).

46. *Geschichte des Jüdischen Krieges*، الكتاب 2، الفصل 8.14.

47. أما عند الفريسيين، فعلى العكس من ذلك، كانت هذه التعاليم جزءاً من قناعاتهم (قارن أعمال الرسل 23: 6، 7).

الصدوقيون أن يردّوا على هذه الحكمة الإلهية بشيء⁴⁸ - لقد أبكهم، لأنهم كانوا يضلّون كثيراً (متى 22: 34).

ويفسر بعضهم ذلك بأن الآباء أحياء في ذاكرة الله أو قصده، لأنهم سيقيمون يوماً. لكن هذه الآية لا تسمح باستنتاج آخر غير أن الآباء كان لا بد أن يكونوا أحياء بطريقة ما في الوقت الذي تكلم فيه الله من العليقة (أي ليس مجرد فكرة في الذاكرة). فلا يُقال إن الله «كان» إله الآباء، أو إنه «سيكون» كذلك بالنظر إلى القيامة، بل إنه «هو» كذلك، وذلك حتى اليوم. ولا يُقال أيضاً إنهم «كانوا» أحياء عنده، بل إنهم «أحياء».

ولوقا وحده يروي أن الرب يسوع وسّع حقيقة أن الأموات أحياء لتشمل جميع الناس، إذ يقول: «لأن الجميع عنده أحياء» (أي ليس الآباء فقط). وهذا يشمل بوضوح أيضاً الذين ماتوا منذ زمن بعيد - مثل الآباء.

2.2.2 موسى وإيليا على جبل التجلي

يقدم البشرون أنفسهم مثلاً للمؤمنين من زمن العهد القديم كنا حيّين بعد موتهم. فعند تجيّد يسوع⁴⁹ على جبل التجلي ظهر موسى وإيليا. أما إيليا فلم يمت، بل أصدد إلى السماء (2 الملوك 2: 11)، وكذلك أخنوخ (التكوين 5: 24).

يمكن أن نفهم أن إيليا ظهر هناك شخصياً، لأنه لم يمت. ولكن ماذا عن موسى؟ لقد مات (التثنية 34: 6؛ قارن يهوذا 9). فمن أين أتى موسى إذًا، إن لم يكن حياً بعد الموت؟ هل قام من قبل؟ لا يقول الكتاب المقدس شيئاً عن ذلك، ولا يمكن أن يكون الأمر كذلك، لأن المسيح، لا موسى، هو باكورة الراقيين (1 كورنثوس 15: 20، 23)، وقيامة المؤمنين لم تحدث بعد.

الإله الأزلي (رومية 16: 26) هو إله الأحياء. لذلك فموسى أيضاً حيّ الآن بعد موته وقبل قيامته. فالله لم يُقم موسى وإيليا لأجل هذا الظهور ثم أرقدهما ثانية. ولا يمكن تصوّر أنهما وحدهما - لا جميع المؤمنين - في حالة واعية ومباركة. فؤمنو كل العصور هم الآن جميعاً في الفردوس.⁵⁰

48. ومن اللافت أن يسوع اقتبس من سفر الخروج، لأن الصدوقيين لم يعترفوا بكلمة الله إلا في أسفار موسى الخمسة. وقد دحض في أقواله عن القيامة ووجود الملائكة والخلود (لأن الملائكة لا يموتون) عدة جوانب من تعليم الصدوقيين دفعة واحدة.

49. متى 17: 1-8؛ مرقس 9: 2-8؛ لوقا 9: 28-36.

50. قارن القسم 2.3.

وهكذا يتضح من ظهور موسى وإيليا، ومن كلمات الرب حين أجاب الصدوقين، ومن سياق الكتاب المقدس كله، أن جميع الذين ماتوا أحياء.

وكان من البديهي لكثيرين من اليهود (باستثناء الصدوقين) أن الموتى أحياء. فقد كانوا يؤمنون مثلاً بأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب هم الآن في مكان يذهب إليه أيضاً اليهودي الأمين ليستقبله الآباء هناك.⁵¹

والله نفسه ليس حافظ الحياة للناس الأحياء على الأرض فقط، بل للموتى أيضاً، لأنهم، وكل ما هو حي على الإطلاق، يعتمدون عليه. وبهذا المعنى فإن خلود النفس ليس خلوداً قائماً بذاته، بل يتوقف على الله بوصفه ينبوع الحياة.

حين تكلم الرب يسوع عن الآباء، لم يكن الموضوع الحالة بعد الموت، بل القيامة. لكنه قال إن أحد البراهين على القيامة هو أن الآباء كانوا أحياء في ذلك الوقت. وهذا بالغ الأهمية، ومعناه باختصار: لأن نفوس الموتى حية، لا بد أن تكون هناك قيامة. فلماذا الأمر كذلك؟

2.2.3 العلاقة بين الحياة بعد الموت والقيامة

إن الموت، الذي دخل العالم بالخطية، أحبط خطة الله في الخليقة فيما يخص الإنسان. فلموت يضع حداً للحياة الجسدية، أي للوجود الجسدي للإنسان على الأرض، بينما يستمر الإنسان في الحياة بوصفه شخصية روح-نفس. غير أن شخصية روح-نفس بدون جسد لم تكن قصد الله حين خلق الإنسان.⁵² ولأن مقاصده وخطته هي بلا ندامة (رومية 11: 29)، لا بد أن يُقام الجسد، لكي تتحقق خطط الله التي كانت له منذ البدء، ويستعاد الإنسان في «كليته». فلموت لا تكون له الكلمة الأخيرة. فلو كانت النفوس بلا جسد هي حالتها الأبدية، لبرهن ذلك على أن الموت قد انتصر. وعلى خلاف ذلك كان الإيمان اليوناني، الذي اعتبر الموت تحرراً دائماً من الجسد. أما القيامة فتعيد الإنسان إلى الوحدة التي أرادها الله له.

51. الكتاب الأبوكريفي 4 المكابيين 13: 16.

52. قارن القسم 3.4.

2.2.4 صورة حبة الحنطة

وبالتوافق مع حقيقة أن **الجميع** أحياء، تأتي أيضًا الصورة التي يستعملها بولس ليوخ القيامة. فهو يتكلم عن الحبة التي توضع أولاً في الأرض قبل أن تأتي بثمر. ويقارنها بالجسد الميت للمؤمن الراقء، الذي سيقوم يوماً (1 كورنثوس 15: 35-44؛ قارن يوحنا 12: 24).

ومن اللافت أن الحبة في الأرض لا تموت في الحقيقة موتاً فعلياً، بمعنى أن العملية العضوية تتوقف تماماً. فلو فُتت الحبة كلياً وتحللت، لما خرج منها ثمر أبداً. أما من الجنين الذي يبقى حياً فتخرج نبتة جديدة. فالجنين يحمل في داخله كل المعلومات الوراثية التي تحدد النبتة التي ستتمو. أما غلاف البذرة أو قشرتها، الذي يحيط بالجنين، فيسقط ويفنى. إذاً بالمعنى الحرفي لا يموت إلا هذا الجزء.

وهذه العملية إشارة أخرى إلى حقيقة أن الإنسان (وفي 1 كورنثوس 15 هو مؤمن) يستمر في الحياة بعد موته. فالغلاف الخارجي للحبة يُقارَن بالجسد الذي يفنى. ويمكن أن يُقارَن الجنين بالإنسان الداخل (2 كورنثوس 4: 16)، أي الروح-النفس. فهذا الجزء من الإنسان يستمر في الحياة بعد الموت. وهذا في الوقت نفسه هو السبب في أن الجسد يُقام ثانية، كما يُخرج الجنين ثمرًا جديدًا.

ونلفت النظر إلى أن زرع الحبة في الأرض يُسمى صراحةً «موتاً»، مع أن جزءاً منها يستمر في الحياة كما هو واضح. وليس هذا تناقضاً، لأن موت الإنسان في الكتاب المقدس لا يعني أبداً نهايته الكاملة، بل انفصال الروح-النفس عن الجسد.

أسئلة للتعمق

- ما العلاقة القائمة بين الحياة بعد الموت والقيامة؟
- لماذا لا بد أن تكون هناك قيامة؟
- إلى أي حد ليست صورة حبة الحنطة صورة للقيامة فحسب، بل أيضاً حياة بعد الموت؟

2.3 المجرم على الصليب

إن كلمات الرب يسوع المسيح لأحد المجرمين تُظهر بوضوح أن هناك حياة بعد الموت. فهو يقول هناك: «الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لوقا 23: 43).

المشهد على الجلجثة مؤثّر. فقد جاءت النهاية للمجرمين اللذين عن يمين يسوع وعن يساره. فقد نالا ما تستحقه أعمالهما. ولم يبقَ لهما أدنى بصيص من رجاء. وفي يأسه يلتفت أحد المجرمين، نادماً على ذنبه، إلى الرجل الذي في الوسط - وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يزال يستطيع أن يفعله. فقال: «اذكري يا رب متى جئت في ملكوتك» (لوقا 23: 42). يستشعر المجرم أن الرجل الذي بجانبه، والذي هو مقتنع ببراءته، لا بد أن يكون مسيئاً والملك الذي وعد به الله. فإن كان لا يزال له بطريقة ما رجاء، فهو عند الذي ستكون له يوماً، بوصفه ملكاً على الكل، الكلمة الأخيرة.

كان المجرم يفكر في تلك اللحظات في المستقبل، في الوقت الذي سيأتي فيه المسيا ليتسلم سلطانه. فإلى ذلك كان رجاء اليهودي متجهماً. فقد كان معروفاً من العهد القديم الكثير عن المسيا: سلطانه، وملكوته، وعظمته وقدرته.⁵³ وكان المجرم يعرف القيامة عند ظهور المسيا في بداية ملكوته (دانيال 12: 2؛ إشعياء 26: 19). فطلب منه أن يذكره، لكي يشهد ملكوته.

ويعطي الرب يسوع جواباً لافتاً: «إنك اليوم تكون معي في الفردوس». ويبدو الجواب لافتاً لأن المخلص لا يتناول في كلماته في الحقيقة طلب المجرم. فالمجرم يفكر في الملكوت المستقبلي، أما المخلص فيتكلم عن الفردوس. إنه لا يتكلم عن المستقبل، بل عن «اليوم».

وكان يحدث أن الرب يسوع أحياناً لا يجيب، في الظاهر، إجابة مباشرة عن الأسئلة المطروحة عليه. ولكن إذا تأمل المرء عن كثب، يكتشف كم هي رائعة أجوبته، لأنها تعلن أكثر بكثير مما قصدهت الأسئلة أصلاً (قارن يوحنا 2: 19-22). وهكذا الأمر هنا أيضاً، لأن الفردوس والملوكوت لا يعينان الشيء نفسه كما هو واضح.

لذلك لنفحص ما يفهم في الكتاب المقدس من مصطلح **الفردوس**، وما التصور الذي كان لدى المجرم، أو لدى اليهودي عموماً، عن الفردوس.

53. مثلاً المزمير 2؛ 8؛ 24؛ إشعياء 4؛ 9؛ 11؛ 53؛ دانيال 2؛ 7؛ ميخا 5 وغيرها.

2.3.1 الفردوس

الكلمة على الأرجح من الفارسية، ومعناها تقريباً «سياج أو سور دائري»، «بستان/حديقة». وكانت تُستعمل في ذلك الزمن لحدائق ملوك فارس الفخمة. واستعملت على نحو مشابه في العهد القديم أيضاً.⁵⁴ وفي الترجمة السبعينية، أي الترجمة اليونانية للعهد القديم، تُستعمل لجنة عدن، أي الفردوس الأرضي⁵⁵، أو ببساطة لجنة.⁵⁶ ومن الأصحاحات الأولى في الكتاب المقدس نعرف كم كان الفردوس الأرضي مكاناً جميلاً. لقد أعدّه الله للإنسان مسكناً. وبعد السقوط طُرد الإنسان من الفردوس، ولم يعد مسموحاً له أن يدخله. ثم لا نسمع شيئاً بعد عن هذا الفردوس. فالفردوس الأصلي الأرضي في عدن لم يعد موجوداً. وبذلك يتضح أن الرب يسوع لم يقصد هذا الفردوس.

وبما أن ما يخبرنا به العهد القديم يقتصر على الفردوس في عدن، ولا يُتكلّم في أي موضع في العهد القديم عن فردوس آخر، فإننا نستعين بالتقليد اليهودي مصدراً غير كتابي للمعلومات، لنكتشف ما كان يفهم من الفردوس في زمن يسوع.

2.3.2 الفردوس في التقليد اليهودي

عرف التقليد اليهودي، أو الجمع القديم، في زمن يسوع الفردوس في ثلاثة أشكال مختلفة.⁵⁷

- الفردوس الأصلي الأرضي، الذي كان محدّداً لكل تصوّرات الفردوس اللاحقة.
- فردوس النفوس، الذي يكون مكان إقامة لنفوس الأبرار الراقدين في أثناء الحالة الوسيطة. فقد كانوا يؤمنون بفردوس سماوي للنفوس. وبحسب هذا التصوّر أخذ إليه أخنوخ وإيليا، والآباء أيضاً.
- فردوس آخر الزمان على الأرض، الذي سيكون مركزه إسرائيل وأورشليم تحت حكم المسيا، والذي سيُسَلَّم إلى المطوّبين بعد القيامة والديونة الأخيرة.

54. نحيا 2: 8؛ الجامعة 2: 5؛ نشيد الأنشاد 4: 13.

55. التكوين 2: 8؛ 13: 10؛ إشعياء 51: 3؛ حزقيال 31: 8.

56. العدد 24: 6؛ إشعياء 30: 1؛ حزقيال 31: 8.

57. Strack & Billerbeck, Kommentar zum Neuen Testament aus Talmud und Midrasch, München (C.H. Beck).

ولأن الله أغلق الفردوس الأرضي وأخذه من الأرض، فقد وصلوا إلى اقتناع بأنه صار الآن في السماء، وأنه سيظهر في الوقت نفسه من جديد بوصفه مملكة السلام الفردوسية. فيصير الفردوس الأرضي نموذجاً للفردوس الذي في العالم الآخر والفردوس المستقبلي.

ومن التسميات الأخرى المعروفة من اليهودية لمكان إقامة المطوّين السماوي:

- «أرض الأحياء» - استناداً إلى المزامير 116: 9: «أسلك قدام الرب في أرض الأحياء».
- «حزمة الحياة» (حرفياً: حزمة الأحياء) (1 صموئيل 25: 29) - حزمة الحياة المحزومة عند الرب فُهمت كثيراً على أنها مكان المطوّين.
- «بيت الكنز»⁵⁸ - «لَتَحْفَظْ نَفْسُكَ فِي بَيْتِ كَنْزِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ».
- «تحت عرش الله» - نفوس الأبرار تُحْفَظْ تحت عرش المجد.⁵⁹
- «السماء» - النفوس تمكث في السماء حتى تتحد في القيامة بالجسد ثانية.

هذه الشواهد توضح أنه كان في زمن يسوع فهم أو تصوّر للعالم الآخر يتجاوز بوضوح إعلان العهد القديم. ومن الصعب تحديد مصدر هذا الفهم. والحاسم أن يسوع يستعمل في هذا السياق المصطلحات «الفردوس» (لوقا 23: 43)، و«جَهَنَّم»⁶⁰، و«الهاديس» (مثلاً لوقا 16: 23)، التي كانت تصف إيمان اليهود آنذاك بالعالم الآخر، ولا سيما إيمان الفريسيين. وكان بولس فريسيّاً، وكان هو أيضاً يؤمن باستمرار حياة النفس بعد الموت والقيامة. إذا لم تكن هذه المصطلحات جديدة على اليهود. وبذلك يُقرّ الرب يسوع المسيح القول الجوهري لهذا الإيمان، الذي كان يتضمّن قدراً من الحق.⁶¹ وهذه الخلفية مفيدة لفهمنا. لكن المعيار الوحيد للحكم على ما هو حق إلهي يبقى دائماً الكتاب المقدس وحده، كلمة الله الموحى بها.

58. المرجع نفسه.

59. قارن رؤيا 6: 9.

60. باليونانية «جَهَنَّا» (Gehenna) (مثلاً متى 5: 22).

61. انظر في ذلك «Facts and Theories as to a future State» في F.W. Grant, Old Testament Shadows, Charlotte, North Carolina (Books for Christians), 1972، ص. 246 وما بعدها.

2.3.3 الفردوس في العهد الجديد

من الواضح أن الرب يسوع يربط بالتصوّر السائد آنذاك، الذي يكون فيه الفردوس المكان الذي توجد فيه نفوس الأبرار المنطلقة. وهذا ما يتّضح بالضرورة من الموقف. ففي يوم موتهما على الصليب كانا سيذهبان إلى الفردوس. ومعنى ما يقوله المخلص: «لا حاجة بك أن تنتظر حتى أظهر في سلطان ملكي، كلا، بل تستطيع أن تبغني اليوم إلى الفردوس». ومات المخلص في ذلك اليوم وأسلم روحه في يدي الآب. ومات المجرم بعده بقليل. وحين مات الرب ذهب إلى الفردوس، وتبعه المجرم إلى هناك بوصفه خاطئاً نال النعمة.

ولا ترد كلمة «الفردوس» في العهد الجديد، إلى جانب لوقا 23: 43، إلا مرتين. فبولس يخبر عن الفردوس وعن الاختبار الاستثنائي لاختطافه إليه:

«أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة. أفي الجسد؟ لست أعلم، أم خارج الجسد؟ لست أعلم. الله يعلم. اختطف هذا إلى السماء الثالثة. وأعرف هذا الإنسان: أفي الجسد أم خارج الجسد؟ لست أعلم. الله يعلم. أنه اختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا ينطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها» (2 كورنثوس 12: 2-4).

يسمّي بولس الفردوس السماء الثالثة. وهذه التسمية لا ترد إلا في هذا السياق، وتُظهر بوضوح أنه فردوس سماوي. ويمكن تفسير مصطلح «السماء الثالثة» مرادفاً للفردوس على النحو التالي: السماء الأولى هي الغلاف الجوي الذي نعيش فيه، والسماء الثانية هي فضاء النجوم، والسماء الثالثة هي الفردوس حيث يسكن الله.

ونجد تشابهاً مفيداً في العبرانيين 9: 23 (قارن 8: 5). فهناك يُقال إن خيمة الاجتماع والعبادة المرتبطة بها في العهد القديم هما شبه للأمور السماوية. و«السماء الثالثة» تدلّ على تسلسل وتدرّج، كما يمكن أن تبيّنه أيضاً في خيمة الاجتماع. فمن الدار (1) كان المرء يمرّ عبر القدس (2) إلى قدس الأقداس (3). وهناك كان تابوت العهد، عرش الله. هناك كان الله يسكن. كانت خيمة الاجتماع بيت الله، مسكن الله على الأرض.⁶²

62. للمؤمنين الآن، على أساس عمل المسيح المكتمل، دخول حرّ روحياً بالإيمان إلى حضرة الله، إلى قربه المباشر (العبرانيين 4: 16؛ 19: وما بعده؛ أفسس 2: 18).

إذاً يوحى مصطلح «السما» الثالثة» بفكرة مسكن الله. وهذه سمة جوهرية للفردوس. فهناك إذاً، كما كان قديماً في خيمة الاجتماع، مجد الله. وهذا المجد يرى الآن في وجه المسيح (2 كورنثوس 4: 6-4)، لأنه جالس هناك عن يمين الله (1 بطرس 3: 22). كان من المستحيل على بولس أن يروي بكلمات بشرية عن هذا المجد الغامر. فما رآه هناك وسمعه فاق قدرة التصور البشري، كما يمكن أن نستنتج من كلماته.

لقد قرّرنا من قبل أن الرب يسوع، حين التفت إلى المجرم، ربط بالتصور اليهودي للفردوس بوصفه مكان إقامة النفوس بعد الموت. غير أنه لا يمكن أن نجد هذا المعنى في 2 كورنثوس 12: 2. ومن ذلك يتضح، كما سيظهر الموضع الثالث أيضاً، أننا لا نستطيع أن نحصر مصطلح «الفردوس» في مكان إقامة المؤمنين الراقدين فقط. فالفردوس لم «يجهز» لهذا الغرض ولفترة محدودة. ولا شك أنه لم يكن قصد الله أن يعرف بولس بحالة المؤمنين الراقدين في الفردوس. كلا، بل كان يهيم أن يريه أمجاداً سماوية، مركزها المسيح الممجّد،⁶³ وذلك تشجيعاً وتجهيزاً له لخدمته اللاحقة.

ومع ذلك تخرج من 2 كورنثوس 12 حقيقة أساسية حاسمة بالنسبة إلى الحالة الوسيطة. فبولس يذكر مرتين (الآيتان 2، 3) أنه لم يعرف هل اختطف إلى الفردوس في الجسد أم خارج الجسد. إذاً كان ممكناً له أن يكون في الفردوس خارج الجسد. وهذا بالضبط ما يحدث أيضاً حين يموت مؤمن. فجسده يفنى ويتحلّل، بينما تذهب الروح-النفس إلى الفردوس. وهذا برهان واضح على أن هناك وجوداً واعياً خارج الجسد أو بدون الجسد. وفي رؤيا 2: 7 يذكر الفردوس للمرة الثالثة:

«من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكائن. من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله».

وهنا أيضاً يذكر الفردوس السماوي. والوصف يرتبط بوصف الجنة في عدن. فهنا أيضاً يدور الحديث عن شجرة الحياة. وكانت هذه قائمة آنذاك في وسط الجنة (التكوين 2: 9)، كما أن المسيح، منذ صعوده، هو بوصفه الإنسان الممجّد مركز الفردوس السماوي. فالمسيح يرى في شجرة الحياة بوصفه ينبوع الحياة الحقيقي (يوحنا 14: 6؛ أعمال الرسل 3: 15).

63. أفسس 3: 1؛ 2: 6؛ كولوسي 1: 3-4؛ فيلي 3: 20.

ويُوعَدُ الغالبون بأنهم سيأكلون من شجرة الحياة التي في فردوس الله. وهذا الوعد، الذي يسري من حيث المبدأ على جميع المؤمنين، لا يقتصر على الفترة من الموت حتى القيامة، بل سيكون بركة المؤمنين إلى أبد الآبدين. لذلك نجد شجرة الحياة أيضًا في الخليقة الجديدة (رؤيا 22: 2، 14، 19).

ولا يقتصر مصطلح «الفردوس» هنا أيضًا على حالة وسيطة محدودة زمنيًا ومكان إقامة للنفوس المنطلقة. فهنا هو فردوس مملكة السلام والخليقة الجديدة، الذي ستمتع فيه حينئذ الأمم والقديسون القائمون من الأموات بشجرة الحياة.

ومن هذا التأمل نستنتج أن الفردوس السماوي هو المكان (وكان دائمًا كذلك) الذي يسكن فيه الله الآب. فقد ذهب الرب إلى الآب حين أسلم روحه على الصليب في يديه. وهذا المكان، مكان القرب المباشر من الله، مملوء بمجد الله الذي يرى الآن في المسيح. وإلى هناك يذهب قديسو كل العصور حين يرقدون. إنهم يذهبون إلى الوطن، لأن السماء وطنهم (2 كورنثوس 5: 8؛ فيليبي 3: 20). وهناك يقون (أي روحهم-نفسهم) إلى يوم القيامة. وهناك يتمتعون بالراحة من أتعابهم (رؤيا 14: 13) في حضرة فاديهم (فيليبي 1: 23).

2.3.4 هل يمكن تفسير لوقا 23: 43 تفسيرًا آخر؟

إذا انطلق المرء من أنه لا توجد حياة بعد الموت، فبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون الفردوس مكان النفوس الراحلة. لذلك يحاول بعضهم أن يُثبت أن الفردوس هنا هو الملكوت الآتي. لكن التقليد اليهودي (انظر ما سبق) يدحض هذه الفكرة. ويوضح ذلك، وليس أقل شيء، كلام الرب على الصليب: «اليوم [لا في المستقبل] تكون معي في الفردوس». فقد تكلم الرب عن «اليوم» لأنه ذهب إلى الفردوس في يوم موته.

ويشكّل «اليوم» مشكلة للرأي القائل إن الملكوت والفردوس شيء واحد، لأن الملكوت بقوة لم يأتِ حتى الآن. وقد حاول بعضهم حلّ هذه المشكلة بوضع الفاصلة أو النقطتين لا قبل «اليوم» بل بعده. وعندئذ لا يعود «اليوم» متعلقًا بوقت الدخول إلى الفردوس، بل بوقت قول يسوع.

ولا بد أن نلاحظ من حيث المبدأ أن كتبة العهد الجديد لم يعرفوا علامات الترقيم. فعلامات الترقيم والفصل بين الكلمات أُضيفت لاحقاً، نحو القرن الرابع الميلادي. غير أن مخطوطة واحدة فقط (!) تربط «اليوم» بالترقيم بوقت القول⁶⁴ لا بالدخول إلى الفردوس.⁶⁵ ثم إن ذلك يناقض تماماً أسلوب لوقا في استعمال الكلمة، كما تظهر المواضع لوقا 2: 11؛ 4: 21؛ 5: 19؛ 9: 22؛ 34.

والأمر نفسه يصحّ أيضاً في يعقوب 4: 13 والبرانيين 3: 7. ففي هذه الآيات نجد تركيباً مشابهاً للجملة. وهنا أيضاً لا ترد «اليوم» للدلالة على وقت القول، بل لإبراز وقت الحدث. ومعنى كلمة «اليوم» واضح لا لبس فيه. وفضلاً عن ذلك سيكون في لوقا تكرار لا لزوم له، لأن عبارة «أقول لك» واردة أصلاً بصيغة الحاضر. فهل كان المجرم لا يعرف متى سمع كلام الرب؟ كلا.

إن الرب يسوع يتجاوب في جوابه مع الحاجة الحقيقية للمجرم. وهي: ماذا سيحدث له في يوم موته، في «اليوم» الذي هو يوم الصليب؟ إلى أين سيذهب على الضفة الأخرى من الموت؟ هذا السؤال الجوهرى والحاسم في تلك اللحظات هو ما يتجاوب معه الرب يسوع، وإن لم يكن المجرم نفسه قد سأل عنه. وهكذا تتحقق في ساعات الموت توقّعات المجرم ورجاؤه بأكثر مما كان ينتظر. بل يتجاوز ذلك بكثير، لأنه يُسمح له أن يتبع المسيح مباشرة بعد موته إلى الفردوس السماوي.

وبهذا أُعطيت لنا كلمة تعزية إلهية، وهي أن ما ناله المجرم يصحّ علينا أيضاً. فحالنا كانت تماماً حال المجرم. كما بلا رجاء، ومسلمين لحكم الموت بسبب ذنب الخطية. لكن نعمته ألغت الحكم، لأنه مات على الصليب. ولذلك يحقّ لنا نحن أيضاً، إن متنا قبل مجيئه، أن نذهب إلى الفردوس. ربما لن نعفى من الموت، كما لم يُعف المجرم منه. لكن الموت يأتي بنا إلى ربنا.

فبعد أن أضاع الإنسان بنفسه بعصيانه حقّ الدخول إلى الفردوس، فإن المسيح هو الذي يفتح لنا بنعمته الطريق إلى الفردوس، لا في الخليقة الجديدة فقط، بل منذ أن نموت.

64. مخطوطة سريانية، السريانية الكيروتونية (Cureton Syrer)، القرن الخامس.

65. وقد غيرت هذه الآية أيضاً أو أُضيف إليها عند النسخ. ويمكن أن تبين من بعض المخطوطات أن أجزاء من الجمل مثل «تُشجع إذًا»، و«جنة عدن» بدلاً من «الفردوس»، و«أؤمن حقاً»، أُضيفت لاحقاً. انظر Bruce Metzger, A Textual Commentary on the

Greek New Testament, London (United Bible Societies), 1975, ص. 181، 182.

أسئلة للتعقّق

- ماذا يعني «الفردوس»
- في العهد القديم؟
- عند يسوع المسيح في لوقا 23؟
- عند بولس في 2 كورنثوس 12؟
- من يوجد هناك؟
- ما أهمية الفردوس للإنسان عموماً؟

2.4 مجد أبدي - رجاء في مواجهة الموت

لعلّ النصّ الوارد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس هو أوفى المقاطع وأغناها دلالة في موضوعنا مما نجده في رسائل العهد الجديد. فالمواجهة الدائمة مع الموت بسبب الآلام من أجل المسيح تدفع الرسول بولس إلى أن يكتب عن الموت، وعن القيامة، وعن الزمن الواقع بينهما. وتحمل هذه الآيات تعزية إلهية عظيمة (2 كورنثوس 1: 3؛ 2 تسالونيكي 2: 16) لا يعرفها العالم (1 تسالونيكي 4: 13).

قد يظن المرء أن أهل كورنثوس كانوا قد تعلّموا هذا الموضوع بتوسّع في 1 كورنثوس 15. هناك كان المقصود التصدي لتعليم ضالّ ينكر القيامة (الآية 12). وهذا دفع بولس إلى أن يكتب أموراً أساسية عن القيامة. أما هنا فالمقصود هو كيف يعمل هذا الرجاء في ضيق الحياة اليومية، وأي تشجيع وأي تعزية وأي ثقة يمكن أن يمنحها. ونقتبس النصّ بحسب سياقه من 2 كورنثوس 4: 16 إلى 5: 10:

«لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً. لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تُرى وقتية، وأما التي لا تُرى فأبدية.

لأننا نعلم أنه إن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي [أو: مسكن الخيمة]، فلنا في السماوات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي. فإننا في هذه أيضاً نثنّ مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء. وإن كنا لا بسين لا نوجد

عراة. فإننا نحن الذين في الخيمة نثقلين، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها، لكي يُبتلع المائت من الحياة. ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضاً عربون الروح. فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغربون عن الرب. لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فشق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب. لذلك نختصر أيضاً - مستوطنين كما أو متغربين - أن نكون مرضيين عنده. لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً».

في هذه الكلمة الكلاية تُوضع الأمور الزمنية الفانية والأمور الأبدية السماوية بعضها مقابل بعض. ففي ميزان الإيمان لا يزن الضيق شيئاً إذا قيس بثقل المجد الأبدى. وبالإيمان ننظر منذ الآن إلى المجد الآتي الذي دُعينا إليه (1 بطرس 5: 10؛ 1 تسالونيكي 2: 12)، بل هو منذ الآن ملكاً بالإيمان. ومسعى الروح القدس الدائم أن يقي رجاء المجد حياً في قلوبنا (كولوسي 1: 27؛ تيطس 2: 13؛ 1 بطرس 4: 14). وهذا ضروري حتماً، لأننا نميل إلى أن نوجه حياتنا نحو الأمور المنظورة وأن ندعها تتحكم فينا (4: 18).

يكتب بولس عن المجد الأبدى حين يفكر في الآلام التي نتجت عن خدمته الدؤوبة للمسيح. كم مرة واجه الموت وجهاً لوجه (2 كورنثوس 4: 7-15؛ 11: 23-28)! كان هناك احتمال أن يتألم حتى الموت من أجل المسيح. ويبدو أن بولس لم يعد يستبعد أن يموت قبل رجوع المسيح.

يتناول هذا النص الموت، والحالة بعد الموت حتى القيامة، والقيامة وتغيير الجسد المائت. ولكي يشرح بولس ذلك شرحاً محسوساً، يستخدم ثلاث صور من الحياة اليومية. إنها صور تقرب إلينا الأمور الآتية. فلم يستطع أحد من كتبة العهد الجديد أن يصف هذه الحالة الوسيطة أو جسد القيامة في المجد وصفاً نستطيع أن نفهمه.⁶⁶ كلا، بل يبقى لنا ترقب عظيم مملوء انتظاراً لنرى كم سيكون ذلك مجيداً يوماً ما.

يستخدم بولس في الآيات العشر الأولى من الأصحاح الخامس الصور التالية:

66. صحيح أن بولس اختطف إلى الفردوس، لكنه هو أيضاً لم يستطع أن يخبر بما سمعه ورآه واختبره هناك.

- بيت الخيمة الأرضي
- اللباس
- السفر والوطن

وقبل أن نتأمل الصورة الأولى عن قرب، نفحص 2 كورنثوس 4: 16، حيث نجد مفتاحاً لفهم هذه الصور.

«لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً».

هنا يُذكر مفهومان جوهريان لهما أهميتهما بالنظر إلى وجود الإنسان بعد الموت: الإنسان الخارج والإنسان الداخل.

2.4.1 الإنسان الخارج

الإنسان الخارج هو الإنسان القاني المائت، الذي تجري عملية انحلاله أمام أعيننا. ويوصف الإنسان الخارج في الأصحاحين 4 و5 أيضاً بالتعبير التالية:

- إناء خزفي (4: 7)
- جسد (4: 10)
- جسد مائت (4: 11)
- بيت خيمتنا الأرضي (5: 1)
- المائت (5: 4)

«الإنسان الخارج» هو ما يظهر من الإنسان للعالم من الخارج. وهو في وجوده الأرضي يُستنزف ويبلَى بكل ما يتدفق عليه ويهاجمه. وقد حدث هذا لبولس بصورة خاصة من خلال الاضطهاد من أجل المسيح ومن خلال تفانيه الدؤوب لأجل ملكوت الله ولأجل كنيسة الله (2 كورنثوس 4: 7-12؛ 11: 23-28).

يحيط الإنسان الخارج بالإنسان الداخل كما لو كان غلافاً له، ولهذا تتكلم أيضاً عن «الغلاف المائت». ومع ذلك فإن الفصل بين النفس والجسد، بين المادي والروحي، ليس أمراً بسيطاً هنا. فالإنسان الخارج يشمل كل ما يكون وجودنا الأرضي في جسد مائت.

والوظائف النفسية والذهنية وكذلك المشاعر مرتبطة بالإنسان الخارج ارتباطاً يجعل خيبة الأمل والاكتئاب والإنهاك تنشأ هناك.

الإنسان الخارج خاضع للفناء والزمنية. وفي النهاية سيكسر الموت الإناء السهل الكسر. لكن الله الذي أقام الرب يسوع من الموت سيعيد أيضاً في القيامة تركيب إناء الجسد المكسور، الذي تحطم كأنه شقف، وسيقدمه كاملاً (2 كورنثوس 4: 14).

2.4.2 الإنسان الداخل

لكن الإنسان لا يتكوّن من الإنسان الخارج فقط، بل من الإنسان الداخل أيضاً. والإنسان الداخل يصف الجانب المتجه نحو الداخل، غير المادي وغير المنظور من الإنسان. وفي 2 كورنثوس 4: 16-5: 10 يدور الكلام عن المؤمنين،⁶⁷ لأنهم وحدهم يختبرون التجديد اليومي. والإنسان الداخل لا يعرف حداً للعمر، فهو يتجدّد باستمرار بالروح القدس. والإنسان الداخل يستطيع أن ينظر إلى الأمور الأبدية وأن يدركها بالإيمان. والله ينعش الإنسان الداخل، فله إذاً مصدر قوة خفي.

ويتكلم بطرس عن «إنسان القلب الخفي» (1 بطرس 3: 4). فمن القلب يخرج الروح الوديع الهادئ العديم الفساد (أي الذي يتجاوز الزمن! بمعنى أنه يبقى دائماً، حتى بعد الموت).

ويقول الرب يسوع: «لأنه من الداخل، من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة ... جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان» (مرقس 7: 21-23؛ قارن متى 7: 15؛ لوقا 11: 39، 40).

الإنسان الداخل يحيا من الله ولله. وهو يُسرّ بناموس الله (رومية 7: 22). والمؤمن يتأيد بروح الله في الإنسان الباطن، ليحلّ المسيح بالإيمان في قلبه (أفسس 3: 16، 17).

ومن كل ذلك يتبيّن أن ما يقوله بولس في الآية 18 يصحّ أيضاً على الإنسان الداخل: «لأن التي تُرى وقّية، وأما التي لا ترى فأبدية». فالإنسان الداخل سيحيا إلى الأبد.⁶⁸ وهو ليس خاضعاً للموت الجسدي.

67. لغير المؤمن أيضاً إنسان داخل، ولكن بمعنى آخر، أي الروح-النفس.

68. الإنسان الداخل تسمية أخرى للخلقة الجديدة أو الإنسان الجديد. والحياة الأبدية التي بناها المؤمن ترتبط بذلك أيضاً ارتباطاً وثيقاً.

لماذا أصف مفهومي «الإنسان الخارج» و«الإنسان الداخل» بأنهما مفهومان مفتاحيان؟ في الصور التالية نجد تطابقاً: بيت الخيمة واللباس يقابلان الإنسان الخارج. وفي هذا الجسد يكون الإنسان الداخل في بيته، وفيه يسكن. إنه يسكن في بيت خيمة، ويلبس، ويمكن أن يتغرب عن الجسد.

2.4.3 بيت الخيمة الأرضي

«لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماوات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي» (2 كورنثوس 5: 1).

هنا تُعرض الصورة الأولى: وجودنا الأرضي في الجسد البشري، أي الشكل الزمني الأرضي للجسد، يُشبهُ بيت خيمة، في مقابل شكله الأبدي السماوي، البناء الذي من الله. فبولس صانع الخيام (أعمال الرسل 18: 3) يتكلم من واقع الحياة. وبيت الخيمة أرضي لأن الإنسان جُبل من الأرض (التكوين 2: 7) ومقامه في المجال الأرضي (1 كورنثوس 15: 48). وبيت الخيمة يذكر بعدم ثبات الحياة، وبالترحال، وأيضاً بالإقامة القصيرة في مكان واحد. فالإنسان سيضطرب يوماً ما أن يترك الأرض. ثم إن الخيمة نتكلم عن المأوى والمسكن. فالمرء يسكن فيها كما نسكن نحن في جسدنا.⁶⁹

وعندما يُنقض بيت الخيمة الأرضي هذا، أي وجودنا الأرضي في الجسد، بالموت، يكون لنا **مباشرة** بعد ذلك بناء من الله. هذه تعزية عظيمة، لأن الموت عندئذ هو العبور المباشر إلى شكل وجود سماوي غير مصنوع بيد. فلا يمكن إذًا مقارنته بوجودنا الأرضي في جسدنا المائت. فهذا البناء الذي من الله يصف أولاً حالتنا بعد الموت، التي يصفها الرسول في الآية 8 عبارة «نستوطن [نكون في بيتنا] عند الرب».

ويمكن أيضاً أن «يُخلع» المرء من بيت الخيمة هذا بالموت (الآية 4). فالصور الثلاث التي يستخدمها بولس تتداخل، حتى إن المسكن في الآية 2 هو في الوقت نفسه اللباس. فيمكن إذًا أن يكون المرء قد «خرج» من بيت الخيمة هذا وتركه (الآية 8). وهنا يلحُّ إلى أن الإنسان يمكن أن يكون (يسكن) في الجسد (بيت الخيمة)، ويمكنه أيضاً أن يتركه (أن يخرج منه) ليقم في مكان آخر.

69. إشعياء 38: 12؛ مرقس 14: 58؛ يوحنا 2: 19-22.

ونجد الفكرة نفسها عند الرسول بطرس في 2 بطرس 1: 13، 14. فقريباً كان سيموت شهيداً ويودّع الأرض (الآية 15)، ليكون في بيته عند ربه. وهو يستخدم لموته كلمة «خروج» (باليونانية exodus). إنه الخروج من بيت الخيمة الأرضي. ومن الواضح أن وجود بطرس لم يتوقف. لقد ذهب إلى مكان آخر وراء الموت - إلى ربه. لقد استبدل بيت الخيمة الهش ببناء الله الذي لا يهدم.

وعن شكل الوجود هذا لا نعرف إلا أنه أبدي وسماوي. لكن يمكن أن نستنتج من هاتين السمتين أن سعادتنا وفرحنا عظيمان حتى قبل قيامتنا. ومع ذلك فهي حالة وسيطة وليست الحالة النهائية. فالجسد قد انحَلَّ ولا يزال تحت سلطان الموت. ويبدو كأن الموت صاحب الكلمة الأخيرة. ولو كان الأمر كذلك، لما استطاع الله أن يبلغ تقييده الكامل. لكن الله سيبلغ غايته الأخيرة، لأنه المنتصر على الموت. وقد ثبت هذا بقيامة يسوع المسيح. لذلك سيعيد الله في قيامة المؤمنين وحدة الإنسان المكوّن من روح ونفس وجسد. وهكذا يشمل «البناء الذي من الله» أيضاً جسد قيامتنا، الذي هو نصيبنا الأبدي.

وهذا هو معنى البناء في الآيتين التاليتين 2 و4. فالله يعطي (يبني) المؤمن بيتاً أبدياً، في مقابل خيمة هشة. إنه جسد المجد الذي للمسيح الآن (فيلبي 3: 21؛ 1 يوحنا 3: 2). وهذا البيت ينتمي إلى السماء، لأنه جسد سماوي (1 كورنثوس 15: 48، 49)، له هناك غايته ووطنه. ولا يمكن للموت أن يمسه بعد ولا أن يهدمه، لأنه بيت أبدي، غير مصنوع بأيدي (بشرية)، بل مصنوع من الله.

2.4.4 اللباس

«فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء» (2 كورنثوس 5: 2).

جسدنا الأرضي يعاني من عواقب الخطية. فتحزن نئن كل يوم من الأوجاع والضيق والعوائق التي دخلت العالم بسبب الخطية. لذلك نشاق إلى اللحظة التي نال فيها جسداً جديداً لا علاقة له بعد بالخطية وعواقبها. هذا المسكن معدّ لنا. وحين يحدث ذلك، «نلبس فوق» ما علينا. (هنا تنتقل الصورة الأولى، صورة المسكن، إلى الصورة الثانية، صورة اللباس). ففي هذه اللحظة يجري تبديل اللثياب. فالثوب القديم، أي المائت (الآية

(4)، يُخلع إلى الأبد، لأنه لا بد أن يُفسح المجال لثوب الحياة الجديد. وفي 1 كورنثوس 15: 51-54 تُسمى هذه اللحظة «تغيراً».

نحن الأحياء سنتغير عندما يأتي الرب يسوع المسيح ثانيةً ليأخذ أولاد الله إلى الوطن السماوي، إلى بيت الآب (يوحنا 14: 3). وفي هذه الآية يدور الكلام عن المؤمنين الذين يكونون أحياء في تلك اللحظة فقط، لأن المؤمنين الراقدين لا «يلبسون فوق»، بل «يلبسون» حين ينالون جسد القيامة: «لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت» (1 كورنثوس 15: 53).

الأموات في المسيح سيقومون، والأحياء سيتغيرون. وعندئذ سيكون الجميع مشابهين لابن الله، ويكون لهم جسد القيامة السماوي، ليسكنوا إلى الأبد في بيت الآب السماوي.⁷⁰ وفي 2 كورنثوس 5: 3 يوجه بولس تحذيراً جاداً من العري: «... وإن كنا لا بسين لا نوجد عراة».

في هذه الجملة الاعتراضية يقرر بولس أنه على الرغم من اللباس يوجد احتمال أن يكون المرء عرياناً. هذا تناقض ظاهري، لأن من يكون لابساً لا يمكن أن يكون عرياناً في الوقت نفسه. فإذا يعني أن يوجد المرء عرياناً؟ لهذا التعبير معنى قضائي: أن يمثل المرء أمام محكمة وتُعرف حالته - مذنباً أو بريئاً. وفي هذه الآية يتعلق الحكم «بوجد عرياناً» بالحالة الروحية للقلب.

ونجد مثلاً مناسباً لذلك في آدم. فبعد أن أخطأ دعاه الله من محبته. لقد اختبأ لأنه أدرك أنه عريان (التكوين 3: 7، 10، 11). ولكي يستر عريه صنع لنفسه مئزراً من أوراق التين. لكن هذا الثوب لم يصمد أمام الله. فالأوراق لم تستطع أن تستر عريه. وأمام الله كان عرياناً على الرغم من اللباس.

عندئذ صنع الله نفسه للإنسان أقصة من جلد حيوانات (التكوين 3: 21). وكان على هذه الحيوانات أن تموت. وهذا يتكلم رمزياً عن موت المسيح ودمه المسفوك، الذي به يخلص الخاطئ، إذ يلبس «ثياب الخلاص».⁷¹

70. يوحنا 14: 1-3؛ 17: 24؛ 1 كورنثوس 15: 51-55؛ فيلي 3: 20، 21؛ 1 تسالونيكي 4: 13-18؛ يهوذا 21.
71. إشعياء 61: 10؛ لوقا 15: 22؛ غلاطية 3: 27؛ رؤيا 3: 17، 18.

المؤمن لابس برّ المسيح وملتّف به. أما غير المؤمنين فعراة روحياً، وسيقفون يوماً ما في هذه الحالة أمام الله كما وقف آدم (رؤيا 20: 11-15). هناك سيكونون مكشوفين وعريانين في خطيتهم، لأنهم ليس لهم «رداء البر». لذلك هم هالكون، ويمضون إلى العذاب الأبدي.

هذه الجملة الاعتراضية القصيرة تحذّر جادّ لكل من هم مسيحيون في الظاهر، ولم يتّخذوا إلا شكلاً خارجياً من المسيحية. فعند مجيء الرب سيظهر أنهم لم يلبسوا ثياب الخلاص، وهي الشيء الوحيد الذي يصمد أمام الله. سيأتي لهم اليوم أمام عرش الله، حين يكشف كل شيء. وعندئذ لا يعود هناك مظهر ولا تغطية، بل كل شيء عريان ومكشوف أمام عيني الله (العبرانيين 4: 13).

ويتابع النص بالكلمات:

«فإننا نحن الذين في الخيمة نثّن مثقلين، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها، لكي يتلعب المئات من الحياة» (2 كورنثوس 5: 4).

«الخلع» هو نقض (الآية 1) بيت الخيمة الأرضي بالموت. ومع أن الموت صار خادماً لنا بقيامه المسيح (1 كورنثوس 3: 22، 23)، ليأتي بنا إلى المسيح في الفردوس، لم يرد بولس أن يخلع (أن يموت)، بل أن يلبس فوق (أن يتغيّر)، ليستبدل الجسد المئات بالجسد الأبدي السماوي.

بل إن أولاد الله انتظروا مجيء المسيح وهم على فراش الموت، حتى في ساعة موتهم. فالمؤمنون لا ينتظرون الموت.⁷² بل رجاؤهم أن ينتظروا يسوع المسيح من السماء (1 تسالونيكي 1: 10)، ليتغيّروا عندئذ. لذلك يفضل بولس أن يختبر مجيء المسيح قبل موته.

«ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضاً عربون الروح» (2 كورنثوس 5: 5).

إن النظر إلى المستقبل وما يرتبط به من انتظار ليس أمراً غير مؤكّد بالنسبة إلينا. فالله يلاقينا في ضعفنا، ويعطينا - نحن الذين قد تهاجمنا الشكوك - ضماناً وكفالة. إنه يلتزم بأن

72. ومن جهة أخرى تُظهر الآيات التالية أنه إلى جانب الرجاء بحية المسيح توجد أيضاً الثقة بأن نكون عند الرب بعد الموت. وهذه، إلى جانب الرجاء بحية المسيح، تعزية عظيمة بالقدر نفسه.

يتم وعده. لقد وهبنا الروح القدس عربوناً (أو دفعة أولى) (2 كورنثوس 1: 22؛ 1 تسالونيكي 4: 8).

ولم يغيرنا الله أو يُقَمِّنَا، نخسر العربون الذي هو الروح القدس! وهذا بالضبط ما تريد هذه الكلمة أن تقولها! فالروح سيمكث معنا إلى الأبد (يوحنا 14: 16)، وهو يسكن فينا حتى بعد الموت (رومية 8: 2، 11). وهذا الحق يشهد بوضوح لحياة بعد الموت.

أجساد المؤمنين هي هيكل روح الله (1 كورنثوس 6: 19؛ 1 يوحنا 4: 13)، وستبقى كذلك إلى الأبد. والروح القدس لا يتخلّى عن أجساد القديسين التي سكن فيها (رومية 8: 11). بل سيشارك هو نفسه في عمل الله في قيامة الأجساد المائتة وتغييرها.

2.4.5 الغربة والوطن

«فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغربون عن الرب» (2 كورنثوس 5: 6).

امتلاك العربون يجعلنا واثقين كل حين، لأنه الضمان بأن كل ما هو مائت فينا سيبتلع قريباً من الحياة.

هنا تُقدّم الصورة الثالثة: الإقامة في الغربة والسكنى في الوطن. نحن نعلم أننا ما دمنا في الجسد، فلسنا عند الرب، حيث مكاننا الحقيقي. لذلك لا يمكن أن تكون إقامتنا في الغربة إلا محدودة المدة. وكلمة «مستوطنون» تعني هنا أن نسكن في الجسد أو أن يكون وطننا في الجسد. أما «متغربون عن الرب» فتعني أننا في الغربة، أي في العالم، حيث نحن غرباء ونزلاء (1 بطرس 2: 11).

هذا التقرير يلقي ضوءاً على الحالة بعد الموت. فهذه المقابلة تعني أنه لا يوجد إلا هاتان الحالتان أو هذان المكانان للإقامة. ولا تُذكر هنا بين هاتين الحالتين مرحلة وسيطة. ويرى بعضهم أن هذه المرحلة لا تعاش بوعي، ولذلك فهي ذاتياً (أي في الاختبار الشخصي) غير موجودة. لكن يتضح من هذه الآيات أن حالة وسيطة بلا وعي، أيًا كانت صورتها، غير موجودة موضوعياً. ثم كيف يمكن لله أن يشترك في حالة كهذه؟

المؤمن إما أن يكون في الجسد وإما عند الرب، ولا يوجد احتمال آخر. وهذا بالضبط هو السبب الذي يجعلنا واثقين.

«لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان» (2 كورنثوس 5: 7)

لأن الأمر يتعلق بأمور غير منظورة، وبالتالي أبدية، لا يمكن أن يُعرف هذا الحق (الآية 6) ويُفهم إلا بالإيمان (العبرانيين 11: 1). فالوطن السماوي لا يُدرك إلا بالإيمان (العبرانيين 11: 13-15). لذلك تظهر لنا هذه الآية مبدأ بالغ الأهمية لحياتنا كمسيحيين، نحن الغرباء السائرين في الطريق إلى الوطن. فرجاؤنا أمر يخص الإيمان: «لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً؟» (رومية 8: 24).

المؤمن لا يحتاج إلى روايات عن تجارب الاقتراب من الموت، ولا عما اختبره المرضى في أثناء احتضارهم. فالؤمنون يستندون حصراً إلى كلمة الله الموثوقة. ولا داعي لأن تُربكهم هذه الروايات.

«فتشق ونسّر بالأولى أن تغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب» (2 كورنثوس 5: 8).

في هذه الآية يُعكّس قول الآية 6. فقد كان بولس يفضل كثيراً أن يتغرب عن الجسد، لأنه كان يعلم أننا عندئذ نكون مباشرة مستوطنين، أي في بيتنا عند الرب. وهذه الآية آية مفتاحية لفهم الحالة بعد الموت.

فإذا مات المرء ولم يعد في الجسد، فهو إذاً في بيته عند الرب. وبهذا يكون الجسد والروح- النفس منفصلين. وإلا فكيف يمكن أن يكون المرء في الوقت نفسه خارج الجسد وفي بيته عند الرب؟

«التغرب عن الجسد» هو في الوقت نفسه غربة، لأن الروح- النفس أو الإنسان الداخل منفصل عن الجسد. هذه حالة غير كاملة لم تكن مقصودة في الأصل. فقد خلق الله الإنسان وحدة، شخصية من روح ونفس وجسد. ومع أن هذه الوحدة لم تعد قائمة بسبب الموت، فإنها ستُستعاد في القيامة. لذلك لا يتعلق «التغرب عن الجسد» بالمؤمنين القائمين من الأموات، لأن لهم جسد القيامة، ولذلك ليسوا متغربين عن الجسد. فالحالة الموصوفة هنا لا تنطبق إلا على المؤمنين الراقدين.

وعندما يكون الأمر هو الاختيار في اللحظة الحاضرة بين الغربة والوطن، أي الوصول إلى المسيح بأسرع طريق ممكن، فقد كان بولس يفضل أن يموت ليكون مع المسيح (فيلي 1: 23). ولو استطاع بولس أن يختار الطريقة التي يلبس بها البيت الأبدي، لما أراد بطبيعة الحال أن يخلع (أن يموت)، بل أن يلبس فوق (أن يتغير) (الآية 4).

«لذلك نختص أيضاً - مستوطنين كما أو متغربين - أن نكون مرضيين عنده. لأنه لا بد أننا جميعاً نَظْهَرُ أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً» (ص 5: 9، 10).

مع كل الشوق إلى الوطن وكل الانتظار أن نكون هناك قريباً، لا يجوز أن ننسى حقيقة مهمة. ففي الأبدية لن يحسب إلا ما عملناه في الجسد لمسرة الرب. وهذا سيظهر أمام كرسي المسيح. أما كل ما سوى ذلك، مما لم تكن له قيمة عنده، فلن يصمد هناك ولن يُكافَأَ (1 كورنثوس 3: 12-15). وسنرى نحن أنفسنا في تلك اللحظات حياتنا كلها بعيني المسيح، وسنوافق موافقة تامة حكمه على أعمالنا. ولا حاجة إلى أن تُعالج هناك مسألة الفداء، لأنها حُسمت منذ زمن بعيد. فالمقصود هنا حصراً هو تقييم أعمالنا.

يقول بولس إنه ينبغي أن نجتهد بكل قوتنا لنحيا لمجد الله، سواء كنا مستوطنين في الجسد (الآية 6) أو متغربين عن الرب (الآية 8). وكلا الأمرين لا ينطبق إلا على حياتنا على الأرض. هناك ينبغي أن نجتهد لنعمل الخير لمسرة الله. وسيأتي وقت لا يعود فيه ذلك ممكناً بهذه الصورة الفريدة التي لا تتكرر في الجسد، كما هي الحال الآن على الأرض، ولا يمكن تداركه بعد ذلك.

2.4.6 تفسيرات أخرى

لا ينبغي أن نحجب عن القارئ أن لهذا المقطع تفسيرات مختلفة، يُحاول بها أيضاً تأييد الرأي الذي يدحضه هذا الكتاب.

البناء الذي من الله - جسد القيامة فقط

يقول تفسير واسع الانتشار إن البناء يدلّ حصراً على جسد القيامة، لا على حالة بعد الموت وقبل القيامة. ويفهم بيت الخيمة الأرضي في هذا التفسير على أنه الجسد فقط. فإذا نُقض

بالموت، يعطينا الله جسداً جديداً كونه هو نفسه ولن يُنقض أبداً. ثم إن هذا الجسد سماوي، لأننا سنعيش به في السماء.

أوافق على هذا الرأي من حيث المبدأ، لكنني مع ذلك أرى في عبارة «فلنا بناء من الله» تديراً من الله للحظة التي نموت فيها مباشرة. فبعد نقض بيت الخيمة مباشرة يكون بيت جديد جاهزاً. وهذا ليس بعد جسد القيامة، لأن القيامة لا تحدث في تلك اللحظة. بل هو الحالة بعد الموت حتى القيامة، التي هي جزء من البناء الذي من الله. ولذلك من البديهي أيضاً أن تُدرج هذه الحالة الوسيطة هنا، لأن بولس يذكرها مباشرة في الآية 8، وفي السياق نفسه: فخارج الجسد لا يمكن للمؤمن أن يكون إلا عند الرب، ولا يوجد مكان آخر ولا حالة أخرى. لذلك لا يدور الأمر حول نوعين من الأجساد، بل حول نوعين من الحياة، نوعين من الوجود: الأرضي والسماوي.

البناء الذي من الله - جسد روعي للحالة الوسيطة

هل «البناء الذي من الله» جسد متاح للحالة الوسيطة؟ هناك سببان على الأقل يفيان ذلك: أولاً، يُقال عن هذا البناء إنه أبدي. أما الحالة الوسيطة فليست أبدية، بل تنتهي نهائياً بالقيامة. وثانياً، لا نجد في أي موضع من الكتاب المقدس يتناول هذه الحالة وصفاً لجسد خاص بهذه الفترة. فالحالة الوسيطة لا تتطلب جسداً، لأن الروح-النفس في هذه الفترة تكون منظورة كإنسان في الجسد على الأرض (رؤيا 6: 9-11). ولا يقول لنا الكتاب المقدس أكثر من ذلك عن طبيعة الإنسان في أثناء الحالة الوسيطة.

البناء الذي من الله - السماء، بيت الآب

يفهم بعض المفسرين «البناء الذي من الله» على أنه بيت الآب (يوحنا 14: 2)، وطننا السماوي (فيلبي 3: 20). لكن «البناء الذي من الله» و«السموات» يُميّز بينهما بوضوح. فالسموات هنا هي المكان الذي سنقيم فيه، ومن هذه الناحية يمكن أن نتكلم عنها كبيت الآب. أما «البناء» - وهذا المفهوم هو الذي يقود إلى الربط ببيت الآب - فيصف شكل الوجود السماوي الفردي لكل مؤمن، سواء بين الموت والقيامة أو في جسد القيامة. فهذا البناء الذي من الله نكون في السماء. وبعبارة أخرى: بهذا البناء نكون في بيت الآب.

«يوجد عرياناً» - نفوس بلا جسد؟

العُري لا يصف حالة الموت الجسدي على أنها بقاء النفس في غير وعي حتى يوم القيامة. فالمؤمنون، بحسب الآية 1، لهم بعد موتهم بناء من الله، وهم بحسب الآية 8 في بيتهم عند الرب. ومع أن هناك إمكانيات مختلفة لشرح هذه الجملة الاعتراضية، فإن احتمال حالة وسيطة بلا جسد مستبعد. إذ يستحيل أن يشعر بالحالة الوسيطة، بمعنى فيلبي 1: 23 أو 2 كورنثوس 5: 8، على أنها عري بارد مروع.

مخلوعين أم لابسين؟

يمسّ هذا السؤال مشكلة في الترجمة. فعدد كبير من المترجمين يفضلون «لابسين». ولو كانت القراءة حقاً «مخلوعين»، لما تغيّر شيء من حيث المبدأ في التفسير المعروض أعلاه. فعندئذ يكون المؤمن في الموت قد خلع، أي يكون بلا جسد، ومع ذلك لا يوجد عرياناً. فعبارة «يوجد عرياناً» لا تتعلّق بالجسد، ولا بيت الخيمة، ولا باللباس. إنها نتيجة الفحص القضائي، وتستهدف الحالة الروحية للإنسان وحدها: فإما أن يكون في المسيح، وعندئذ لا فرق إن كان في الجسد أو خارجه؛ وإما أن يكون بلا المسيح، وعندئذ يكون عرياناً إلى الأبد، سواء في الجسد أو في الموت.

أسئلة للتعمّق

- ما الفرق بين الإنسان «الخارج» والإنسان «الداخل»؟
- ما الصور الثلاث التي يستخدمها الرسول بولس في 2 كورنثوس 4-5؟
- ما التحذير الجادّ الذي يمكن أن نستخلصه من هذا المقطع؟
- ما الذي يمكن أن يؤثّر سلباً في شوقنا إلى الوطن؟

2.5 الموت ربح

الموت ربح! هذا القول يقلب رأساً على عقب كل ما يعنيه الموت للإنسان: فلم يعد عليه أن يخافه. الموت عدو بارد، حتى وإن صوّر في كثير من إعلانات النعي، ولا سيما بعد المرض، على أنه خلاص من الألم. فالموت أبعد ما يكون عن الربح، لولا وجود من انتصر على الموت. فانتصاره يحوّل حتى الموت إلى ربح.

هذه حكمة الله! فالله قادر أن يقلب كل شيء ويحوّله إلى بركة. «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رومية 5: 20)! وفي قصة شمشون نجد رمزاً جميلاً، حين قتل

الأسد، ثم استقرّ في جثته سرب من النحل وصنع عسلاً: «من الآكل خرج أكل، ومن الجاني خرجت حلاوة» (القضاة 14: 14). الموت كوحش مفترس يمزّق ويلتهم، لكن من الوحش المقتول يخرج عسل ينعش الإنسان ويقوّيه. وقد عرف بولس المنتصر على الموت:

«لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح. ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي، فإذا أختار؟ لست أدري! فأني محصور من الاثنين: لي اشتها أن أطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً. ولكن أن أبقى في الجسد أؤزم من أجلكم» (فيلبي 1: 21-24).

هذه الآيات من أوضح أقوال الكتاب المقدس عن الحالة بعد الموت.

حين كتب بولس هذه الكلمات كان في السجن (فيلبي 1: 13). فهل سيغادر هذا السجن حياً مرة أخرى؟ كان من الممكن أن يُحكم عليه بالموت. ومن هذا الموقف كتب بعض الأفكار عمّا كان يشعر به في مواجهة الموت، وعمّا كان ينتظره، وعمّا كان يشغل قلبه.

كان المسيح حتى تلك اللحظة الغاية الوحيدة لحياته ومضمونها. فند اللحظة التي لقيه فيها في الطريق إلى دمشق (أعمال الرسل 9) لم يعد له ببساطة شيء آخر سوى المسيح وقضيته. ومنذ ذلك اللقاء لم يعد بولس يحسب حياته شيئاً ثميناً عنده، بل أراد أن يتمّ الخدمة التي أخذها من الرب يسوع (أعمال الرسل 20: 24). بل كان مستعداً أن يموت شهيداً، إن كان ذلك يخدم فقط أن يتعظم المسيح (الآية 20).

وفي ذلك لاحظ بولس أن موت الشهادة لا يخدم تجيّد المسيح فقط، بل هو فضلاً عن ذلك ربح شخصي له. فهو يبيّن ما سيجلبه له الموت شخصياً. كانت حياته في الجسد مملوءة بالمسيح أصلاً. لكن موته سيغني فوق ذلك ربّحاً إضافياً. وهذا الربح سيفوق حتى شعار حياته: «لي الحياة هي المسيح». فالموت لم يكن له مجرد نهاية حياة مملوءة بالمسيح، بل العبور إلى ما هو أفضل جداً.

لا يكون الموت ربّحاً لنا إلا إذا ملأ المسيح حياتنا. أما للإنسان الذي بلا مسيح فالموت هو النهاية المرّة التي لا مفرّ منها، وانقضاء حياته الخاصة التي قرّرها بنفسه. بكلمة واحدة:

خسارة. فالحياة ضائعة لأنها بلا المسيح لا بقاء لها. والمسيح في حياة المؤمن يضمن ربح المجد الأبدي! أما بلا المسيح فالإنسان هالك إلى الأبد - خسارة لا تنتهي أبداً.

يفكر بولس فيما كان سيفضله لو استطاع أن يقرر بنفسه نتيجة سجنه: إما الموت (وهو ربح) أو الحرية (أي الحياة في الجسد). وهو ليس حزيناً البتة على البقاء هنا، لأنه يستطيع عندئذ أن يواصل خدمة الرب. وحين كان يفكر في أهل فيليبي وغيرتهم للإنجيل، كان يمتلئ فرحاً وشكراً. وكان يريد أن يعمل كل شيء لتقدم إيمانهم.

وهكذا كان بولس منجذباً إلى الاحتمالين كليهما. فمن جهة رأى الربح الشخصي العظيم، ومن جهة أخرى خدمة الرب وخير المؤمنين. وهو يعترف صراحة بأنه لا يستطيع أن يحسم أمره بسهولة.

فإذا قصد بولس بالربح بالضبط؟ كان الربح بالنسبة إليه أن ينطلق ويكون مع المسيح. فلا أقل من ذلك سيجلبه له الموت. وكان ذلك أفضل جداً، ولا يمكن مقارنته بأي حال بما اختبره حتى ذلك الحين. فعند موته سيصل في الحال إلى القرب المباشر من فاديه. وكل مدى هذا الربح كامن في كلمات قليلة: «أكون مع المسيح». كان يشاق كثيرًا إلى أن يرى فاديه وجهاً لوجه. لم تكن الراحة بعد خدمة شاقة هي ما يجذبه - وإن كان ذلك أيضاً صحيحاً⁷³ - بل شخص كان يملأ حياته منذ أن كان على الأرض. هنا كان قد عرف هذا الشخص. ولكن للأسف كانت ظروف الحياة، وليس أقلها الطبيعة القديمة، أي الجسد الخاطئ، قادرة على أن تعكّر هذه الشركة وهذه الألفة مع المسيح. لكن هناك لن يكون حتى ذلك، ولن يستطيع شيء أن يعكّر عليه حياته مع المسيح. فالشركة العميقة مع المسيح التي كان يتمتع بها هنا ستعاش هناك في كمالها.

كانت معرفة شخصه (فيلبي 3: 8) تجعله يشاق إلى الموت، لأن الموت سيأتي به، نتكادم (قارن 1 كورنثوس 3: 22)، إلى المسيح. ولا شيء غير معرفة المسيح يسوع يمكن أن يوقظ اليوم أيضاً الشوق نفسه في المؤمنين.

لكن بعد ذلك يستولي على بولس من جديد الاهتمام بالكنيسة، فيصل شخصياً إلى اليقين بأنه سيبقى لأجل نفعها (الآية 25).

2.5.1 تفسيرات أخرى

للأسف توجد أيضاً آراء خاطئة حول هذه الآيات. إذ يُنكر أن يكون المؤمن مع المسيح مباشرة بعد موته.

2.5.1.1 هل هو مجيء المسيح ثانية؟

يقول بعضهم إن الكلام هنا ليس عن موت الناس واحتضارهم، بل عن مجيء المسيح ثانية. وبحسب ذلك لا يؤتى بالمؤمنين إلى المسيح ليكونوا معه إلا عند مجيئه ثانية وما يرتبط به من قيامة. لكن هذا ليس إلا نصف الحقيقة. صحيح أننا سنبلغ الحالة الكاملة في القيامة عند مجيء الرب. لكن الكلام هنا ليس عن مجيء الرب ثانية، ولا عن بلوغ الحالة النهائية الكاملة. فبولس يتكلم عن الموت!

ولو كان الكلام هنا حقاً عن مجيء الرب، لكان من المشكوك فيه جداً أن يأتي الرب لأجل بولس وحده. وكانت النتيجة أن يبقى أهل فيلي متخلفين. فبولس يذهب، وهم يبقون هنا. هذا هو الاستنتاج لو كان الكلام هنا عن مجيء الرب. ولا نكاد نحتاج إلى التأكيد أنه لن يتخلف أي مؤمن عند مجيء الرب.

2.5.1.2 الانطلاق

وثمة سبب آخر يبين أن الكلام هنا ليس عن مجيء المسيح ثانية وعن القيامة، وهو كلمة «انطلق». فالاسم المقابل لـ«انطلق» لا يرد عند بولس إلا مرة واحدة أخرى، وذلك في 2 تيموثاوس 4: 6 («وقت انحلاي قد حضر»). وهناك يستخدمه بلا شك عن موت الشهادة الذي ينتظره.

في اللغة الدارجة في ذلك الزمان كانت كلمة «انطلق»⁷⁴ تُستعمل لوصف حلّ الجبال ورفع مرساة سفينة راسية في الميناء، توشك أن تجر. وإلى جانب ذلك كانت تُستعمل أيضاً لوصف تفكيك مخيم (قارن 2 كورنثوس 5: 1، 4؛ 2 بطرس 1: 14) عند الرحيل. وكان المفهوم يتضمن أيضاً فصل أشياء تنتمي بعضها إلى بعض. وبالنظر إلى الموت فهو انفصال الروح-النفس عن الجسد. وهذا الاستعمال الأخير لكلمة «انطلق» يدعم أيضاً الفكرة أن الكلام هنا عن الموت.

74. «انطلق» تعني هنا حرفياً «حلّ». فعند الموت يُحلّ بيت الخيمة وثوب الجسد كما لو كان ذلك (2 كورنثوس 5: 1، 4).

2.5.1.3 نوم النفس؟

ويرزعم بعضهم أيضاً أن الموت هو بداية نوم النفس. فلنفترض أن بولس سيقع بعد موته حقاً في نوم للنفس، يكون فيه في أرض لا صاحب لها بلا أي وعي. فكيف نفهم عندئذ قوله إن له اشتهاً أن ينطلق؟ هل أراد بولس أن يهرب من وضعه، وأن يفرّ من مهمته؟ لقد كانت رغبته أن يبقى لنفع أهل فيليبي وجميع المؤمنين، بدلاً من أن ينطلق إلى عدم مؤقت. وحتى لو لم يكن الزمن بعد الموت موجوداً بالنسبة إليه (ذاتياً) بحسب هذا الرأي، ولذلك لا يمرّ عليه زمن من الموت حتى القيامة، فإن الزمن كان سيمرّ على الأقل على أهل فيليبي، الذين كانوا يحتاجون إلى عون بولس وخدمته. ولو كان بولس يعلم نوم النفس، لقال على الأرجح إنه يريد أن يبقى حتى لا يخسر ساعة واحدة في نوم للنفس لا نفع منه. لقد حثّ المؤمنين على أن يفتدوا الوقت لا أن يناموا عنه (قارن أفسس 5: 16؛ كورنثوس 5: 4)!

2.5.1.4 حقّ لبولس وحده؟

يعترض بعضهم بأنه لا يمكن لكل مؤمن أن يدّعي لنفسه ما ادّعاه الرسول بولس. لا شك أن هناك أموراً كانت من حقّ بولس وحده، وأعطيت له وحده بصفته رسولاً. لكن الحالة بعد الموت واحدة لجميع المؤمنين، لأنها نتيجة عمل المسيح المكمل. فقد أحرز الانتصار على الموت لأجل الجميع. وهذه البركات لا تتوقف على مكانة معينة أو وظيفة معينة في شعب الله، ولا على اختبارات خاصة، بل هي ممنوحة لجميع المؤمنين بالطريقة نفسها وبكامل مداها.

2.5.2 أن نلقاه!

لنختم هذا الفصل بنظرة نريد أن نتعلّمها من بولس. إن كان من اليقين أن جميع المؤمنين يذهبون عند موتهم إلى المسيح، فما أثر ذلك علينا؟ هل نحن مستعدون في كل لحظة لأن يدعونا الرب يسوع المسيح إليه؟ من المهم أن يفكر المؤمن في ذلك، ليتبين هل هو متعلّق بهذه الحياة وبكل ما فيها، أم أنه مستعد أن يتخلّى عن كل شيء في أي وقت ناظراً إلى المسيح. فالانشغال بالموت بالذات يكشف أموراً كثيرة في حياتنا. هل سنثق بالرب أنه

سيعتني بعائلتنا؟ هل سنكون مستعدين أن نترك؟ لا نستبعدن أبداً، حتى ونحن أولاد الله، أننا قد ندعى في أي وقت وفي أي سن بالموت إلى ملكوته السماوي!

هل نعرف مخلصنا الآن معرفة تجعلنا لا نلقى على الضفة الأخرى غريباً بل شخصاً معروفاً لنا؟ لا يعني ذلك أننا رأيناه بالعيان. كلا، لكننا نحبه وإن لم نره (1 بطرس 1: 8). فالشركة التي يحق لنا أن نمتنع بها معه منذ الآن تُنشئ علاقة ألفة معه نواصلها هناك. والمعرفة التي حصلنا عليها هنا، وما رأيناه هنا بعيون الإيمان، نأخذه معنا إلى هناك.

سنكون مأخوذين به، لأننا عندئذ لن نراه بعد بعيون الإيمان، بل بالعيان في كل جماله.⁷⁵ أن نكون مع المسيح يعني أن نراه كما هو.⁷⁶

أسئلة للتعمق

- اشرح لماذا كان الموت ربحاً لبولس!
- هل تستطيع أنت شخصياً أن توافق على ذلك؟
- ما الشرط اللازم لذلك؟
- كيف تؤثر معرفتنا ليسوع المسيح في هذه الحياة في معرفتنا في الأبدية؟
- لماذا من الخطأ أن نتكلم عن نوم للنفس؟

2.6 الراقدون

تعبير «الراقدون» تسمية أخرى لأناس ماتوا. وبدقة أكبر، يحصر العهد الجديد هذا الوصف في الناس المرتبطين بالمسيح.⁷⁷

و«الراقاد» في حد ذاته تعبير ملطف عن الموت. لذلك ينطبق بالذات على المؤمنين، لأن الموت بالنسبة إليهم عدو مهزوم بانتصار المسيح على الموت (البرانيين 2: 14). وهذا الوصف جميل أيضاً لأن النوم لا يدوم إلا مدة معينة. ستأتي لحظة اليقظة، أي القيام (القيامة)، ويطلع يوم أبدي لن يكون له مساء بعد.

75. بالمعنى المجازي للزمير 2: 45؛ 1 الملوك 10: 7؛ إشعياء 33: 17.

76. 1 يوحنا 3: 2.

77. ترد كلمة «الراقدون» في العهد الجديد في المواضع التالية: 1 كورنثوس 15: 20؛ 1 تسالونيكي 4: 13، 14، 15؛ وترد كلمة «رقد» في المواضع التالية: متى 27: 52؛ 1 كورنثوس 7: 39؛ 11: 30؛ 15: 6، 18، 51؛ 2 بطرس 3: 4. أما في العهد القديم فلا يقتصر هذا المفهوم على المؤمنين؛ إرميا 51: 39، 57؛ دانيال 12: 2.

وتسمية الموت نوعاً⁷⁸ ترجع أيضاً إلى التشابه الظاهر للعيان بين النائم والميت. غير أن النوم ليس مجرد صورة للموت يراد بها التخفيف من حقيقته، بل يصف الحالة الحقيقية للأموات. فهذا النوم يُلحّ إداً إلى أن الموت ليس نهاية الإنسان، بل مجرد حالة محدودة زمنياً. فالنوم كما نعرفه له دائماً مدة محدّدة. وهكذا هي الحال أيضاً مع الذين رقدوا. سيأتي الوقت الذي يستيقظون فيه من النوم، أي يقومون.

والكلمة المستعملة لـ«رقد» مشتقة من المعنى الأساسي «اضطجع»، «استلقى للراحة»، «غرق في النوم». ويقابلها القيامة، التي تعني «القيام» من النوم (1 كورنثوس 15: 20، 51، 52). وهكذا يشبه هذا النوم انتظار القيامة، التي تنهي الحالة الوسيطة وتفتح الحالة النهائية.

لكن «الراقدا» لا يعني في الحقيقة أن نوم الموت يبدأ مع حلول الموت، وإن كان ذلك قد يكون متضمناً في الكلمة. بل يصف هذا التعبير عملية الموت والانطلاق. فحين تُستعمل هذه الكلمة في العهد الجديد، لا تعني أن الأموات نائمون الآن، بل أنهم يموتون وينتقلون بذلك إلى حالة أخرى. فالراقدون إذاً مؤمنون ماتوا، وهم منذ ذلك الحين في حالة حياة أخرى.

2.6.1 هل الراقدون في نوم للنفس؟

السؤال المتعلق بالحالة في الموت هو: إلّا ما يشير النوم والقيامة؟ هل يشمل هذا النوم الجسد وحده، أم يتعلّق أيضاً بالإنسان الداخل، أي بروحه-نفسه؟ فإلى متى نوم النفس هو انعدام الوعي، أو غيابه، عند الإنسان كله، مؤمناً كان أم غير مؤمن. ويزعم بعضهم أن هذا النوم يشبه انطفاء الشخص انطفاءً تاماً في ليل الموت. لكن هذا لا يفسر البتة نوم المؤمنين الذين ماتوا ولا حالة الأموات، كما تُظهر المواضع التالية.

وقبل ذلك تجدر الملاحظة أن الإنسان النائم، الذي يكون جسده في حالة سكون، يمكنه مع ذلك في الوقت نفسه أن يختبر شيئاً، في الحلم مثلاً. فمع أن الجسد غير نشيط، يمكن أن يكون اللاوعي نشيطاً. ولا يزيد بهذا إلا أن نلحّ إلى أن صورة النوم لا تعني أن النائم بلا وعي، لأنه يمكن أن يختبر نفسه ومحيطه في الحلم اختباراً حقيقياً بوصفه شخصاً. وكما أن النوم ليس إلا حالة حياة أخرى غير اليقظة، كذلك الموت حالة حياة أخرى غير الوجود

78. إرميا 51: 39؛ دانيال 12: 2؛ متى 9: 24؛ مرقس 5: 39؛ لوقا 8: 52؛ يوحنا 11: 11-14.

الأرضي للشخص نفسه. فالموت ليس محوً لوجود الشخص الذي يموت، كما أن النوم الجسدي لا يعني أن النائم بلا حياة.

2.6.2 إلام يشير الرقاد؟

ومن المثير للاهتمام في هذا السياق حدث وقع عند صلب يسوع: «... والأرض تزلزلت، والصخور تشقق، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين» (متى 27: 51ب-53).

في هذه الآية تُذكر في الوقت نفسه المفاهيم الثلاثة التي حفصناها: **القيامة، والراقدون، والأجساد**. فالمفاهيم الثلاثة مترابطة، وتوضح أن الجسد هو الذي ينام ويقام. فالنص يقول إن أجساد القديسين الراقدين قامت، وكانت النتيجة بطبيعة الحال قيام الإنسان كله، أي الروح-النفس أيضاً، لأنهم دخلوا أورشليم بعد قيامة يسوع.

لا توجد إلا قيامة **للجسد** (1 كورنثوس 15: 35-44). وحين يُقال في مواضع أخرى إن الأموات يقومون، والمقصود بطبيعة الحال الشخص كله، فهذا يُظهر أن الإنسان كله يُعاد إلى الوجود في القيامة باتحاد جسد القيامة بالروح-النفس.⁷⁹

كان رقاد هؤلاء القديسين هو الموت الذي لا يصيب إلا الجسد المائت، لا روحهم-نفسهم. ولذلك كان جسدهم وحده هو الذي أُقيم. وهنا أيضاً لا يوجد استنتاج آخر سوى أن الرقاد والإقامة لا يتعلّقان إلا بالجسد.

ففي هذا النص إذاً إشارة واضحة إلى أن حالة النوم في الموت تتعلّق بجسد القديسين. ولا يُستعمل نوم الموت في أي موضع من العهد الجديد للنفس أو للروح. ثم إن ذلك يناقض طبيعة الروح-النفس، لأنها غير مقيّدة بالجسد. فالتوم إنما هو حالة للجسد فقط.

2.6.3 مثال موت استفانوس

ويوضح ذلك أيضاً مثال موت استفانوس (أعمال الرسل 7). فقد قتله أبناء شعبه - كما قتلوا سيده قبله بمدة. وفي الدقائق الأخيرة من حياته نظر إلى السماء المفتوحة. فرأى هناك المسيح قائماً عن يمين الله، يتشفّع فيه بوصفه رئيس الكهنة الأمين، وهو في ضيق عظيم.

⁷⁹ يميّز العهد الجديد بوضوح بين قيامة الجسد والقيامة الروحية التي فيها يُحيا الأموات روحياً مع المسيح، مثلاً أُنفس 2: 5.

وحين انتهالت عليه حجارة قاتليه صليّ قائلاً: «أيها الرب يسوع اقبل روحي!» (أعمال الرسل 7: 59؛ قارن لوقا 23: 46). ومع أن هذا الموت لا يمكن مقارنته بغفوة هادئة، فإن النص يقول إنه رقد. فقد قبل الرب يسوع روحه إليه في السماء. فمن ذا الذي يريد، أمام هذا الوصف، أن يزعم أن استفانوس غرق في نوم للنفس بلا وعي؟ وإلا فلماذا انفتح له مباشرة قبل موته النظر إلى السماء، إلى المنتصر على الموت، إن كان سيقع بعد ذلك في نوم للنفس بلا وعي؟ وما معنى الطلب أن يقبل الرب يسوع روحه؟

ذهب استفانوس (أي روحه-نفسه) إلى الفردوس كما ذهب سيده لما مات. ففقد يسوع الرب يسوع وأحبائه يرقدون فيه، «في المسيح» (1 كورنثوس 15: 18). وهكذا يستقبلهم هو نفسه ويقبلهم مثل استفانوس، ليكونوا معه إلى الأبد، أولاً بوصفهم راقدين، ثم يوماً ما بوصفهم قائمين من الأموات.

2.6.4 الراقدون عند الاختطاف

الاختطاف إلى السماء هو رجاء المؤمنين. فالرب يسوع نفسه يأتي ليدخل شعبه إلى السماء. وقد تمسك أهل تسالونيكي بهذا الرجاء بصبر (1 تسالونيكي 1: 3). لكن لا بد أنهم تساءلوا، وبحق، ماذا سيحدث لإخوتهم في الإيمان الراقدين حين يُختطفون هم، الأحياء. فيشجعهم بولس ويقول إنه لا ينبغي أن يحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم، لأنه: «لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون ييسوع سيُحضرهم الله أيضاً معه» (1 تسالونيكي 4: 14).

لا أقلّ من الله الحي نفسه، الذي رجعوا إليه، قد تكفل بالراقدين. وهو سيسلمهم إلى ابنه حين يأتي من السماء للاختطاف. لقد رقدوا فيه، في يسوع ابن الله، ولذلك سيأتون بدورهم معه. وعندئذ سيحدث ما تقوله الآية 16:

«لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً».

بعبارة أخرى: يسوع يُحضر الراقدين معه من السماء، وعندئذ يقوم الراقدون، أي الأموات في المسيح.⁸⁰ هنا نرى كيف أن الروح-النفس للراقدين

80. ثمة تفسير آخر يشرح هذه الآية بأن المسيح، عند مجيئه بقوة ومجد، سـدُّ «يُحضر معه» من السماء الراقدين بعد أن يكونوا قد اختطفوا إليها.

كانت عند يسوع المسيح في السماء، ثم يُحضرها معه لتتحد بالجسد في القيامة.⁸¹ وهكذا تؤكد هذه الكلمة أيضاً أن القيامة هي اتحاد الروح-النفس بالجسد.

2.6.5 الراقدون قبل الاختطاف

وبعد أن اطمأن أهل تسالونيكي إلى أن إخوانهم الراقدين سيشترون مثلهم، هم الأحياء، في حدث الاختطاف العظيم، أعلمهم بولس الآن أيضاً أين يكون الراقدون حتى الاختطاف:

«لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل لاقتناء الخلاص برنا يسوع المسيح، الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا أو نمتنا نجيأ جميعاً معه» (1 تسالونيكي 5: 9، 10).

كلمة عظيمة تصف بإيجاز كل غنى المسيحيين! فقد اخترنا قبل كل الأزمنة للخلاص، وبعمل المسيح سيصير ذلك حقاً نصيبنا. والخلاص أتى بنا إلى أن نجيأ الآن مع المسيح إلى الأبد.

«سهرنا» تعني في هذه الآية: أن نعيش على الأرض؛ وبالتالي تعني «نمتنا»: أن نكون، بوصفنا مؤمنين،⁸² قد متنا أو رقدنا.⁸³ يقول بولس إننا في كلتا الحالتين سنجيأ مع المسيح. وهذا يعني أن الجسد ينام بينما الروح-النفس عند المسيح. فلا يترك بولس إذاً أي سؤال مفتوحاً فيما يخص الراقدين.

ليس لنا في المسيح حياة فقط، بل نجيأ أيضاً «جميعاً معه». والأول بطبيعة الحال شرط للثاني. وهنا يعني ذلك معية واعية. فهذه الصلة وهذه الشركة يختبرها الأحياء بالإيمان منذ اليوم، والراقدون كذلك، وقريباً ستختبرها هاتان الفئتان بوصفهما قائمتين من الأموات.

تصف هذه الآية الجانب الأبدى الآتي، وهو أن الأحياء والراقدين سيكونون على حدّ سواء مع الرب إلى الأبد، أي سحيون معه، ثم بعد وقت قصير يظهرون معه أيضاً علانية (2 تسالونيكي 1: 10؛ كولويسي 3: 4).

81. وهكذا يمكن أيضاً أن نفهم نشأة الإنسان. فالجبل يُنشئ الجسد، أي الإنسان الخارج، لكن الله يرسل الروح في داخله أو يجبله (زكريا 12: 1؛ المزمير 133: 15، 104: 30).

82. النائمون هنا ليسوا الأشخاص المذكورين في الأصحاح 5: 4-7، لأن هؤلاء لن يحيوا أبداً مع المسيح. فهم لا يعرفون المسيح، لأنهم أبناء الليل وفي الظلمة. وسيأتي لهم كلص، ولذلك سيُعني مجيئه لهم الدينونة.

83. لعل هذه هي المرة الوحيدة التي تدل فيها «نام» على حالة المؤمنين الذين ماتوا.

2.6.6 الخلاصة

فرقاد المؤمنين ونومهم لا يعينان إذاً أبداً نوم النفس. بل يصفان فقط وحسراً عملية الموت وحالة الجسد البشري المائت حتى وقت الإقامة.

أسئلة للتعمق

- لماذا لا يتعلّق مفهوم «رقد» إلا بالجسد؟
- ما الذي كان يقلق أهل تسالونيكي بشأن موتاهم، وكيف يشجّعهم بولس؟

2.7 المسيح - سيّد على الأحياء والأموات

إن حقيقة أن المسيح يسود على الأحياء والأموات كلمة مفتاحية في رومية 14. فهناك يدور الكلام عن مؤمنين لهم آراء وممارسات مختلفة في الأمور التي لا توجد فيها وصية صريحة من الرب، أي حيث يكون كل ولد من أولاد الله مسؤولاً شخصياً أمام ربه. فكل ما يعملهُ المؤمن موجه نحو ربه الذي ينتمي إليه. يقول بولس: «لأن ليس أحد منا يعيش لذاته»، ويضيف مؤكّداً: «ولا أحد يموت لذاته» (الآية 7). فحتى في الموت، الذي لسنا نحن من يحدّد وقته، تكون غايته في المسيح. ويكرّر بولس هذا الحق مرة أخرى:

«لأننا إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (الآية 8).

نحيا حياتنا له، ونموت في موتنا له. وهذا مؤسّس على حقيقة أننا ننتمي إلى الرب. فنحن له في حياتنا اليومية وفي الموت. وفي الموت لا نضيع منه، لأننا حتى هناك ملكه. ما أعجب ذلك! لقد أدخلنا في مشورة الله الشاملة، التي محورها ابنه:

«لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش، لكي يسود على الأحياء والأموات» (رومية 14: 9).

كانت مشورة الله قبل كل الأزمنة أن يُخضع كل شيء لابنه (أفسس 1: 9، 10، 21، 22). فبما أن الابن، الذي هو الله، خالق كل الأشياء، كان كل شيء بالضرورة خاضعاً له دائماً (كولوسي 1: 16؛ العبرانيين 1: 2، 3). ومع ذلك كان لا بد أن يُخضع له كل شيء بوصفه إنساناً أيضاً.⁸⁴ ولأن الرب يسوع أكمل عمل الفداء، وذاق الموت لأجل كل

واحد (العبرانيين 2: 9)، ومجدّ الله في ذلك تحييداً كاملاً، رُفِعَ بوصفه إنساناً فوق الكل. وهو الآن جالس على عرش الله عن يمين الآب.⁸⁵ وهناك ينتظر الوقت الذي يكون فيه جميع أعدائه تحت قدميه، لأنه لم يتسلّم بعدُ سلطانه علانية في العالم (العبرانيين 1: 3؛ 10: 12، 13). فهو لا يزال المرفوض. والله يمنح الآن أيضاً زمن نعمة، ومعه إمكانية أن يخضع الإنسان في هذا الزمن لابن الله، وأن يعترف بسلطانه، وأن يخدمه.

أولاد الله يعترفون منذ الآن بسيادة يسوع. فهم يخدمونه ويتبعونه (2 كورنثوس 5: 15؛ أعمال الرسل 7: 17). لكن سيأتي الوقت أيضاً لجميع الناس الآخرين حين يتحمّ عليهم أن يعترفوا بسيادة يسوع. وعندئذ سيرغمون على ذلك، لأن زمن فعله طوعاً سيكون قد انقضى. وعندئذ لن يسأل أحد هل هو مستعد لذلك أم لا، لأن الله يريد أن يكرم ابنه من الجميع (فيلي 2: 9-11؛ يوحنا 5: 23).

إن حقّ المسيح وسلطانه في أن يسود يتجاوزان المجال المنظور للبشر والحياة الأرضية. فحتى الأموات لا يستطيعون أن يفلتوا من سيادته. والهاديس (عالم الأموات) خاضع له كذلك. وهكذا يلتقي المسيح المجدّد الرسول يوحنا:

«فلما رأيته سقطت عند رجليه كميّ، فوضع يده اليمنى عليّ قائلاً لي: لا تخف، أنا هو الأول والآخر، والحي. وكنت ميتاً، وها أنا حيّ إلى أبد الآبدين! آمين. ولي مفاتيح الهاوية [الهاديس] والموت» (رؤيا 1: 17، 18).

هنا يقمّ الرب يسوع نفسه بوصفه الذي أخضع له الموت والهاديس. فمن معه المفاتيح معه السلطان (إشعياء 22: 22؛ متى 16: 19). فإذا تعني سيادة المسيح على الأحياء والأموات، وبأي طريقة هم خاضعون له، ومنذ متى يسود عليهم؟

تعبير «يسود» هو نفسه الوارد في لوقا 22: 25، حيث يُقال إن ملوك الأمم «يسودونهم» ويتسلّطون عليهم. فالسيادة تفترض رعايا خاضعين لسلطان السيّد، ولا بد أن يخنوا لهذه السلطة. وفي رومية 14: 9 هؤلاء الرعايا هم الأحياء والأموات.

متى تسلّم الرب يسوع سيادته؟ سبقت الإشارة إلى أن السيادة الشاملة لن تبدأ إلا في المستقبل، لأننا لسنا نرى الكل بعدُ مُخضعاً له (العبرانيين 2: 8). وسيادة المسيح على

84. قارن مثلاً المزامير 8؛ العبرانيين 2: 5-9؛ 1 كورنثوس 15: 25-28.

85. العبرانيين 8: 1؛ 12: 2؛ رؤيا 3: 21.

الأحياء تقتصر على المؤمنين، لأن غير المؤمنين لا يخضعون لابن الله. ويتّضح من سياق رومية 14 أن كل مؤمن (في الحالة العادية) يخضع حياته للرب، وهو مسؤول أمامه وحده (الآيات 7، 8، 12). فالؤمنون ينتمون إلى ربهم طوال حياتهم وفي الموت أيضاً. فسيادة المسيح إذاً، فيما يخص المؤمنين، قد بدأت منذ وجد مؤمنون يخضعون للمسيح. ففي الصورة المؤقتة والخفية للموت الله يمارس الملك، المرفوض الآن، حكمه «في المنفى» على المؤمنين (الآية 17؛ كولوسي 1: 13).

لكن في الآية 9 يُذكر الأموات قبل الأحياء، والأمر نفسه ينطبق عليهم. فهو يسود عليهم أيضاً، إذ هم تحت سلطانه. فكل إنسان يموت يواجه مباشرة بعد موته حقيقة أن المسيح هو الرب. ويقال إن «الذين تحت الأرض» أيضاً، أي الأموات الذين في الهاديس، لا بد أن تجثو ركبهم ليعترفوا بأن المسيح هو الرب (فيلبي 2: 10، 11). وهذا يعني لغير المؤمن الديونة، لأن مسألة الخطية لم تسو. فهم يمضون إلى الأبدية دون أن يكونوا مصلحين مع الله (العبرانيين 9: 27). إنهم هالكون بلا رجعة. فبعد الموت لا يعود الميت قادراً على أن يحيا حياته الخاصة، بل لا بد أن يخني نهائياً لسلطان المسيح.

والسيادة على الأموات، مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين، لا تبدو مفهومة بطبيعة الحال إلا إذا كانت محسوسة لديهم. وهذا بدوره يفترض حتماً الوعي الكامل للأموات والراقيدين. فلو لم يكن لهم وعي أو كانوا في نوم للنفس بلا وعي، لما كانت هناك سيادة للمسيح على الأموات.

لا يمكن للإنسان أن يقاوم سيادة المسيح إلا في هذه الحياة. أما بعد الموت فلا مقاومة بعد. فكل إنسان يموت ينتظره الحي والحق. لكن هناك فرقاً حاسماً. فهذا الرب، الذي هو للهالكين الديان، يلتقي المؤمنين بوصفه الذي يحبهم ومات لأجلهم. لذلك يستطيع المؤمنون، مثل بولس، أن يتطلّعوا بثقة إلى اللحظة التي يذهبون فيها بالموت إلى ربهم المحبوب، ليكونوا معه في الفردوس (فيلبي 1: 23).

ورجاءهم ليس الموت، بل رجوع المسيح (1 تسالونيكي 1: 10؛ 4: 13-18)، لكن الموت يأتي بهم إلى ربهم حتى قبل ذلك. وسيادة المسيح تعني للراقيدين فرحاً وسلاماً وسعادة لا ينطق بها. فالرب يسوع المسيح لا يمسك بيده المؤمنين الأحياء فقط، بل الراقدين أيضاً حتى القيامة، لكي لا يتلف منهم شيئاً، لأن هذه مشيئة أبيه (يوحنا 6: 39؛

(10: 29). فلا الموت نفسه يستطيع أن يفصل المؤمن عن محبة الله ومحبة المسيح (رومية 8: 38، 39)!

لا يقول الكتاب المقدس الكثير عما تقوم عليه سيادة المسيح على غير المؤمنين الذين ماتوا.⁸⁶ ويعطي بطرس إشارة حين يسمي المكان الذي يقيم فيه غير المؤمنين الأموات «السجن» (1 بطرس 3: 19، 20). فالسجن يفترض أشخاصاً وسلطات لها سلطان أن تحتجز الناس. وهذا السجن، أي الهاديس، قد وضع تحت سلطان المسيح بوصفه الإنسان الممجّد (رؤيا 1: 18). فغير المؤمنين الأموات يحتجزهم هناك ويحفظهم إلى يوم الدين (2 بطرس 2: 9) أمام العرش العظيم الأبيض (رؤيا 20: 11-15).

فالبعض يُحفظون في محضر ربه حتى القيامة (مثل لعازر في حضن إبراهيم)، والآخرين يُحتجزون حتى النطق بالحكم أمام العرش العظيم الأبيض (مثل الغني في الهاديس). لا تقتصر سيادة الرب على ممارسة سلطانه وإظهاره مرة واحدة في القيامة، حين يدعو الأموات من قبورهم (يوحنا 5: 28، 29). بل تعني خضوعاً مبدئياً ودائماً، بدأ حين جلس المسيح على عرش الله.

وخلاصة القول يمكننا أن نستنتج أن سيادة المسيح على الأموات تفترض استقراراً واعياً لحياة شخصية روح-نفس بعد الموت.

أسئلة للتعمق

- كيف يمكن شرح سيادة المسيح أو التمييز فيها:
- عند المؤمنين من جهة وعند غير المؤمنين من جهة أخرى؟
- قبل الموت وبعده؟
- كيف تبدو الحياة الواعية تحت سيادة المسيح؟

86. يمكن أن يسأل المرء بحق: كيف كان الحال في الشبول (عالم الأموات) قبل أن يتسلّم المسيح السيادة؟ ما الذي كان مختلفاً؟ هل لم يكن هناك هاديس ولا فردوس من قبل؟ يتبين من قصة لعازر والغني (لوقا 16) أن الهاديس والفردوس كانا موجودين قبل موت المسيح وقيامته. لم يقل إلا بعد موت المسيح إن المؤمنين يكونون عنده. فالفردوس يسمى «حُضْن إبراهيم»، ولا يتسم بحضور الإنسان الممجّد المسيح (ولا يمكن أن يتسم به). ومع ذلك فهو مكان بركة وحالة بركة. أما هل حدث تغيير هؤلاء المؤمنين قبل موت المسيح وبعده، فلا تعرف. غير أن المؤمنين الذين ماتوا في كل العصور يختبرون حضور المسيح منذ موته وقيامته، لأنه كان في الفردوس حين مات. ومنذ ذلك الوقت صار «أن نكون في الفردوس» يعني أن نكون مع المسيح (فيلبي 1: 23). ولا نستطيع أن نقول أكثر من ذلك في هذه المسألة، لأن الكتاب المقدس لا يقول أكثر. أما غير المؤمنين فلن يروا يسوع المسيح (حتى الديونة أمام العرش الأبيض). إنهم ليسوا عنده. لكن جميع الأموات الذين ماتوا في خطاياهم سيجعلون - كما اعتقد - يدركون إدراكاً محسوساً أن المسيح يسود الآن أيضاً على الأموات.

2.8 النفوس تحت المذبح

يكشف لنا سفر الرؤيا اكتمال طرق الله مع الخليقة، ويعطينا أيضاً إيضاحاً عن حالة الإنسان بعد الموت. وفي ذلك يتفق هذا السفر تماماً مع ما سبق أن استخلصناه من أجزاء أخرى من العهد الجديد.

«ولما فتح الختم الخامس، رأيت تحت المذبح نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله، ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم، وصرخوا بصوت عظيم قائلين: حتى متى أيها السيد القدوس والحق، لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟ فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاء، وقيل لهم أن يسريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاءهم، وإخوتهم أيضاً، العتيدون أن يُقتلوا مثلهم» (رؤيا 6: 9-11).

نقتصر في فِص هذا النص على الأسئلة التالية:

- من هي النفوس التي تحت المذبح؟
- أين توجد النفوس؟
- في أي زمن يقع هذا الحدث؟

2.8.1 نفوس الشهداء

يرى يوحنا هنا نفوس الذين ذُبحوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم. فلماذا يتكلم هنا عن نفوس الشهداء وليس ببساطة عن الشهداء؟ وما الفرق؟ النفس هي ذلك الجزء من الشهيد الذي يبقى حياً بعد الموت.⁸⁷ فالقتلة ليس لهم سلطان إلا أن يقتلوا الجسد، لا النفس. وهذه الحقيقة يقدمها الرب يسوع تعزيةً للذين يُقتلون من أجل اسمه:

«ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرُونَ أن يقتلوها، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم» (متى 10: 28).

87. قارن القسم 3.2.

وعن أشخاص كهؤلاء يدور الكلام هنا. فهم أنفسهم قُتلوا من أجل كلمة الله، أما نفوسهم فلا. والرب يسوع يميّز هنا صراحة بين النفس والجسد. فالنفس خالدة ولا يمكن قتلها، على عكس الجسد الذي يمكن قتله. لذلك يتضمّن مفهوم «النفوس» هنا أن الحياة في الجسد الأرضي قد انتهت بالموت، لكنها تستمر دون انقطاع - خارج الجسد - في عالم آخر. فيوحنا يرى النفوس، لا الأجساد الأرضية من لحم ودم، لأن هذه بقيت على الأرض.⁸⁸

في الأصحاح 6: 9 و20: 4 تدلّ النفوس بوضوح على أشخاص الشهداء. ويتّضح ذلك من أنهم يتكلمون ويكلمون. فهناك حوار حقيقي، ليس رمزيًا. والحوار يفترض وعيًا كاملاً وقدرات ذهنية نشيطة، وهي موجودة بوضوح عند هذه النفوس. وبهذا تكون شخصية الشهداء بعد موتهم قد بقيت محفوظة كاملة بكل السمات الجوهرية للشخصية الإنسانية.

يوحنا رأى النفوس. فإذا رأى يوحنا، ما دامت النفوس لم يعد لها جسد؟ من الواضح أن يوحنا رأى هيئات بشرية عرف أنها هيئات شهداء. فالهيئات البشرية وحدها يمكن أن تنال ثوبًا (أبيض) تلبسه وترتديه.⁸⁹

فللنفوس إذا «جسد» يختلف عن الجسد الأرضي وعن جسد القيامة أيضًا (لأن القيامة لم تحدث بعد). ولا نقصد بذلك جسدًا روحيًا خاصًا خلق خصيصًا لزمان الحالة الوسيطة، بل نقصد حفظ الفردية، ومنها إمكانية التعرف على الشخص بعد الموت وقبل القيامة. فالنفس هي الإنسان، وهي كذلك في هذه الحالة الوسيطة بطريقة تجعلها تظهر في العالم الآخر في جسم منظور. و«الهيئة الظاهرة» للنفس في العالم الآخر مرتبطة بالجسدية الأرضية، وإلا لما أمكن التعرف على أحد في السماء. وهذا أمر لا نستطيع تصوّره في هذا العالم. ونكتفي بأن نقرّر أن الأموات هنا لهم وعي كامل، بل يدركون أيضًا بوصفهم أشخاصًا.

88. معنى مفهوم «النفوس» في سفر الرؤيا متنوع. فالكلمة اليونانية *psyche* تُستعمل سبع مرات: 6: 9 (أشخاص الشهداء)؛ 8: 9؛ 12: 11 (الحياة، أي الوجود الأرضي)؛ 16: 3 (كل الكائنات الحية في البحر)؛ 18: 13؛ 14 (نفس الإنسان، النفس)؛ 20: 4 (المعنى كما في 6: 9). ومن المبادئ المهمة لتفسير الكتاب المقدس أن سياق النص هو الحاسم في تحديد معنى المفهوم. ونخطو أولى من المفيد طبعًا أن نستقصي كيف استعمل الكاتب نفسه المفاهيم، قبل أن نفحص استعمالها عند كتبة آخرين.

89. سفر الرؤيا مملوء بالرمزية، لكن ليس كل شيء فيه يجب أن يفسر رمزيًا. فالكلام هنا عن أشخاص حقيقيين قُتلوا وهم في مكان حقيقي.

ويُتّضح إمكان التعرّف أيضًا في ظهور موسى وإيليا على جبل التجلّي (متى 17: 1-8).
فهناك يظهر هذان الرجلان شخصيًا في هيئة بشرية (وإلا لما خطر لبطرس على الأرحح أن
يصنع لهما مظالّ). ولا بد أن نأخذ في الاعتبار هنا أن موسى وإيليا لم يكن لهما جسد
قيامة، لأن القيامة لم تحدث بعد. فهيتّهما الظاهرة تقابل الحالة بعد الموت حتى القيامة.⁹⁰

ونذكر هنا مرة أخرى أن مفهوم «النفس» هنا لا يكاد يمكن أن يُترجم بـ«حياة» الجسد.
والإفذا كان يوحنا قد رأى تحت المذبح؟ فإذا استُعمل مفهوم النفس في هذا السياق،
فالمقصود إمكانية التعرّف على الشخص. ولهذا تُستعمل بالذات كلمة «نفس» في رؤيا 6:
9 و20: 4، لأن الأمر يتعلق بإمكانية التعرّف على هؤلاء الراحلين، وهي تتوقّف أيضًا على
الجسدية. فبعد الموت تبقى شخصية الإنسان وهيئتها محفوظتين، أي الهيئة الظاهرة الخاصة
بالشخص والمميّزة له.

نلخص: النفوس هنا أشخاص ماتوا، وهم خارج الجسد في وعي كامل (أي ليسوا في نوم
للنفس) في السماء.

وأن السماء هي مكان إقامة النفوس فهذا ما سنبيّنه في القسم التالي.

2.8.2 تحت المذبح

تُرى النفوس «تحت المذبح». وهذا التعبير مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحقيقة أنهم قدّموا حياتهم
ذبيحة من أجل كلمة الله. وكونهم «تحت» المذبح يذكّر بأمر مشابه في العهد القديم. فهناك
كان دم بعض الذبائح يُسكب عند أسفل مذبح المحرقة النحاسي (الخروج 29: 12؛
اللاويين 4: 7-34). فالنفس في الدم (اللاويين 17: 10-14). ولذلك يمكن أيضًا أن
يُعبّر عن موت الإنسان بسكب النفس (المزامير 141: 8؛ إشعياء 53: 12). وفي العهد
الجديد الذبيحة صورة معروفة لبذل الحياة لله (فيلي 2: 17؛ 2 تيموثاوس 4: 6؛ رومية 12:
1).

يرد المذبح في سفر الرؤيا ثماني مرات: ص 6: 9؛ 8: 3، 3، 5؛ 9: 13؛ 11: 1؛ 14:
18؛ 16: 7. ولا يميّز سفر الرؤيا، كما في العهد القديم، بين مذبحين (مذبح المحرقة النحاسي

90. أدرك أن هذا الظهور يمثّل استثناءً، ولذلك لا يمكن أن يُستنتج منه ما يصحّ على الجميع. وإنما أقرّ فقط أن هذا الاستثناء يمكن
تفسيره تفسيراً متماسكاً في ضوء جميع أقوال الكتاب المقدس الأخرى.

ومذبح البخور)، وإن كان يمكن أن نفكر في بعض المواضع في مذبح المحرقة النحاسي (6: 9؛ 16: 7)، وفي مواضع أخرى في مذبح البخور الذهبي (8: 3؛ 9: 13).
ويُحدّد موضع المذبح تحديداً دقيقاً جداً.

- إنه في الهيكل الذي في السماء: «ثم خرج ملاك آخر من الهيكل الذي في السماء ... وخرج ملاك آخر من المذبح له سلطان على النار» (14: 17، 18).
- إنه أمام عرش الله: «ورأيت السبعة الملائكة الذين يقفون أمام الله ... وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح، ومعه مبخرة من ذهب، وأعطى بخوراً كثيراً لكي يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش» (8: 2، 3).
- إنه في القرب المباشر من الله: «وسمعت صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبح الذهب الذي أمام الله» (9: 13).

وبهذا يتضح أين توجد نفوس الشهداء. إنهم يقيمون في القرب المباشر من الله. وهذا المكان يقابل الفردوس الذي ذهب إليه الرب يسوع حين أسلم روحه إلى يدي الآب بعد أن مات على الصليب (لوقا 23: 43، 46). فقد ذهب الرب إلى القرب المباشر من الله، إلى أبيه. وإلى «الفردوس السماوي» نفسه اختطف بولس، حيث سمع كلمات لا ينطق بها (2 كورنثوس 12: 2-4).

ماذا تفعل النفوس تحت المذبح؟ قيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً. وهذه ليست راحة نوم النفس، ولا وجوداً بلا وعي، بل حالة واعية يتمتع فيها بالراحة سعادة مريحة. فالنص يقول صراحة:

«طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعم يقول الروح، لكي يستريحوا من أتعابهم، وأعمالهم تتبعهم» (رؤيا 14: 13).

لقد انقضى بالنسبة إلى هؤلاء زمن التعب والعمل. وهم يتمتعون بأنه يُسمح لهم أن يستريحوا في محضر الله. وارتباط النفوس بالمذبح يسمح أيضاً بالاستمتاع أنه مكان سجود (رؤيا 8: 3). فالقديسون سيسجدون مندهشين وهم يتأملون مجد الله في وجه المسيح.

نكرّر: النفوس موجودة أمام عرش الله، في قربه المباشر، وتستريح من أعمالها. إنها تعالين مجد الله وتسجد له.

وهنا نلاحظ تطابقاً لافتاً بين مكان إقامة القديسين الراقدين وسائر أقوال العهد الجديد، وهذا ما لا يُتَوَقَّع غيره نظراً إلى وحدة الكتاب المقدس. فجميع القديسين الراقدين نجدهم بلا استثناء في المكان الذي يسميه الرب يسوع الفردوس. إنهم مع المسيح، وهم هناك مستوطنون، أي في بيتهم عند الرب.

2.8.3 في أي زمن يقع هذا الحدث؟

نعود مرة أخرى إلى أن النفوس أناس ماتوا، ولا يزالون في حالة الموت. يُقال إنهم ذُبحوا (الآية 9)، وإن دمهم سُفِكَ (الآية 10)، وإنهم قُتِلُوا (الآية 11). إنهم تحت المذبح. ولا يُسمون «إخوة» (الآية 11ب) - مثل العبيد رفقاءهم الذين لا يزالون أحياء - بل «نفوساً»، لأنهم لم يقوموا بعد. فقيامة هؤلاء الشهداء لم تحدث بعد في وقت فتح الختم الخامس (رؤيا 6: 9).

لماذا نعتقد أن القيامة لم تحدث بعد؟ إنهم يصرخون طالبين الانتقام للظلم الذي وقع عليهم. ولا يُستجاب هذا الطلب في الحال. بل يُقال لهم أن ينتظروا زماناً يسيراً، حتى يُكَلَّ إخوتهم الذين لا يزالون على الأرض حياتهم هم أيضاً بموت الشهادة. فالانتقام لدم عبيده (2: 19) سيجريه الرب يسوع المسيح نفسه عند ظهوره بقوة. ولن تحدث القيامة إلا عند ظهور المسيح (20: 4). فهي إذاً لم تحدث حتى ذلك الحين، لأن الإخوة لا يزالون على الأرض ويضطهدون.

وهكذا يمكننا أن نستنتج من الإشارات القليلة المذكورة تحت الختم الخامس أن قيامة الإخوة ومجيء المسيح لم يحدثا بعد. فالمشهد في 6: 9-11 يصف حالة النفس بعد الموت.

2.8.4 المطالبة بالانتقام

نعود الآن مرة أخرى إلى مطالبة النفوس بالانتقام. فالذين يتكرون الحياة الواعية بعد الموت لا يفهمون هذه الكلمات على أنها قيلت شخصياً، بل يفسرونها تفسيراً رمزياً بحثاً (قارن التكوين 4: 10؛ يعقوب 5: 4؛ لوقا 19: 40). ثم إنهم يحتجون بأن المسيحيين لا يصرخون أبداً طالبين الانتقام، لأنهم يريدون أن يقتدوا بمثال المسيح الذي صلي حتى وهو على الصليب لأجل قاتليه. لذلك - بحسب قولهم - لا يمكن للدم أن يطالب بالانتقام إلا رمزياً، مثل دم هابيل.

ومن اللافت حقاً أن النفوس تطالب بالانتقام، وأنها بذلك لا تتفق فعلاً مع ذهن المسيحي. غير أنها لا تكون منكراً للذهن المسيحي إلا لو كانت مسيحية. فخل هذه المسألة يتوقف على كيفية تفسير سفر الرؤيا تاريخياً. ويتعلق ذلك قبل كل شيء بالسؤال: هل نقف نحن المسيحيين، من الناحية التاريخية، في بداية سفر الرؤيا، أم في وسطه، أم في نهايته؟ ومن دون أن أستطيع التوسع في ذلك هنا، أعرض باختصار الإطار التاريخي أو النبوي بحسب فهمي.

بحسب التقسيم الوارد في رؤيا 1: 19 تقدّم الرسائل السبع لمحة نبوية عن تاريخ الكنيسة المسيحية من بدايتها إلى نهايتها. وبناءً على ذلك لا يعود المسيحيون المولودون ثانية، ابتداءً من الأصحاح 4، على الأرض، بل في السماء. وهناك يُصور المسيحيون مع مؤمني زمن العهد القديم، بوصفهم مؤمنين بمجدّين، في الأربعة والعشرين شيخاً.

وبعد أن يكون المسيحيون في السماء، سيأتي إلى الإيمان أناس من إسرائيل (رؤيا 7: 3-8) ومن الأمم أيضاً (رؤيا 7: 9-12). وهذا يعني إذاً أن النفوس التي تحت المذبح ليسوا مسيحيين، ولا ينتمون إلى كنيسة الله. فالنفوس التي تحت المذبح آمنت بالكراسة ببشارة الملكوت، التي سيُكرز بها بعد اختطاف الكنيسة (متى 24: 14). وهم يُقتلون من أجل إيمانهم. وصراخهم طالبن الانتقام هو صراخ نموذجي من العهد القديم (التثنية 32: 43، 2 الملوك 9: 7؛ المزمير 79: 10)، وليس مسيحياً. لذلك ليس من الضروري أن تُفهم المطالبة بالانتقام فهماً رمزياً، لأنها تقابل فهم المؤمنين ومكاتبهم في زمن الضيقة.

أسئلة للتعمق

- إلى أي حدّ يمكن أن يكون الخبر عن «النفوس تحت المذبح» تعزية لنا؟
- لماذا يدور الكلام هنا عن قديسين ماتوا؟
- أي جسد لهم؟

2.9 الحياة الأبدية

حين ينشغل المرء بحالة الإنسان بعد الموت، أو في القيامة، أو في الأبدية، يصطدم بالضرورة تقريباً بما يسمّيه الكتاب المقدس «الحياة الأبدية».⁹¹ وليس أقلّ شيء أن الحياة

91. جميع المواضع في العهد الجديد التي يدور فيها الكلام عن الحياة الأبدية هي: متى 19: 16، 29؛ 25: 46؛ مرقس 10: 17، 30؛ لوقا 10: 25؛ 18: 30؛ يوحنا 3: 15، 16، 36؛ 4: 14؛ 5: 36؛ 6: 27، 40، 47، 54؛ 8: 10؛ 12: 25، 50؛ 17: 3؛ 21: 1؛ 22: 14؛ 23: 49؛ 24: 25، 26، 27، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100.

الأبدية، بوصفها عنصراً فريداً في الرسالة المسيحية، تقف في مواجهة الموت والفناء. فكم كان الإنسان سيدفع لو استطاع أن يشتري هذه الحياة، وأي شيء لا يبذله ليمتلكها! وبأن الله يمكننا حقاً أن ننال هذه الحياة، وذلك بلا ثمن. لذلك لا يمكن أن يدور الكلام فيما يتعلق بالحياة الأبدية إلا عن المؤمنين. فهم وحدهم لهم الحياة الأبدية، لأنهم يؤمنون بأن الله ويخضعون له.⁹² إنهم يملكون الحياة الأبدية هبة من نعمة الله (رومية 6: 23).

ما أهمية الحياة الأبدية بالنظر إلى موت المؤمن؟ هل يمكن أن يسلم الحياة الأبدية أو يفقدها في الموت، ثم توهب له من جديد في القيامة؟ قبل أن نفحص هذا السؤال، لا بد أن نوضح أولاً ما هي الحياة الأبدية أصلاً.

2.9.1 ما هي الحياة الأبدية؟

لا شيء ولا أحد أزلي أبدي إلا الله. فهو الأزلي الذي لا بداية له ولا نهاية (التكوين 21: 33؛ إشعياء 40: 28؛ رومية 16: 26). لذلك فالحياة الأبدية هي حياة الله الأزلي نفسه. وعن ابن الله الأزلي يسوع المسيح يُقال: «هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية» (1 يوحنا 5: 20). وهو يشهد عن نفسه: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يوحنا 14: 6؛ قارن 11: 25). فالحياة الأبدية متجسدة في الابن. له الحياة في ذاته (يوحنا 1: 4)، ولذلك كان الوحيد الذي يستطيع أن يعلنها. «الحياة الأبدية هي حياة الله نفسه الواعية، المفكرة، المريدة، الشاعرة، العارفة، المحبة».⁹³

وثمة سمة أخرى من سمات الله ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه الحياة: الله يسكن في السماء (المزامير 115: 3؛ متى 6: 9 وغيرها)، ولذلك فالحياة الأبدية هي حياة السماء. هناك موطنها. وهذه الحياة لا تنتمي إلى مجال الحياة الطبيعية في هذه الخليقة. بل تنتمي إلى عالم آخر يقع خارج نطاق الحواس البشرية (2 كورنثوس 4: 18).

وبهذا المعنى يكلم يسوع نيقوديموس عن الحياة الأبدية. فهو يسميها «السماويات» (يوحنا 3: 12). الحياة الأبدية هي الحياة في بيت الآب (يوحنا 14: 3)، التي نسم بشركة الآب والابن (1 يوحنا 1: 2، 3) ومحبتهم (يوحنا 17: 24).

⁹² يوحنا 3: 16، 36؛ 6: 40، 47، 54؛ 10: 28؛ 11: 25؛ 1 يوحنا 5: 13.
⁹³ W.J. Ouweneel، «Das ewige Leben» Neustadt (Ernst-Paulus Verlag)، 1980. ص. 9.

الحياة الأبدية هي خلاصة ملء البركة السماوية (أفسس 1: 3) والغنى الروحي الذي وهب للمؤمنين في المسيح. ومن ذلك أنهم أدخلوا في شركة الآب والابن (1 يوحنا 1: 4-1؛ يوحنا 14: 23؛ 1 كورنثوس 1: 9). وهم يملكون الحياة الأبدية منذ الآن، ولا ينتظرون أن ينالوها في المستقبل (يوحنا 3: 36؛ 5: 24).

2.9.2 الحياة الأبدية والخلود

كثيراً ما يُخلط بين هذين المفهومين، كما لو كانت الحياة الأبدية والخلود شيئاً واحداً. وهذا خطأ كبير. فما سبق يتضح أن الحياة الأبدية لا تتضمن في المقام الأول مدة زمنية أو طول الحياة (الكم)، بل تصف «نوعية» الحياة. ونوعية الحياة الأبدية قائمة في أنها حياة الله الأزلي الساكن في السماء. وهذه الحياة تحمل معها كل ملء الله الذي في الابن. إنها الحياة التي يُتمتع بها في بيت الآب، حيث سكن الإله المثلث الأقانيم منذ الأزل. لذلك لا يكفي أن نسوي الحياة الأبدية بالخلود أو بالوجود الأبدي.⁹⁴ طبعاً تتضمن الحياة الأبدية الخلود أيضاً، وإلا لما كانت حياة «أبدية». لكن معنى الحياة الأبدية يتجاوز بكثير الجانب الزمني.

وإذا استعمل «الحياة الأبدية» و«الخلود» بوصفهما مترادفين، فقد يُستنتج بسهولة استنتاج خاطئ، وهو أن الناس غير المؤمنين، الذين لا يملكون الحياة الأبدية، ليس لهم وجود أبدي. لكن الوجود الأبدي لا يتوقف على امتلاك الحياة الأبدية.

ومرة أخرى: الحياة الأبدية ليست مجرد حياة لا تنتهي أبداً، بل حياة مختلفة كلياً. وهذه الحياة لا يملكها غير المؤمن. ويوضح يوحنا ذلك حين يتكلم عن الذين «لن يروا حياة [أبدية]». بل يمكث عليهم غضب الله (يوحنا 3: 36). لكن غضب الله لا ينحصر في أن يُفنى الإنسان فتكون النتيجة الموت الأبدي. فعضب الله موجه ضد خلائق مسؤولة، ولذلك لا يمكن أن «يمكث» إلى الأبد إلا على أناس يوجدون هم أيضاً دائماً، أي إلى الأبد. وهذه الآية توضح أن هناك فرقاً كبيراً بين الحياة الأبدية والوجود الأبدي.

⁹⁴، يستطيع القارئ أن يجرب بنفسه أن يقرأ «الخلود» بدلاً من «الحياة الأبدية». وسرعان ما سيلاحظ أن المفهومين لا يمكن تبادلها إلا في أقل الحالات.

2.9.3 كيف يستطيع إنسان أن ينال حياة الله؟

ما كان للبشر أن ينالوا الحياة الأبدية، أي حياة الله، لو لم يصر الله نفسه إنساناً. وهذا بالضبط ما حدث. يقول الرسول يوحنا عن كلمة الحياة، الذي هو المسيح نفسه: «فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الأب وأظهرت لنا» (1 يوحنا 1: 2).

المسيح هو كلمة (logos) الحياة، أي التعبير الكامل عن الحياة وإعلانها، لأن فيه كانت الحياة (يوحنا 1: 4، 14: 6). له الحياة في ذاته بوصفه إنساناً، ولذلك يستطيع أن يعطيها للناس (يوحنا 5: 26). صار الكلمة جسداً ليأتي بالحياة إلى العالم، لأن الناس كانوا مطروحين في الموت (يوحنا 5: 24، أفسس 2: 1). وكان الموت الروحي نتيجة الخطية. لذلك كان لا بد أن يصير ابن الله كفارة لخطايانا (1 يوحنا 4: 9، 10)، لكي ننال الحياة.

إنها حياة «روحية» ينالها الذين هم أموات روحياً في خطاياهم (كولوسي 2: 13). فهم ينالون الحياة هبةً من الله حين يؤمنون باسم ابن الله (1 يوحنا 5: 13). ولهذا يلزم تدخل الله بالولادة الثانية، لأن الإنسان لا يستطيع أن يحدث هذه الولادة من ذاته (يوحنا 1: 13). ومع الولادة الثانية تبدأ قصة الحياة الروحية لهؤلاء الناس، ولن تنتهي أبداً.

وتصير هذه الحياة ملكهم، حتى إنهم يملكونها في أنفسهم (يوحنا 6: 53؛ 1 يوحنا 3: 15). وفي الوقت نفسه يُقال إنهم يملكونها في الابن (1 يوحنا 5: 11)، لأنهم لا يستطيعون أن يملكوها إلا في اعتماد عليه، هو مصدر الحياة. فلا يمكنهم أن يملكوها خارجاً عنه. وهكذا يصيرون «شركاء» الطبيعة الإلهية (2 بطرس 1: 4)، كما أن الورقة لا يمكن أن تكون نضرة خضراء إلا وهي على الغصن.

2.9.4 كيف يملك المؤمنون الحياة الأبدية؟

الحياة التي نالها المؤمنون بالولادة الثانية (يوحنا 3؛ 1 بطرس 1: 23-25) ويملكونها أمام الله هي «الحياة الأبدية». وهذا يعني أن هذه الحياة ليست مجرد جزء من المؤمنين يمكن أن ينفصل عنهم مرة أخرى (لأي سبب كان). إنها ليست كهديّة ثمينة قد يخسرها المرء في بعض الظروف. فالحياة الأبدية صارت حياة المؤمنين؛ إنها حالتهم ووجودهم الجديد أمام

الله في المسيح. وهذا الوجود الجديد بوصفهم أحياء من بين الأموات يصفه بولس بأنه خليفة جديدة،⁹⁵ وبأنه عمل الله.⁹⁶ فنوال الحياة الجديدة يصير الخاطئ إنساناً جديداً.

ولتوضيح ما قيل: نحن لا نحل حياتنا الطبيعية (باليونانية *bios*) معنا كطرد يمكن أن نخسره دون عواقب. فن يخسرها يموت. فالحياة الطبيعية تعني مكاننا الأرضي كله، الذي ينتهي بالموت الجسدي. وبهذا يمكن أيضاً مقارنة الطريقة التي نملك بها الحياة الأبدية. فلو أمكن أن نخسر الحياة الأبدية، لتهدمت بذلك الخليفة الجديدة. لكن العكس تماماً هو الصحيح. فالخليفة الجديدة لا يمكن أن تُهدم بعد، لأنها عمل الله في المسيح يسوع.

الحياة على الأرض تتضمن وجوداً واعياً يجعل الإنسان شخصاً. إنها القدرة على التعبير، وقوة التفكير والشعور والمعرفة والمحبة. وهذه السمات للحياة الأرضية يمكننا أن ننقلها إلى الحياة الأبدية. وكما أن الحياة الطبيعية تجعل الإنسان شخصاً، كذلك يتكلم بولس عن شخصية جديدة، عن «أنا» جديدة: «... فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في» (غلاطية 2: 20). فالؤمن يملك الحياة الجديدة بطريقة تجعله شخصية جديدة. لذلك نستطيع الآن أن نكون متمثلين بالله، لأن لنا حياته وطبيعته. وقوة هذه الحياة هي الروح القدس، الذي وهب لنا تماماً كما وهب الحياة الأبدية.

ولم يعد للموت أي تأثير في هذه الحالة وهذا الوجود، لأن الحياة الأبدية بطبيعة الحال لا يمكن أن تموت.

وبعد أن حددنا الآن نوع الحياة الأبدية ومعناها ومداها، نتفرغ الآن لسؤالنا الذي انطلقنا منه.

2.9.5 الحياة الأبدية والموت

ماذا يحدث للحياة الأبدية حين يموت المؤمن؟ ما أهمية الحياة الأبدية للراقيدين؟ هذا هو السؤال الجوهرى بالنظر إلى حالة المؤمنين بعد الموت.

يعطي الرب يسوع جواباً واضحاً عن هذا السؤال: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا 11: 25، 26).

⁹⁵ الحياة الأبدية بطبيعة الحال ليست مخلوقة، لكن حقيقة أن المؤمنين يملكونها الآن وأنها تميز حالتهم الجديدة يمكن أن تُعتبر جزءاً من الخليفة الجديدة.

⁹⁶ 2 كورنثوس 5: 17، غلاطية 6: 15، أفسس 2: 5، 10: 4، 23، 24؛ كولوسي 3: 9-11.

وحقيقة أن الرب يسوع المسيح هو في شخصه القيامة والحياة لها نتائج بعيدة المدى ومباركة للمؤمنين - الأحياء منهم والأموات على حدّ سواء.

2.9.6 المؤمنون الذين ماتوا

ماذا تعني كلمة الرب للمؤمنين الذين ماتوا، أنه

• هو القيامة؟

• هو الحياة؟

سيحيون لأنهم سيقومون يوماً ما. وقد رأينا من قبل أن المقصود بذلك القيامة الجسدية. فالأنه هو القيامة، فهي تعني نهاية موتهم الجسدي والعودة إلى الحياة. هذا هو رجاء القيامة المؤسس على شخصه، وعلى عمله الكفاري، وعلى قيامته. والحياة الأبدية هي الضمان لأن يُقام الجسد. وعندئذ سيشارك الجسد أيضاً في الحياة الأبدية بكامل مداها.

سيحيون ولو ماتوا: هنا توصف حالة المؤمن مباشرة بعد الموت. فحين يموت المؤمن تبقى الحياة قائمة بكل سمات الحياة الأبدية (انظر القسم 2.9.4). فالحياة الأبدية لا يمسّها الموت، بل تعبر سالمة «باب الموت». وهذا يعني عملياً أن الحياة الجديدة، أي «الأنّا» الجديدة للمؤمن، الوعي الشخصي للإنسان الجديد، تبقى قائمة حتى بعد الموت. فالحياة الأبدية مرتبطة بالمؤمن ارتباطاً لا ينقسم.

وفي هذا السياق يتّضح مرة أخرى أن الحياة الأبدية لا يمكن أن تُفصل عن المؤمن أبداً. فهو يحيا، ولو مات، مستمراً في قوة هذه الحياة ووعيمها. والشركة مع الآب والابن، التي لم تصر ممكنة إلا بالحياة الأبدية، لا تنقطع.

2.9.7 المؤمنون الأحياء

في يوحنا 11: 26 يقول الرب ماذا يعني للأحياء أنه القيامة والحياة: الأحياء لن يموتوا إلى الأبد. وهذا الحق ينطق به الرب مرتين آخرين في موضع آخر: «هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد» (يوحنا 6: 58)؛ و«إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد» (يوحنا 8: 51).

ومن اللافت أن الرب يتكلم في الجزء الأول من الآية في يوحنا 11: 26 عن مؤمنين ماتوا، مع أنه يقول في الجزء الثاني إن المؤمنين لن يموتوا أبداً. لكن المؤمن لا يزال يموت تماماً كما يموت غير المؤمن. فهل هذا تناقض؟ في الجزء الثاني من الآية للموت جانب آخر. فموت المؤمنين وموت غير المؤمنين ليسا شيئاً واحداً. فالمؤمن الذي يموت لن يرى الموت الأبدي الذي يمضي إليه غير المؤمن بعد موته الجسدي. فالموت الجسدي يسوق الخاطئ إلى الدينونة الأبدية، أي الموت الأبدي (رؤيا 20: 14)، لأنه «وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (العبرانيين 9: 27). فلا يبقى للخاطئ إلا الموت والدينونة. لا رجاء له ولا عون بعد. هذا هو موت غير المؤمن!

هذا الموت، موت الخاطئ، لن يموت المؤمن. فأثر الخطيئة على الإنسان (الموت) قد أبطل تماماً للمؤمنين بقيامه المسيح. فلهم منذ الآن طبيعة جديدة لا يمكن أن تموت بعد - حتى وإن كان لا يزال عليهم أن يجتازوا الموت الجسدي. إنها حياة الذي غلب الموت بقوة الحياة الإلهية. ولأنه هو القيامة، فهي حياة لم يعد للموت سلطان عليها.

المؤمن، سواء كان حياً أو مات، يحيا دائماً في قوة الحياة الأبدية ووعياها. والجسد وحده هو الذي يستبعد منها بالموت مدة معينة.

الخلاصة: الحياة الأبدية ملك للمؤمن في ثلاث مراحل زمنية مختلفة يمرّ بها. فهي تبدأ في أثناء حياته الأرضية حين يُولد من جديد. ثم هي ملكة أيضاً بعد الموت. وأخيراً تقود إلى الكمال الأبدي في القيامة.

2.9.8 الشكل المستقبلي للحياة الأبدية

يتكلم الرسول بولس (في رومية 5: 21 و6: 22) وكذلك الأنجيل الإزائية (في متى 18: 8؛ 25: 46؛ مرقس 10: 30؛ لوقا 18: 30) عن الحياة الأبدية في شكلها المستقبلي، لا بوصفها ملكاً حاضراً كما هي الحال عند يوحنا.

يربط بولس الامتلاك الكامل للحياة الأبدية والتمتع الكامل بها بعدم الفساد في القيامة. فهو يقول إن المجازاة للذين «بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء [أي عدم فساد الجسد في القيامة]» ستكون الحياة الأبدية (رومية 2: 7). فالحياة الأبدية عند

بولس، بمعناها الكامل، هي المشابهة للمسيح القائم في المجد. هذا هو الجو الذي تجدد فيه الحياة الأبدية موطنها.

فنحن الأحياء على الأرض لا نزال نملك الحياة الأبدية في جسد مائت. وفي القيامة سنلبس «بيتاً أبدياً» (2 كورنثوس 5: 1). إنه جسد سيكون مطابقاً تماماً للحياة الأبدية، لحالة الكمال. ويوحنا أيضاً يعرف هذا الجانب من الحياة الأبدية.⁹⁷

ورجاء الحياة الأبدية وانتظارها (تيطس 1: 2؛ 3: 7؛ رومية 6: 22) قائمان في أن نستطيع قريباً أن نختبر أمور السماء، أمور بيت الآب، ونتمتع بها في البيئة والجو الخاصين بتلك الحياة.

2.9.9 الروح القدس

لقد وهب لنا الروح القدس.⁹⁸ ومن دون الدخول هنا في تفاصيل أخرى، أشير إلى أنه، كما يقول يسوع، سيمكث معنا إلى الأبد:

«... وأنا أطلب من الآب فيعطيك معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم» (يوحنا 14: 16، 17).

وبالتالي فروح الله معنا في الموت أيضاً. وهو قوتنا عندئذ أيضاً. وهو، مثل الحياة الأبدية، الضمان في هذه الفترة الوسيطة لأن نكون عند يسوع في وعي كامل، وفي ملء القوة والمعرفة. ولهذا بالذات أعطي لنا روح الله عربوناً، ضماناً لهذه اللحظة:

«ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضاً عربون الروح» (2 كورنثوس 5: 5).

ما وهبه الله لنا في حياتنا سيكون لنا في الموت أيضاً!

⁹⁷، يوحنا 4: 36؛ 12: 25؛ قارن 1 يوحنا 3: 1، 2،
⁹⁸، يوحنا 7: 39؛ 14: 16؛ 15: 26؛ أعمال الرسل 1: 8؛ 19: 2؛ رومية 8: 9، 11، 14-16؛ 1 كورنثوس 2: 12؛ 3: 16؛ 6: 19
2 كورنثوس 1: 22؛ أفسس 4: 30؛ 1 تسالونيكي 4: 8؛ 2 تيموثاوس 1: 14؛ يعقوب 5: 4.

2.9.10 الخلاصة

ختاماً يمكننا أن نقرر بشأن السؤال الأشمل «ما حالة المؤمنين بعد الموت؟» ما يلي: إن كلاً من الحياة الأبدية والروح القدس ضامن لأن يستمرّ المؤمن بعد الموت في الحياة في شركة واعية مع المسيح.

الحياة التي في المؤمن لا يمكن أن تموت (حتى حين يموت الإنسان الخارج)، لأنه يملكها في الابن الحي إلى أبد الآبدين. ولا يمكن للمؤمن أيضاً أن يخسرها بعد، وإلا لخسر وجوده كله الذي له بوصفه مولوداً من الله. وهذا الوجود الجديد هو عمل الله، خليفة جديدة لا يمكن أن تُهدم ولن يكون لها نهاية أبداً.

وكذلك ستحدّد جميع سمات الروح القدس، التي وهبت لنا، كياننا في الموت.

أسئلة للتعمّق

- ميّز بين «الحياة الأبدية» و«الخلود»!
- كيف يختلف موت المؤمن عن موت غير المؤمن؟ انتبه في ذلك إلى قول يوحنا 11: 126
- ما أهمية الروح القدس للحالة الوسيطة؟

2.10 الأرواح التي في السجن

«الأرواح التي في السجن» مفهوم له علاقة مباشرة بموضوعنا. وهو لا يرد إلا مرة واحدة في الكتاب المقدس، وذلك في رسالة بطرس الأولى وحدها. وهنا بالذات تكمن أيضاً صعوبة فهمه فهماً صحيحاً. يكتب بطرس في رسالته الثانية أن في بعض رسائل بولس أشياء عسرة الفهم (2 بطرس 3: 16). لكن هذا ينطبق هنا على الأرجح على رسالته هو أيضاً، لأن المقطع الذي تُذكر فيه الأرواح (1 بطرس 3: 19، 20) من أصعب المقاطع في العهد الجديد. وقد أدّى ذلك إلى وجود تفسيرات كثيرة مختلفة جداً في تاريخ الكنيسة، ولا تزال موجودة حتى اليوم.⁹⁹

⁹⁹ انظر في ذلك: William Kelly، Christ Preaching to the Spirits in Prison، The Bible Treasury، Vol. 9، 1872؛ و: H.L. Heijkoop، Der erste Brief، Jürgen Kuberski، Eine Höllenfahrt Jesu، Bibel und Gemeinde، 2/1988؛ و: des Petrus، Neustadt (Schriftenverlag Ernst Paulus) 1978. وانظر في ذلك أيضاً الملحق.

إن بطرس نفسه هو الذي يذكر أهم مبدأ لتفسير الكتاب المقدس، وهو «أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص» (2 بطرس 1: 20). ولذلك سنفحص هذا النص أيضًا في ضوء جميع مواضع العهد الجديد التي تناولناها من قبل في 2.1-9، والتي أعطتنا صورة شاملة عن الحالة بين الموت والقيامة للأبرار والأئمة على حد سواء.

يكتب بطرس إلى المتغربين من الشتات:

«فإن المسيح أيضًا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأئمة، لكي يقربنا إلى الله، مُماتًا في الجسد ولكن مُحيي في الروح، الذي فيه أيضًا ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديمًا، حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح، إذ كان الفلك يبني، الذي فيه خلص قليلون، أي ثماني أنفس بالماء» (1 بطرس 3: 18-20).

2.10.1 قصد بطرس

لا يدور الأمر عند بطرس حول السؤال عن الحالة بعد الموت. فلم يسأله أحد عن ذلك، ولا أتى أحد بتعليم خاطئ كان لا بد من دحضه.¹⁰⁰ فالؤمنون الذين يكتب إليهم بطرس كانوا يواجهون اضطهادًا شديدًا من أجل يسوع.¹⁰¹ وأراد أن يشجعهم في هذا الوضع الصعب. لذلك قارن حالهم بحال نوح في الأيام التي سبقت الطوفان. فنوح مع أهل بيته كانوا أقلية لا تتجاوز ثماني أنفس. وبناءً على كلمة الرب بنى مع بنيه سفينة على اليابسة. ولم يتبعه أحد غيرهم. وكما أن نوحًا لم ير الله، كذلك لم ير المؤمنون المسيح (1: 8)، فقد كان ذلك أمرًا يخص الإيمان. فثال نوح، وعمل المسيح وحضوره بروحه، كان ينبغي أن يحفزهم على الاحتمال، حتى وإن رفضت رسالتهم وضيق عليهم ظلمًا.

2.10.2 تفسيري للنص

المسيح المتألم هو المثال للمؤمنين الذين كان عليهم، مثله، أن يتألموا لأجل عمل الخير. وفي هذه الآية يدور الكلام عن آلام المسيح من أجل الخطايا. فقد مات، وهو البار، من أجل الأئمة، بهدف أن يقربهم إلى الله. هذه هي آلام المسيح الكفارية، التي لم يكن على

100. هذا ما فعله بولس مثلًا في 1 كورنثوس 15، حيث يتصدى لإنكار القيامة.

101. 1 بطرس 1: 6؛ 2: 12؛ 19-21؛ 3: 14؛ 4: 1؛ 4: 12؛ 5: 8؛ 9.

المؤمنين أن يحتملوها. والكفارة جلبت على المسيح الموت، فقد كان «مُتاً في الجسد». لكن ذلك لم يكن النهاية، لأنه قام من الأموات بقوة روح الله (رومية 1: 4؛ 8: 11).

وفي هذا الروح - لا بوصفه إنساناً على الأرض - ذهب فركز للأرواح التي في السجن، التي عصت قديماً. فالروح القدس، أي بعبارة أخرى روح المسيح (1 بطرس 1: 11)، كان يعمل في نوح، كراز البر (2 بطرس 2: 5). ودامت الكرازة لمعاصري نوح طوال المدة التي كان يبني فيها الفلك. فلم يرجع منهم أحد، وماتوا جميعاً بسبب عصيانهم في مياه الطوفان. وكان روح المسيح يعمل الآن للغاية نفسها في المؤمنين (1 بطرس 4: 14؛ قارن 1: 11) الذين كتب إليهم بطرس، لكي تنتشر بواسطتهم الشهادة لنعمة الله.

يسمى بطرس الذين ماتوا في زمن نوح «الأرواح التي في السجن». فهم لم يؤمنوا بالبطرسة (1 بطرس 4: 6)، وتركوا أناة الله تمضي سنين كثيرة كان الفلك يبني فيها. لذلك تبدأ دينوتهم في الموت (العبرانيين 9: 27)، فيجدون أنفسهم في الهاديس، مكان العذاب (لوقا 16: 23)، الذي يسمى هنا سجنًا. وفي هذا أيضاً حافز للمؤمنين. فرسلتهم ورجاؤهم، اللذان كان عليهم أن يقدموا عنهما جواباً (1 بطرس 3: 15)، كانا صحيحين تماماً. فكل من لا يتبع رسالتهم سيأتي إلى المكان نفسه. وهؤلاء أيضاً كان السجن ينتظرهم بعد الموت. هناك سيكون مكانهم حتى يوم القيامة وحتى يوم الدينونة العظيم، كما يكتب بطرس بعد ذلك بقليل:

«... الذين سوف يعطون حساباً للذي هو على استعداد أن يدين الأحياء والأَمْوات» (1 بطرس 4: 5).

خلص نوح في الفلك عبر مياه الطوفان. والمثال المقابل لذلك، أي المعمودية، يخلص الآن المؤمنين أيضاً، إذ يُنقلون هم أيضاً، مثل نوح، إلى وضع جديد على الأرض. فنفسيلين عن العالم وعن معاصريهم (أعمال الرسل 2: 40، 41) كانوا يخدمون الآن المسيح القائم والممجد، الذي دفع إليه كل سلطان.

وتحت العناوين التالية أتناول بتفصيل أكبر بعض المفاهيم والتفسيرات التي لا أعتبرها كتابية.

2.10.3 مُمَاتًا فِي الْجَسَد - وَلَكِنْ مُحْيَى فِي الرُّوح

مع أنه سبق أن قُدمَ أعلاه شرح للتعبيرين، أذكر هنا بعض الجوانب الأخرى. لا توجد آراء مختلفة حول تعبير «مُمَاتًا فِي الْجَسَد». فلا شك أن المقصود به موت المسيح الكفاري. وموته يقف في مقابل ما جاء بعده، أي قيامته. والقيامة توصف بأنها «مُحْيَى فِي الرُّوح». و«مُحْيَى» هو التعبير نفسه الوارد في رومية 4: 17؛ 8: 11؛ 1 كورنثوس 15: 22، 36، 45. لكن القيامة لا تعني «إحياء» روح الرب، بل قيامة الجسد (يوحنا 2: 19-22).

إن روح الله القدوس هو العامل في القيامة، فعنه يُقال: «الروح هو الذي يحيي» (يوحنا 6: 63). ويتكلم بولس عن الروح القدس في ارتباطه بقيامة الرب وقيامة المؤمنين أيضًا:

«... وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات: يسوع المسيح ربنا» (رومية 1: 4).

«وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم» (رومية 8: 11).

في الرب يسوع يحلّ كل ملء اللاهوت جسديًا (كولوسي 1: 19، 20؛ 2: 9)، أي الإله المثلث الأقانيم. فأقانيم اللاهوت الثلاثة كلها اشتركت في عمل الفداء، ومن ثم في قيامته أيضًا.

في هذا الروح ذهب فكرز. فهو لم يفعل ذلك إذا شخصيًا، أي بوصفه إنسانًا من لحم ودم. بل كان ذلك روح المسيح،¹⁰² الذي كان عاملاً في أنبياء العهد القديم قبل تجسّد المسيح (1 بطرس 1: 11)، والذي يعمل الآن أيضًا في الكرازة بالإنجيل، ويسمى هناك «الروح القدس» (1 بطرس 1: 12).

في أيام نوح كان روح الله يعمل بواسطة نوح، الذي يسمّيه بطرس «كارز البر» (2 بطرس 2: 5). ويتكلم موسى أيضًا عن عمل روح الله في زمن نوح (التكوين 6: 3) بالنظر إلى الدينونة بالطوفان. وفي العهد الجديد أيضًا نجد ما يوازي ذلك، حيث يُقال إن

102. يرد تعبير «روح المسيح» أو «روح يسوع» في أعمال الرسل 7: 55؛ رومية 8: 9؛ فيلبي 1: 19؛ 1 بطرس 1: 11؛ و«روح الرب» في أعمال الرسل 5: 9؛ 8: 39؛ 2 كورنثوس 3: 17. وفي جميع هذه المواضع هو روح الله القدوس.

المسيح «جاء وبشركم بسلام» (أفسس 2: 17). لكنه هناك أيضاً لم يفعل ذلك شخصياً، بل بواسطة خدامه. فقد كان قد صعد إلى السماء ولم يعد حاضراً شخصياً.

2.10.4 الكرازة للأرواح التي في السجن

يسود بين أكثر التفسيرات اختلافاً اتفاقاً واسع على أن المسيح كرز شخصياً للأرواح في الهاديس في الفترة القصيرة بين موته وقيامته. وترتبط بذلك أسئلة بعيدة المدى.

2.10.5 مضمون الكرازة

مع أنه يُستفاد من تعدد التفسيرات أن مضمون الكرازة، أي الرسالة، غير معروف، فإنني لا أستطيع أن أتصور كرازة إلا بهدف أن تقود الناس إلى التوبة لكي يخلصوا. هذا هو عموماً معنى «الكرازة».¹⁰³ وبطرس نفسه يحدد هذه الكرازة. فهو يقول إن الأموات بُشروا (4: 6). فكرازة من هذا النوع في الهاديس تعني إذاً أن الأموات أعطوا فرصة ثانية للتوبة.

تتراوح التفسيرات بشأن مضمون الكرازة بين إعلان انتصار المسيح والكرازة بالبطريرك. أما الفكرة أن انتصار المسيح يُعلن للأموات فلا تُذكر في أي موضع من الكتاب المقدس. ثم إنها قليلة المعنى، لأنه سيأتي على أي حال يوم يعترف فيه الجميع - لا الذين ماتوا حتى وقت موت المسيح فقط - بسيادة المسيح. يقول بولس إن الذين على الأرض (أي الأحياء) والذين تحت الأرض (أي الأموات) مشمولون في ذلك:

«... لكي تجتو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله الآب» (فيلبي 2: 10، 11).¹⁰⁴

والكرازة بوصفها دعوة إلى التوبة للأرواح التي في السجن بين موت المسيح وقيامته مرفوضة أيضاً للأسباب التالية:

- ليس لدينا في الكتاب المقدس أي إشارة أخرى تدعم هذا الرأي. بل على العكس، ذهب المسيح إلى الفردوس عند المؤمنين، لا إلى الهاديس، كما قال هو نفسه في لوقا

103. مثلاً متى 26: 13؛ 1 كورنثوس 1: 23؛ غلاطية 2: 2؛ فيلبي 1: 15.

104. لا يمكن أن يعرف من فيلبي 2: 11 وقت حدوث ذلك، ولا هل سيكون الوقت نفسه لجميع المذكورين. لكن يمكن أن يُستنتج، بالاتفاق مع كلمات كتابية أخرى - ولا سيما من جلسات الديونة - أن المقصود دينونة الأحياء والأموات أمام العرش العظيم، التي تنصيب عندئذ الجميع معاً. وبهذا المعنى يتكلم الرب يسوع أيضاً عن «يوم الدين» (متى 10: 15؛ 11: 22، 24؛ لوقا 10: 14).

23: 43.

- يقول بطرس إنه أُحيي بعد أن مات. ولا يتكلم عما حدث بين الموت والقيامة.
- لا يُعقل أن يُكرز مرة أخرى بالذات للناس الذين يُقال صراحة إنهم اختبروا أناة الله في حياتهم ورفضوها. فشهادة الكتاب المقدس واضحة أنه لا توجد بعد الموت إمكانية للتوبة.
- وكان ذلك سيعني أنه كرز حصراً للناس الذين ماتوا في الطوفان. ومن الواضح أن الكلام هنا عن هؤلاء الناس. ولكن ماذا عن الناس الذين ماتوا قبل ذلك أو بعده، وهم بالتأكيد أكثر بكثير من هؤلاء؟ لكان ينبغي إذاً أن يستطيع جميع الأموات أن يسمعوا كرازة.

وهذا أيضاً لا معنى له، ويفتح إمكانية التوبة بعد الموت. لكن هذا خطأ، وليس تعليم الكتاب المقدس. فتعاليم يسوع في لوقا 16 عن الهاديس تُظهر بوضوح أنه لا يوجد تغيير بعد الموت. فهوّة عظيمة لا يمكن عبورها تفصل مكان البركة عن مكان العذاب.

2.10.6 نفوس وأرواح

يُسمى الناس الثمانية الذين خلصوا في الفلك «أنفساً». ويستعمل بطرس في الرسالة الأولى كلمة «نفس» ست مرات.¹⁰⁵ خمس مرات يفهم بـ«النفس» عنصراً من كيان المؤمن، ومرة واحدة فقط - في نصنا - يقصد بها الإنسان كله. ولو قال هنا «أناس» بدلاً من «أنفس» لكان المعنى هو نفسه، لأن مفهوم «النفس» يُستعمل هكذا كثيراً في الكتاب المقدس.¹⁰⁶ وهذا المعنى لكلمة «نفس» لا يزال موجوداً أيضاً في استعمالنا اللغوي اليوم.

فإذا كانت «النفس» تدلّ على الإنسان كما كان يعيش على الأرض في زمن نوح، فما معنى «الأرواح» التي في السجن؟ هل يدلّ مفهوم «الأرواح» على أناس ماتوا؟ ما يمكن تقريره بوضوح أن «الروح» لا تُستعمل في أي موضع للإنسان الذي يعيش على الأرض، وذلك على خلاف واضح مع «النفس». طبعاً تُستعمل كلمة «روح» كثيراً جداً فيما يتعلق بالإنسان، لكنها عندئذ تُستعمل حصراً بوصفها مكوناً من مكونات كيان الإنسان، كما هي

105. 1: 9، 22؛ 2: 11، 25؛ 3: 20؛ 4: 19.

106. مثلاً التكوين 12: 5؛ الخروج 5: 1؛ العدد 31: 35؛ أعمال الرسل 2: 41؛ 7: 14.

الحال مع النفس أيضاً. أما كلمة «روح» فتُستعمل في المقابل للملائكة، سواء الذين يخدمون الله أو الشياطين، أي الملائكة الساقطين (مثلاً متى 10: 1؛ رؤيا 12: 8).

2.10.7 هل الأرواح ملائكة ساقطون؟

غير أن هذا لا يسوّغ الرأي القائل إن المقصود هنا ملائكة محبسون الآن في أعماق الهاوية.¹⁰⁷ ويستند أصحاب هذا الرأي إلى المواضع الكتابية التالية:

«لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا، بل إذ طرحهم في أعماق الهاوية [باليونانية Tartarus] سلمهم إلى سلاسل الظلام محروسين للقضاء...» (2 بطرس 2: 4؛ قارن يهوذا 6)،

مع ربط ذلك بالتكوين 6: 2-4:

«... أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: لا يدين روجي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه، هو بشر. وتكون أيامه مئة وعشرين سنة. كان في الأرض طغاة [أو: جبابرة] في تلك الأيام. وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً».

فيرون في السلاسل التي يكتب عنها يهوذا ما يوازي السجن الذي يكتب عنه بطرس. والحدث المذكور في التكوين 6، حيث يقتن ملائكة بالنساء، يتعلق بلا شك بزمّن نوح. فيكون المسيح قد حمل رسالة إلى هؤلاء الملائكة الساقطين، المقيدين الآن والمحفوظين للدينونة. لكن لا يمكن أن تكون هذه الرسالة رسالة النعمة والخلّص، لأن الرب بحسب العبرانيين 2: 16 لا يمكس بيد الملائكة ليحرّرهم.

لا توجد في الكتاب المقدس أي إشارة إلى أن المسيح أعلن للملائكة انتصاره في الجلجثة، ولا معنى لذلك أيضاً، لأن لهم يوم دينونة محدداً من قبل. والمسيح سيكون الديان (قارن 1 كورنثوس 6: 3). فعندئذ ستظهر سلطته وعظمته على كل حال.

وفي النهاية لا حاجة إلى إعلان قدرة المسيح، لأن الملائكة الساقطين، أي الشياطين أو الأرواح النجسة، كانوا يعرفون قدرة المسيح قبل الجلجثة أيضاً، بل فيما يتعلق بالدينونة

107. انظر Kenneth S. Wuest, *First Peter in Greek New Testament*, Michigan (Eerdmans Publishing), 1942.

كذلك، وكانوا يخافون قدرته (لوقا 8: 27-33؛ متى 8: 29). فالشياطين يؤمنون ويقشعرون (يعقوب 2: 19) حتى من دون رسالة يكرز لهم بها المسيح. ويمكن أن نستنتج من التكوين 6 أن الملائكة اقترنوا بالنساء **قبل** زمن نوح، ولذلك لا يقع هذا الحدث بالضرورة في أيام نوح. فن الخطأ أن نفهم «الأرواح» في هذا الموضع على أنها ملائكة، حتى لو بدا أن هناك نقاط ارتباط. والمطلوب مرة أخرى أن نراعي سياق النص وشهادة الكتاب المقدس كلها.

2.10.8 أرواح - بشر ماتوا

يُسمّى معاصرو نوح هنا «أرواحاً»، لأنهم كانوا الآن، في زمن كتابة الرسالة، في السجن. وكلمة «السجن» تلح إلى عاقبة عصيانهم، إذ لا نهاية لدينوتهم. فوجودهم بعد الموت ليس في جسد من لحم ودم، بل هم «متغريون عن الجسد»، إن استعملنا تعبيراً لبولس (2 كورنثوس 5: 8). ولذلك يسمون أرواحاً. ويستعمل بطرس بعد آيات قليلة تسمية أخرى للأشخاص الذين يسمون هنا أرواحاً. وهذه الآيات لا تزال تنتمي إلى الآيات المقتبسة أعلاه، بل هي في الحقيقة خاتمة سياق الفكر:

«فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً، لكي يدانوا حسب الناس بالجسد، ولكن ليحيوا حسب الله بالروح» (1 بطرس 4: 6).

فهم الآن - من جهة الروح-النفس - الأرواح التي في السجن. ومن جهة جسدهم هم الآن الموتى. وكلا الوصفين يشرح الحالة نفسها، لكن من جهتين. فمرة هي الجهة الجسدية («الموتى»)، ومرة جهة الروح-النفس. فالبشارة لم يكرز بها للذين كانوا أمواتاً آنذاك، بل للذين هم الآن أموات، والذين هلكوا آنذاك في الطوفان بعد أن سمعوا الرسالة وهم أناس أحياء.¹⁰⁸

هذا هو معنى كلمة «الأرواح»، وهو معنى يمكن إدراكه من سياق النص حتى من دون معرفة اللغة الأصلية.

وهناك موضع آخر يجري فيه الكلام على أرواح، أي على بشر بعد موتهم:

108. يفسّر بعض المفسّرين الموت تفسيراً روحياً (قارن أفسس 2: 1، 5؛ كولوسي 2: 13؛ لوقا 15: 24، 32). لكن الموت الروحي في رأيي لا يذكر أبداً في العهد القديم، ولا ينسب إلى الناس الذين عاشوا في زمن العهد القديم.

«بل قد أُتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي، أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين» (العبرانيين 12: 22، 23).

في نهاية هذا التعداد المجيد يقف المفهوم الذي يهّنا في هذا السياق: «أرواح أبرار مكملين».¹⁰⁹ فالأرواح هنا إذن منفصلة عن جسدها، وتشكل جزءاً من كنيسة الأبكار. وهذا المفهوم يتعلق بهؤلاء وحدهم، لأن الخطاة وحدهم هم الذين تبرّروا بدم يسوع. أما الملائكة فلا يشملهم دم يسوع. ولا يمكن أن تكون الأرواح هنا ملائكة، لأن الملائكة المذكورون على حدة في هذا التعداد.

2.10.9 السجن

هل السجن حقاً هو الهاديس؟ ليس الجواب عن هذا السؤال سهلاً، لأننا لا نجد مفهوم «السجن» مقروناً بالأرواح إلا مرة واحدة في الكتاب المقدس.

وكلمة «السجن» لا تُستعمل هنا بمعنى غير المعنى الذي نعرفه من مواضع أخرى في العهد الجديد.¹¹⁰ فالجرم يُوضع في الحبس، ولا يستطيع أن يفلت من هذا المكان.¹¹¹ قبل أن يُبتّ في مسألة ذنبه. ويمكن تفسير مفهوم «السجن» تفسيراً جيداً بأن الأثمة يُحتجزون بعد موتهم إلى يوم الدينونة. وبطرس نفسه يذكر ذلك أيضاً في رسالته الثانية:

«يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة، ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين ليُعاقبوا» (بطرس 2: 9).

وهذه الحقيقة تتوافق أيضاً مع فهمنا اليوم، إذ يوجد حبس احتياطي إلى حين المحاكمة. وهذا التفسير لا يتعارض البتة مع جميع النصوص الأخرى التي سبق أن تأملناها فيما

109. الفرق بين المفهومين في 1 بطرس وفي العبرانيين 12 هو أن «الأرواح» عند بطرس تدلّ على الشخص كله، بينما تُرى الأرواح في العبرانيين 12 عنصراً من كيان المؤمنين؛ وبهذا يتضح أن هناك جسداً إلى جانب الروح. ومن حيث المبدأ لهُذين المفهومين المعنى نفسه. وفي هذا السياق أشير إلى مفهوم «سحابة من الشهود» الذين يحيطون بالمتسابق في الإيمان كما في حلبة. والشهود هم أبطال الإيمان في العبرانيين 11، الذين هم الآن في الفردوس السماوي. وقد ألمح إلى أنهم يرون المسيحيين كما يرى المتفرجون مباراة. وفي رأيي لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. فلو كان كذلك لأروا حياتنا كلها، حتى الأمور المجهمة. ولا نستطيع أن نقول في ذلك شيئاً يقيناً، لأن الكتاب المقدس بصمت عنه.

110. مثلاً متى 14: 10؛ لوقا 3: 20؛ أعمال الرسل 5: 19؛ 2 كورنثوس 6: 5.

111. ربما توجد لدينا أيضاً إشارة إلى هذا المكان في أعمال الرسل 1: 25.

يتعلّق بموضوعنا. بل على العكس، إنه يكلّل الصورة عن نصيب الأثمة بعد الموت.¹¹² ويصحّ أيضاً على ملائكة معيّنين أنهم في «السجن» في حبس احتياطي. فهناك يُحتَجَرُونَ إلى يوم الدينونة. إنهم في الزنازة إلى يوم النطق بالحكم. وتُفهم كلمة «السجن» أيضاً بمعنى «سجن الخطية». فهكذا يستعمل إشعياء (42: 7؛ 49: 9؛ 61: 1) ولوقا (4: 18، 19) هذا التعبير. لكن هذا الاستعمال في رأيي غير ممكن هنا، لأن الأرواح ليست أناساً أحياء، بل كانت كذلك. ولو كان الكلام هنا على سجن الخطية فيما يتعلّق بالأرواح، لكان ذلك فقط بمعنى أنهم الآن مقيدون بخطيتهم، لأنه ليس لهم غفران.

2.10.10 تحرير مؤمني العهد القديم من الشيول؟

ومن الآراء المنتشرة انتشاراً واسعاً أيضاً أن مؤمني العهد القديم الذين كانوا في الشيول كانوا إما في مكان عذاب وإما في نوع من حالة الانتظار لا يمكن وصفها بالسعادة. فلما ذهب المسيح بعد موته إلى هذا المكان حرّر المؤمنين وأتى بهم إلى الفردوس، أو جعل هذا المكان بحضوره فردوساً.

ومن أسس هذا الرأي، بين أمور أخرى، معنى مفهوم «الشيول» في العهد القديم. فالشيول، بين أمور أخرى، مكان سلمي مظلم يصل إليه الأموات. أما الفردوس فلا يُذكر في العهد القديم مكاناً للمؤمنين الذين ماتوا. لكن كونه لم يكن قد أُعلن لا يعني أنه لم يكن هناك فردوس. أكان إبراهيم سيقع بعد موته في الخوف والرعب؟ لقد كان هو نفسه ينتظر المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله، ووطناً سماوياً ليس في هذا العالم (العبرانيين 11: 10، 14، 16).

وبالقدر نفسه يجب أن نسأل: هل عرف الغفران أو نال غفران الخطايا أصلاً، إذ لم يكن المسيح قد جاء بعد؟¹¹³

لا أريد أن أجيب عن سؤال ما إذا كان هناك تحرير من الشيول بأسئلة مضادة فقط. لكن ليس لدينا نص كتابي في هذا الشأن يمكن أن نناقشه. وهذه الفكرة في رأيي لا معنى

112. يبدو من نافلة القول تقريباً أن نذكر أن الذين في السجن لهم وعي كامل، لأن النائم لا يحتاجون إلى أن يُحفظوا في سجن.
113. استناداً إلى رومية 3: 25، 26 يمكننا أن نفترض أن الله لم يحسب مؤمني العهد القديم خطاياهم، نظراً إلى ذبيحة يسوع، أي على سبيل الاستباق إن جاز التعبير. وعليه لم يكن هناك أي سبب لأن يختبر إبراهيم بعد موته أي عذاب أو حتى تطهير.

لها أيضاً، ولا يوجد في الكتاب المقدس ما يوازيها ويذكر عملاً كهذا للمسيح ولو تلميحاً. لقد انضم إبراهيم إلى آباءه.¹¹⁴ ويمكننا أن نفترض أنه التقاهم ثانيةً في العالم الآخر. وإلهه، الذي عرفه بوصفه القدير، هو إله الأحياء (لوقا 20: 38). ومن ذلك نستطيع أن نستنتج أن إبراهيم، الذي دُعي خليل الله (يعقوب 2: 23)، يحيا الآن حياة سعيدة لا تحتاج إلى تحرير أو تحسين إلى أن تأتي القيامة.

وحيث تكلم الرب يسوع عن مكان السعادة بوصفه «حضر إبراهيم»، استعمل تعبيراً كان اليهود إما يعرفونه من قبل وإما يستطيعون أن يفهموه جيداً: كان مكان بركة للأبرار بعد موتهم. ولا يمكن أن نستنتج من ذلك أن إبراهيم كان مركزاً مؤمناً في العهد القديم في الموت، إلى أن فتح المسيح بعد موته باب الفردوس - لإبراهيم أيضاً. فالفردوس كان - إن جاز التعبير - مفتوحاً للمؤمنين في كل العصور. الفردوس كان موجوداً دائماً، لأنه حضور الله أمام عرشه السماوي.

2.10.11 نزول يسوع إلى الجحيم؟

في الحقيقة لا داعي لطرح سؤال ما إذا كان الرب يسوع قد نزل إلى الجحيم، لأنه سبقت الإجابة عنه من جوانب مختلفة. فبعض قوانين الإيمان، التي خضعت هي نفسها مراراً لتغييرات، تعترف بيسوع بوصفه الذي نزل إلى الجحيم أو إلى مملكة الموت. وقد ترجم لوثر (Luther) وغيره معه كلمة «الهاديس» بـ«جهم» (Hölle)، ومن هنا نشأ تصور «نزول» المسيح «إلى الجحيم».

ويُستشهد لتسويغ «النزول إلى الجحيم» مثلاً بأفسس 4: 8-10:

«لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء سبي سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد، فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات، لكي يملأ الكل».

يدور الكلام هنا على رفعة يسوع وعلى عمق اتضاعه. وكانت أدنى نقطة في اتضاعه الموت. فقد كان تنازلاً أن يكون هو، الله الابن، إنساناً على الأرض (قارن فيلبي 2: 5-11).

114. التكوين 25: 8؛ قارن موسى في العدد 13: 27 (انظر القسم 1.5.3).

لكنه ذهب لأجلنا حتى إلى الموت ودُفن. وهذا هو المقصود بـ«أقسام الأرض السفلى»، كما تقول الآية التالية أيضاً.

وفي متى 12: 40 يدور الكلام على الموت الجسدي، لا على الإقامة في عالم الأموات. «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».

ومن الاقتباس من المزامير 16: 10 في أعمال الرسل 2: 27 قد يصل المرء إلى الاستنتاج أن الرب يسوع كان في الهاديس:

«... لأنك لن تترك نفسي في الهاوية [الهاديس] ولا تدع قدوسك يرى فساداً».

لكن هذه الآية ليست دليلاً على أن الرب كان فعلاً في الهاديس. انظر في ذلك الشرح تحت 2.1.8. (وانظر أيضاً الملحق)

2.10.12 الخلاصة

لن أملّ من التأكيد أن الرب يسوع لم يذهب بعد موته إلى الهاديس، فضلاً عن أن يذهب إلى جهنم. لقد ذهب إلى الفردوس، كما قال هو نفسه للصّ على الصليب.

والنزول إلى الهاديس بهدف الكرازة هناك لا يجد أي سند آخر في الكتاب المقدس. ثم إن الكرازة هناك، أيّاً كان مضمونها، لا معنى لها. فجميع الأموات، ومعهم الملائكة الساقطون، يُحفظون من دون فرصة للتوبة إلى يوم دينوتهم، حيث يواجهون عندئذ سلطة المسيح القضائية.

ومصير الخاطئ غير التائب حافز للمؤمنين على ألا يسكتوا رغم الصعوبات، وأن يكونوا مثل نوح كارزين بالبر.

أسئلة للتعمّق

- من هي «الأرواح» في 1 بطرس 3؟
- من كرز لها، ومتى حدث ذلك؟
- أين كان الرب يسوع بين موته وقيامته - وأين لم يكن؟
- لماذا؟

- كيف يستعمل بطرس هذا الموضع لتشجيع المؤمنين آنذاك (وتشجيعنا اليوم) ؟

2.11 اختبارات الاحتضار وتجارب الاقتراب من الموت

بشهادة الكتاب المقدس حصلنا على صورة واضحة عن العالم الآخر. لكن هذه الصورة لا تواجه في زمننا آراء لاهوتية أو تعليمية خاطئة فحسب، بل تواجه أيضاً اختبارات قرب الموت، أي اختبارات الاحتضار وتجارب الاقتراب من الموت. والكلام هنا على أناس كانوا أمواتاً «سريراً» ثم أُنْعِشُوا، لكنهم لم يكونوا أمواتاً «بيولوجياً». كانوا «في مكان ما» في المنطقة الواقعة بين الموت والحياة. لم يكونوا أمواتاً بالمعنى الذي افترضته دائماً للموت في دراستي، أي بوصفه أمراً لا رجعة فيه ونهائياً.

ولفهم أفضل لما يُقصد بالموت السريري، أقتبس كلام طبيب: «الموت السريري يعني من جهة توقّف التنفس، أي التعلّط الكامل لأخذ الأكسجين من الهواء المحيط وإخراج ثاني أكسيد الكربون إلى المحيط. ويعني من جهة أخرى توقّف القلب، أي الشلل التام للدورة الدموية. وعند حدوث الموت السريري يُظهر مخطط كهربائية القلب على الشاشة ما يُسمى «الخط الصفري»، أي لا يعود هناك أي منحنى لنبض القلب. والموت السريري قابل للعكس في غضون مدة زمنية محدودة جداً، مثلاً بنبضات صدمات كهربائية قوية جداً. وإن لم ينجح الإنعاش، يحدث بعد دقائق قليلة «الموت البيولوجي». والموت البيولوجي يعني أن أجهزة الأعضاء المختلفة، ولا سيما الدماغ، تتوقّف عن أداء وظيفتها ... وما وراء عتبة الموت البيولوجي لا رجوع في العادة».¹¹⁵

وفي هذه المنطقة بين الحياة والموت «النهائي» ظهرت ظواهر أريد الآن أن أتناولها.¹¹⁶ والكلام هنا ليس على أناس عادوا إلى الحياة بقيامة، بل على الذين كانوا أمواتاً سريراً لمدة قصيرة جداً فقط. وفي هذه المدة غادرت أنفسهم - أي وعيهم - الجسد. فقد رأوا مثلاً كيف كان الأطباء في غرفة العمليات يصارعون لإنقاذ حياتهم. ويروون لقاءات مع كائنات نورانية ودودة ومع معارف قدامى في محيط لطيف. ولم يريدوا أن يرجعوا إلى أجسادهم. وهذه الاختبارات الإيجابية لا يرونها المسيحيون وحدهم، بل يرونها أيضاً

115. Dr. med. Hartmut Maier-Gerber، *Sterben – Der Höhepunkt des Lebens*، Wuppertal، 1994، ص. 20 وما

بعدها، مقتبس في R. Moeckel، *Ist Sterben doch ganz anders*، Sehnde

116. لم يكن لي أنا شخصياً اختبار احتضار، ولا أعرف شخصاً أحداً مرّ به. ولذلك يجري تقييم هذه الظواهر حصراً على أساس المادة المكتوبة المتاحة لي، والتي يستطيع كل واحد أن يطلع عليها.

الذين لا علاقة لهم بالإيمان بالمسيح. فلم يعد للموت عندهم بعد اختبار كهذا ما يخيف، وهم ينقلون هذا الاختبار كأنه بشارة سارة.

ويجب أن يكون المسيحيون قادرين على اتخاذ موقف واضح من هذه الظواهر، لأن هذه الروايات تضع الموت في مجتمعنا في ضوء جديد، بل جذاب. فيبدو أن عدو الإنسان الأخير قد هزم، لأن الموت بحسب هذه الاختبارات عبور إلى عالم كامل تطبعه المحبة. فتصير أغنية «كلنا، كلنا ذاهبون إلى السماء» (Wir kommen alle, alle in den Himmel - أغنية ألمانية شعبية) أغنية يحقّ للمرء أن يغنيها. أو يبقى الأمر عند القول: «كل شيء سيكون على ما يرام».

ومنذ منشورات الدكتور ريموند مودي (Raymond Moody)، وروبرت أم. مونرو (Robert A. Monroe)، وإ. كوبلر-روس (E. Kübler-Ross) وغيرهم، انتشرت هذه الأفكار عن الموت انتشاراً واسعاً. وتلخص السيدة كوبلر-روس رسالة باحثي الموت في عبارة موجزة: «الله ليس كائناً يعاقب ويدين. وما نعرفه من الناس الذين عادوا هو التأكيد أن كل إنسان بعد انتقاله سيختبر على الأرجح شعور السلام والاتزان وملء الكمال»¹¹⁷.

أليست هذه اكتشافات مذهلة؟ إن كشف سرّ الموت والعالم الآخر هو في الواقع أهم من هبوط إنسان على القمر أو على المريخ. وأخيراً، كما يبدو، صارت هناك نظرة إلى الجانب الآخر، وهي تنزع عنا الخوف من الموت، لأنه لا يوجد هناك إله يجب أن يقدم المرء أمامه حساباً عن حياته. وكل هذا يَكسي بطلاء علمي، بحيث تبدو هذه الاكتشافات جادة وموثوقة بها.

2.11.1 ما مدى صحة هذه الروايات؟

يجب النظر إلى هذه الروايات بحذر شديد. فما يعرضه المؤلفون المذكورون لا يمكن أخذه مأخذ الجد كلمة كلمة، لأنه كثيراً ما يطبعه تصوّر وثني للعالم، وتطبعه الروحانية (استحضار الأرواح) وحركة العصر الجديد (New Age)، كما تُفسّر الظواهر أيضاً بحسب هذا التصوّر للعالم. ومع ذلك هناك سبب كافٍ لأخذ هذه الظواهر غير العادية مأخذ الجد وعدم الشك في صدقها. فهناك عدد كبير جداً من الناس، مسيحيين وغير مسيحيين،

117. Elisabeth Kübler-Ross, 'Über den Tod und das Leben danach', Berlin, 1994, ص. 44.

اكتبوا شيئاً كهذا. ورفض هذه الروايات بوصفها أشباحاً وخيالات سيكون استنتاجاً مفرط التبسيط، بل خاطئاً. لكن ما الذي يجب علينا حقاً أن نعتقده فيها، وكيف يمكن تصنيف هذه الروايات وتقييمها ككأياً؟

2.11.2 اختبارات الاحتضار في الكتاب المقدس؟

السؤال الأول دائماً هو: هل نجد في كلمة الله ظواهر من هذا النوع؟ وبما أن لدينا روايات عن إقامة أموات، فلننظر إلى الأشخاص المعينين.

أشهر رواية هي إقامة يسوع للعاذر (يوحنا 11). وتقول هذه الرواية إن لعاذر كان قد مات منذ أربعة أيام، وإن جسده كان قد بدأ يتعفن. فيجب أن ننطلق هنا من الموت البيولوجي. لقد دعا رب الحياة والموت لعاذر إلى الحياة من جديد. وكان ذلك معجزة وآية شهادة لليهود.

واللافت أنه لا يُروى شيء مما اختبره لعاذر في مدة موته. فعلى كل حال لا يكاد يُروى شيء عن لعاذر، ولكن كان هنا بالتأكيد ما يستحق أن يُروى. ولكنت أقواله عن العالم الآخر ذات بُعد مختلف تماماً عما نسمعه اليوم.

وليس حاليًا الإقامة الآخرين على يد يسوع أقل إثارة. فهناك ابنة يائرس (Jairus) (مرقس 5: 22؛ لوقا 8: 41) والشاب في نايين (Nain) (لوقا 7: 11). وكناهما أيضاً ميتين بيولوجياً، وأقامهما الرب يسوع، رئيس الحياة (أعمال الرسل 3: 15). ولا يُروى عنهما أيضاً شيء عن اختبارات في العالم الآخر.

وهذا ينطبق بالمناسبة على جميع حالات الإقامة الأخرى المروية في العهد القديم أو في العهد الجديد.

بل إن يسوع نفسه، الذي كان في أثناء موته في الفردوس بحسب كلماته هو، لم يرو شيئاً عن هذه الإقامة. أما كان يستطيع أن يروي كم الفردوس مجيد، وأي فرح كان هناك حين التقى فيه المؤمنين من كل العصور؟

واللافت أن الله لا يتكلم في كلمته إلا عن اختبار واحد فقط يؤكد لنا وجود الفردوس على أساس رواية اختبار شخصي. لقد كان بولس هو الذي اختطف إلى السماء الثالثة، إلى الفردوس (2 كورنثوس 12: 1-4).

ومن جهة أخرى فإن كون الكتاب المقدس لا يروي شيئاً عن مثل هذه الاختبارات (باستثناء حالة واحدة) ليس بعد دليلاً على أنها غير موجودة. لكنه يوضح أمراً مبدئياً. فالله لا يقدم براهين، لأنه ليس بحاجة إلى ذلك. إنه يوضح في كلمته توضيحاً كافياً لا لبس فيه أن هناك فردوساً وهاديس، وسماءً وجحيم.

ويتّضح هذا جداً في لعازر المسكين والرجل الغني في لوقا 16. فقد كان الغني في الهاديس في العذاب، وكان يعلم أن إخوته، إن لم يتوبوا، سيتبعونه يوماً ما إلى هذا المكان الرهيب. كانوا يعيشون كما عاش هو. وكان يرى أن الإمكانيّة الوحيدة لتوبتهم هي أن يرسل أحد إلى بيتهم لينذرهم إنذاراً ملحاً: «فقال: أسألك إذاً، يا أبت، أن ترسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة، لكي ينذرهم إنذاراً ملحاً، لئلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا. فقال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم. فقال: لا، يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، فلن يقتنعوا ولو قام واحد من الأموات» (لوقا 16: 27-31).

إن الله يعرف الإنسان ويعرف عدم إيمانه، ويعلم أن الخاطئ لا يستجيب حتى لو قام أحد من الأموات. والله يطلب من الخاطئ التوبة وطاعة الإيمان. فللخاطئ شهادة الخليقة وله ضمير. وفوق ذلك أعطاه الله كلمته والكراسة بالإنجيل. وشهادة الكتاب المقدس كافية من حيث المبدأ. فالناس يطلبون براهين وآيات، لكن عمل يسوع بمعجزاته الكثيرة المتنوعة أظهر أن حتى البراهين الساحقة على ألوهيته لم تُحدث توبة الإنسان، بل أحدثت كراهية أعظم فقط.

قال الرب يسوع المسيح إنه ذاهب إلى الفردوس، ومن هناك رجع في القيامة. ولم يخبرنا بشيء عن الوقت الذي قضاه في الفردوس. واستنتاجي أنه ليس مهماً لنا أن نعرف شيئاً عن ذلك. فلم يكن اهتمامه بالعالم الآخر، بل بهذا العالم، وتحديدًا بملكوت الله على الأرض. وكان ما يشغل التلاميذ هو متى سيقم الرب ملكوت الله. وفي أثناء الأيام الأربعين بعد القيامة تكلم الرب يسوع معهم ساعات كثيرة عن ذلك (أعمال الرسل 1: 3). وهنا أيضاً يتّضح جلياً أن محور الكتاب المقدس في مجمله ليس العالم الآخر ولا الحالة الوسيطة، بل دائماً الكمال في القيامة، وإكمال طرق الله مع الخليقة كلها.

2.11.3 الرسولان بولس ويوحنا

لا تقدّم الملاحظات السابقة جواباً نهائياً عن الأسئلة الصعبة المتعلقة باختبارات الاحتضار. لكننا أبرزنا مبدأً يجب أن نستعين به حين نواجه هذه الظواهر.

نرى عند بولس ويوحنا، وعند مؤمنين آخرين أيضاً، أنهم يروون عن السماء وعن الفردوس. فقد كان يوحنا في آخر حياته سجيناً في جزيرة بطمس (Patmos) (رؤيا 1). وهناك رأى رؤى دونها في سفر الرؤيا. وسفر الرؤيا رواية اختبار من السماء. فقد كان يوحنا في الروح في يوم الرب. وهذا يعني أن روح الله حلّ عليه، فدخل إلى عالم آخر حيث التقى القائم من الأموات. بل يُقال إنه دُعي ليصعد إلى السماء. لم يكن ذلك حلمًا، بل كان حقيقة استولت عليه حتى إنه دون كل ما رآه بالتفصيل. ولم يكن ذلك اختبار احتضار ولا تجربة اقتراب من الموت. لكنه يوضح أن الله منح أناساً اختبارات صاروا بها على تماس مع السماء، ومع الملائكة، ومع الرب يسوع نفسه. وقد اختبر أنبياء مثل إشعياء (مثلاً الأصحاح 6) ودانيال وحزقيال وغيرهم الاختبار نفسه. غير أن الأمر عند هؤلاء الأشخاص يتعلق بإتمام خدمتهم الخاصة بوصفهم أنبياء كتبوا أسفار العهد القديم والعهد الجديد. فليست إذن اختبارات احتضار «عادية».

وهكذا كان الأمر أيضاً مع بولس: «إنه لا يوافقني أن أفتخر، ولكني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة (أفي الجسد؟ لست أعلم، أم خارج الجسد؟ لست أعلم، الله يعلم)، إنساناً **اختُطف إلى السماء الثالثة**. وأعرف هذا الإنسان (أفي الجسد أم خارج الجسد؟ لست أعلم، الله يعلم)، أنه **اختُطف إلى الفردوس**، وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها» (2 كورنثوس 12: 1-4).

قد يكون الأمر عند بولس اختبار احتضار وقيامة. فبين كتابة الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ورجم بولس في لسترة (Lystra)، كما يُروى في أعمال الرسل 14: 19، أربع عشرة سنة. والرجم لم يكن ينهى قبل التأكد من أن المرحوم قد مات فعلاً. وقد جروا بولس إلى خارج المدينة، لأنهم كانوا مقتنعين بأنه مات. لكن بولس قام ببساطة - ولا كلام هنا على محاولات إنعاش قام بها التلاميذ - ودخل المدينة ثانية. وهذه معجزة. فإما أن بولس أقيم من الأموات، وإما أنه أفاق من تلقاء نفسه. هل اختُطف في أثناء هذا الحدث إلى الفردوس؟ لا نستطيع أن نبرهن على ذلك، ولا أن نستبعده. ومثال الرسول

يوضح أنه يمكن من حيث المبدأ أن تكون هناك اختبارات غير عادية في العالم الآخر - وفي هذه الحالة اختبارات المؤمنين.

وهكذا رأى الشهيد استفانوس أيضاً سماءً مفتوحة رؤية حفية، لا في حلم (أعمال الرسل 7: 55، 56). ولم يكن ذلك اختبار احتضار، مع أن الموت رجماً حدث بعد ذلك بقليل. ولا ينبغي أن نستبعد من حيث المبدأ إعلاناً كهذا اليوم أيضاً.

2.11.4 اختبارات الاحتضار - السماء وجهنم

يرجع كثرة اختبارات الاحتضار في زمننا في أحيان كثيرة إلى الوسائل التقنية الحديثة التي تجعل الإنعاش ممكناً. فالتقنية المتقدمة في مجتمعنا تطرح أسئلة لا يعالجها الكتاب المقدس مباشرة. وهنا يجب أن نبحث عن أجوبة أو مبادئ لا نستطيع أن نجد لها إلا بمعونة روح الله في كلمته. فكلمة الله آية وملزمة في أيامنا أيضاً، حتى لو لم يكن من السهل أحياناً تطبيقها على أسئلة زمننا. والفهم الحي للكتاب المقدس الذي يصنعه الروح يتميز بالذات بأن المرء يطبق كلمة الله في زمننا، ويعرف الأزمنة في بعدها الروحي ويحكم عليها (1 أخبار الأيام 12: 32).

والمهم في اختبارات الاحتضار أن هناك أيضاً اختبارات سلبية للغاية. فبقدر ما تختلف السماء عن جهنم، تختلف أيضاً الاختبارات في اختبارات الاحتضار. فالناس يروون اختبارات من جهنم، ومن العذاب، ومن الشياطين. وهذه الاختبارات المرعبة لا تُروى في الكتب الأكثر مبيعاً، لأنها تشوه الصورة الجميلة عن الموت باختباراته الإيجابية، وتشير إلى احتمال أن تكون هناك جهنم وعقوبة على الخطايا. وبعض الناس يكتبون ما اختبروه وينسونه سرياً، وآخرون يطلبون الخلاص في المسيح.

ومع هذه المعلومات، التي يعرضها الدكتور رولينغز (Rawlings)¹¹⁸ بالتفصيل، لا يعود ممكناً بحكم التعريف أن يُقال إن هناك سماءً لجميع الناس، وإن جهنم ليست إلا اختراعاً من الكنيسة. ولذلك فإن القول المقتبس أعلاه للسيدة كوبلر-روس (Kübler-Ross) غير صحيح!

118. Dr. med. Maurice S. Rawlings، Zur Hölle und zurück, Leben nach dem Tod – überraschende Beweise، (Hamburg (Verlag C.M. Fliß)، 1996.

ويمكننا أن نستنتج أن اختبارات الاحتضار تتوافق مع صورة الكتاب المقدس من حيث إنها تعكس كلا المكانين أو كلتا الحالتين في العالم الآخر. فالأمر كأن الهاديس والفردوس يلبيان ظلالهما مسبقاً في هذه المنطقة بين الحياة والموت.

2.11.5 غواية الظلمة

يثير ريبتنا أن أناساً لا يريدون أن تكون لهم علاقة بيسوع المسيح ولا بالكتاب المقدس يختبرون اختبارات احتضار إيجابية، ويلتقون كائنات ملائكية ومعارف يبدو أنهم في حال حسنة جداً في العالم الآخر. فهم لا يلتقون ديناً يحاسبهم، بل يدافع عنهم ويلتمس لهم العذر حتى فيما يتعلق بالشر الذي فعلوه.

والكائنات التي يلتقونها كائنات ودودة ساطعة النور، تشع محبة. وحكمنا على هذه الكائنات واضح، لأنها تقول ما ليس بحق: إنها شياطين تقلّد أسلوب زعيمها الأعلى، إبليس (2 كورنثوس 12: 7؛ رؤيا 12: 8). فهو يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور (2 كورنثوس 11: 14)، وبذلك يوهم الإنسان بأن نواياه الفاسدة صالحة.

فعند نقطة الالتقاء بالعالم الآخر تنتظر الأرواح فقط لكي تمارس تأثيرها الشرير. وهذا يبيّن لنا بوضوح كم تقيم هذه الأرواح قريباً من الناس، وليس فقط على عتبة الموت. فحضور الأرواح الشريرة يزداد وضوحاً بهذه الروايات. إنها في الهواء، وبذلك تقيم بين الناس؛ كما أنها استولت على بعض الناس وتسكن فيهم، وهو ما ظهر خصوصاً في أثناء حضور الرب يسوع المسيح ومن خلال أعمال شفائه أو تحريره. يكتب بولس إلى أهل أفسس: «التي سلّكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية» (أفسس 2: 2)، و: «فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أفسس 6: 12).

أخشى أن المسيحيين كثيراً ما يستهنون بعمل الشياطين وتأثيرها؛ وبذلك وقعوا للأسف جزئياً ضحية لمكيدة العدو. إنه هجوم شيطاني هائل على تفكير البشرية. فالخوف من الموت يلغى. لكنها كذبة وحقّة. فن غير إبليس له مصلحة في تصوير الموت على أنه غير مؤدٍ، وعلى أنه مدخل إلى عالم جميل بلا نهاية؟

لقد حملت ملائكة الله لعازر المسكين في لحظة موته إلى حضن إبراهيم. ونقرأ عن هؤلاء الملائكة: «أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيد أن يرثوا الخلاص؟» (العبرانيين 1: 14). فهم إذن حاضرون عند الحدّ الفاصل بين هذا العالم والعالم الآخر.

2.11.6 مستحضرو الأرواح رجس عند الرب

لقد وضع الله حداً واضحاً بين الأحياء والأموات. وهو يحرم كل محاولة للتواصل مع الأموات. ومستحضرو الأرواح يتجاوزون هذا الحدّ الواضح. ولذلك يأتي حكم الله على هؤلاء الرجال والنساء صارماً جداً: «وإذا كان في رجل أو امرأة روح استحضر أرواح أو روح عرافة، فإنهما يقتلان قتلاً؛ بالحجارة يرجمونهما، دهما عليهما» (اللاويين 20: 27).¹¹⁹

وهذه الكلمة توضح كذلك أن القدرات، أو بالأحرى المحاولات، للاتصال بالأموات تقودها أرواح شريرة استولت على مستحضري الأرواح (1 صموئيل 28: 7، 8). ولهذا السبب ليس أقلّ من غيره يدين الله هؤلاء الناس بهذه القسوة. فما يظهر هنا إذن ليس قدرات بشرية، بل قوى فائقة للطبيعة مصدرها مملكة الشر. فالأمر يتعلق بلا ريب بتأثير قوى شريرة.

ولذلك من الواضح أيضاً أن هذه الأرواح تُضِلّ، لأنها لا تستطيع أن تُحضر أرواح الأموات. إنها كذبة أن الملائكة الساقطين، الذين تبعوا الشيطان في تمرده، قادرون على أن يستولوا على الأموات. فقدرتهم تكمن في أنهم يقلّدون الشخص المعني تقليداً يبدو حقيقياً إلى حدّ الخداع. إنهم يخدعون جميع الذين يريدون أن يتصلوا بالأموات عن طريق مستحضري الأرواح، لكي يعرفوا أموراً لا يستطيعون أن يعرفوها بطريقة أخرى. وبهذه الطريقة يوسع إبليس نفوذه بوصفه إله هذا الدهر.

لقد دعا الله شعبه بواسطة إشعياء إلى أن يسأل إلهه: «وإذا قالوا لكم: اطلبوا إلى أصحاب التواب [مستحضري الأرواح] والعرافين المشقشين والهامسين، ألا يسأل شعب إلهه؟ أيسأل الموتى لأجل الأحياء؟» (إشعياء 8: 19).

119. انظر أيضاً اللاويين 19: 31، 20: 6؛ التثنية 18: 11، 12؛ 1 صموئيل 28: 3، 2 الملوك 21: 6؛ 1 أخبار الأيام 10: 13.

ومن المهم في هذا السياق أن نرى أن كثيرين من باحثي الموت، مثل السيدة كوبلر-روس، كانت لهم أيضاً معاملة مكثفة مع عالم الأرواح. فهي تروي عن أرواحها التي كانت تتعامل معها كثيراً. وإبليس، الذي له سلطان الموت، يعرف خوف الإنسان من الموت، ويستغله ليوهم الإنسان بأن الموت ليس دينونة ولا نتيجة للخطية. فلا يحتاج الإنسان إذن إلى فداء، مع أن المنتصر على الموت قد صنعه. «لن تموتاً»، كانت هذه كذبة المضلل منذ البدء (التكوين 3: 4)، وهو يجد دائماً حججاً جديدة ليموه هذه الكذبة.

كثيرون من باحثي الموت روحانيون (يمارسون استحضار الأرواح) ومرتبون بحركة العصر الجديد. ولذلك لا يمكن أن يكونوا إلا مضللين.

2.11.7 شاول وصموئيل

إن حادثة شاول والمرأة مستحضرة الأرواح في عين دور في 1 صموئيل 28 استثناء لافت. فمع أن شاول ارتكب هنا خطأ كبيراً، ومع أن مستحضري الأرواح لا يستطيعون أن يصعدوا الأموات، فإن صموئيل ظهر في هذه الحالة فعلاً. وأمران يوضحان ذلك: أولاً لم تكن المرأة هي التي استحضرت صموئيل. لقد ظهر من دون فعلها. وفزع المرأة يُظهر أن ما حدث هنا كان شيئاً مختلفاً تماماً عما اعتادته. فهي لم تكن تتحكم في الموقف. وما كان نبي الله ليُستحضر أبداً بروح عرافة. ثانياً تكلم صموئيل بلا ريب بالحق الذي كان شاول يعرفه من قبل. فلم يكن إذن روحاً ما ادعى أنه صموئيل وكذب على شاول. لقد ظهر صموئيل هنا كما ظهر فيما بعد موسى وإيليا على جبل التجلي.

فهذه الحادثة تؤكد إذن أن الأموات لا يمكن أن يُستحضروا بمستحضري الأرواح أو بأرواح شيطانية. فهذا لا يقدر عليه إلا الله، وهو لم يفعله إلا هنا، بقدر ما يروي الكتاب المقدس. فببساطة لا يوجد تبادل بين عالم الأحياء في هذه الدنيا وعالم الأموات في العالم الآخر. فبين الأحياء والذين ماتوا فاصل لا يمكن اختراقه. ولا أقصد بذلك عالم الشياطين، الذي يحاول فعلاً أن يتصل بعالمنا هذا. لكن الشياطين لم يعد لها شأن بالذين ماتوا.

2.11.8 الغواية المضادة للمسيح في آخر الزمان

المشكلات الأخلاقية والقيمية التي تنشأ عن التطور التقني المتسارع علامة من علامات آخر الزمان. واختبارات الاحتضار، التي لم تصبح ممكنة على نطاق واسع إلا بفضل

التقنية، تفتح الباب أيضاً للشياطين ولتعاليمها: «ولكن الروح يقول صريحاً: إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحاً مضلةً وتعاليم شياطين» (1 تيموثاوس 4: 1).

واليوم منذ الآن تلقي أحداث آخر الزمان، كما يصفها سفر الرؤيا، ظلالها مسبقاً: «فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات...» (رؤيا 16: 14). فروح ضد المسيح يعمل الآن منذ الآن، وسيتجلى تجلياً كاملاً بعد اختطاف الكنيسة بمقدار لم يُعرف قط. سيصنع آيات وعجائب، ولا نعرف أي مجال يتركه الله للشيطان ليصنع عجائب لا يمكن أن ينسبها المرء إلا إلى الله. كتب بولس إلى أهل تسالونيكي: «وحيثند سيستعلن الأئيم، الذي الرب يسوع يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه، الذي مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم، في الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا» (2 تسالونيكي 2: 8-10).

أذكر هذه الآيات لأنها تصف بالضبط الوضع اليوم. فاختبارات الاحتضار التي لا تتوافق بأي حال مع كلمة الله تنتمي أيضاً إلى برنامج الشيطان لآخر الزمان. فهو لا يفوت أي فرصة، وهذه ليست إلا البداية.

2.11.9 الخلاصة¹²⁰

ماذا يجب علينا إذن أن نعتقد في اختبارات الاحتضار؟ لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال بجملة واحدة. فبعض جوانب اختبارات الاحتضار معقدة جداً، وتمس مسائل في علم النفس، وفي علم ما وراء النفس (الباراسيكولوجيا)، وفي عالم السحر والتنجيم. ولذلك أختتم هذا الفصل ببعض الملاحظات المبدئية التي يمكن بمعاونتها الوصول إلى حكم واضح.

إن الموت عند الناس الذين مروا باختبارات احتضار، أي عند الناس الذين «رجعوا»، لم يكن الموت الذي لا رجعة فيه، ولذلك فإن اختباراتهم لا تقدم حقاً معلومات عن العالم الآخر.

فهم لم يكونوا في السماء ولا في جهنم. «الاحتضار» ليس هو «أن يكون المرء ميتاً». فأن تسافر إلى ميونخ (München) ثم تعود من الطريق نفسها لا يعني أنك وصلت إلى ميونخ، فضلاً عن أن تعيش فيها.

120. لمن يريد أن يتعمق أكثر في اختبارات الاحتضار أوصي بكتب جون أنكربرغ وجون ويلدون (John Ankerberg & John Weldon) (انظر قائمة المراجع).

وإن كان ما اختبروه يوافق السماء أو جهنم،¹²¹ فنحن أمام منطقة بين الحياة والموت لا يقول الكتاب المقدس عنها شيئاً. لكننا نستنتج، بناءً على الشهادات الكثيرة عن مثل هذه الاختبارات، أنه في المنطقة التي تغادر فيها النفس الجسد لوقت قصير،¹²² يمكن أن تقترب أرواح من النفس، سواء ملائكة الله أو أيضاً الشياطين، ملائكة الشيطان (2 كورنثوس 12: 7). وغواية الشيطان تكمن في أنه يوهم هؤلاء الناس بالسماء، مع أنهم هالكون. والمعلومات التي جلبت من «العالم الآخر» لا تتوافق في الغالبية العظمى من الحالات مع حق الكتاب المقدس.

وآخر الزمان تطبعه الغواية الشيطانية، التي لا تتوقف حتى أمام المسيحيين. فكثير مما يروى يتخلله التفكير الرغبي لدى المؤلفين والباحثين المزعومين، وبعضه الآخر ببساطة خداع. وفي معظم الحالات يتوافق تصور العالم لدى من يسمون باحثي الموت مع حركة العصر الجديد ومع التصوّف ومع الأديان والفلسفات الشرقية. ولهذا السبب وحده يقع هؤلاء الناس فريسة للغواية الشيطانية بلا أي سند.

وإن مرّ مسيحيون معترفون باختبارات احتضار، فيجب أن يبقى أمر واحد ثابتاً دائماً: قانون الكتاب المقدس مغلق. ولن تكون هناك معارف جديدة يمكن أن تعلن لنا شيئاً لا نعرفه من قبل من الكتاب المقدس. والمسيحيون الذين مرّوا بمثل هذه الاختبارات لا ينبغي أن يستخلصوا منها استنتاجات لاهوتية، بل أن يسألوا أنفسهم ماذا يريد الله أن يقول لهم من خلال ما اختبروه فيما يتعلق بحياتهم الروحية الشخصية.

فلنصلّ لكي نستطيع أن نُميّز الأرواح (1 كورنثوس 12: 10؛ 1 يوحنا 4: 1) وأن نتخذ موقفاً واضحاً كلياً.

أسئلة للتعمّق

- لماذا تجيب إنساناً يدّعي أنه مات ثم رجع؟
- ومن جهة أخرى كيف تجيب عن الاعتراض: «لم يرجع أحد قط من هناك!»؟
- لماذا لا تروي اختبارات الاحتضار شيئاً عن السماء وجهنم؟

121. هناك أيضاً أناس كانوا أمواتاً سريراً ولم يختبروا شيئاً على الإطلاق.

122. يمكن إحداث اختبارات مشابهة بالمخدرات، ولذلك لا ترتبط بالضرورة بالموت. وهناك روايات لا تُحصى عن أناس مرّوا باختبار خارج أجسادهم من دون أن يكون لهم اختبار موت.

- كيف ينبغي أن يتعامل مسيحي مرّ باختبار احتضار مع ما اختبره؟
- لماذا لا تستطيع اختبارات الاحتضار أن تأتي بمعارف جديدة؟

3 صورة الإنسان في الكتاب المقدس

إن استعمال مفهوم «الروح-النفس» يلزمنا بدراسة صورة الإنسان في الكتاب المقدس. بل إن موضوع «الموت» و«خلود النفس» لا يمكن فهمه حقاً ما لم ندرس الإنسان وما يشكل كيانه. وسيجري ذلك هنا في نطاق محدود ومن جهة صلته بموضوعنا. غير أن الكتاب المقدس ليس كتاباً مدرسياً في الأنثروبولوجيا¹²³ يتكلم في موضع واحد كلياً شاملاً عن الإنسان. وفوق ذلك فهو لا يتكلم عن الإنسان بلغة اللاهوتيين أو علماء النفس، بل بلغة الحياة اليومية. ولغة الكتاب المقدس متعددة الأوجه، وكثيراً ما تستعمل التعبير نفسه بمعانٍ مختلفة. وليس لهذا السبب وحده أن الموضوع صعب وواسع؛ ولذلك يتطلب جهداً للحصول على نظرة شاملة. وحتى إن كان الموضوع صعباً وتوجد فيه آراء مختلفة، فلا ينبغي للؤمن أن يمتنع عن الانشغال به. فالأمر يتعلق به هو نفسه، بكيف خلقه الله، وكيف أراده الله! وفي ذلك تُعرف عظمة الله وحكمته.

من يأخذ كلمة الله بيده في هذا الموضوع سيجد عدة مفاهيم تصف عناصر كيان الإنسان. وهي كلمات مثل «القلب، الروح، النفس، الكلّي، العظام، اللحم، الجسد، الأفكار، الضمير، الذهن، الإرادة» إلخ. ويجب أن تدرس هذه المفاهيم في سياقها النصي.

وسيالاحظ المرء عندئذ أن هذه المفاهيم تُستعمل بتنوّع كبير في المعاني والترجمات. فلن يكون في نهاية الدراسة إذن حلٌّ نتوافر لنا فيه تعريفات نقية لا لبس فيها. لكن المفاهيم الأساسية ستكون أوضح، وستمكن من تصنيف كثير منها تصنيفاً أفضل. وسيعرف بناء عام أو ترتيب عام يمكننا أن نسميه صورة الإنسان في الكتاب المقدس.¹²⁴

ودراستي ليست كذلك بحثاً مستفيضاً قائماً بذاته وخارج أي سياق. فهي تجري خصوصاً بالنظر إلى الرأي الخاطئ القائل إن الإنسان بعد الموت لا يعود موجوداً بأي حال. فيدعى أن الإنسان لا يملك نفساً ولا روحاً بوصفهما عنصرين متميزين عن الجسد. وينظر إلى

123. علم الإنسان.

124. من حيث المبدأ يجب أن نتطرق في الدراسة من أن الإنسان في تكوينه كله، أي جميع عناصر كيان، قد وقع تحت آثار الخطية، ولذلك لا يمكن النظر إلى أي منها على أنه محايد أو غير متأثر بالخطية. وهنا يتضح أن صورة الإنسان عموماً تقف في تناقض صارخ مع صورة الإنسان في الكتاب المقدس. فعند علماء النفس والفلاسفة الذين لا يعرفون الخالق، ولذلك يرفضون إعلانه، لن نكاد نجد أجوبة تأخذ بعين الاعتبار السقوط أو المسؤولية أمام الخالق.

الإنسان **حصراً** في كليته ووحده، التي يفنيها الموت. وبالتالي يعني الموت عدم الوجود إلى أن يُخلق من جديد في القيامة. فالروح والنفس، وهما مقرر شخصية الإنسان ومركزها، تكونان بحسب ذلك زمنيّتين وفانيتين مثل الجسد.

وبما أنني بينت من قبل بالتفصيل أن هناك وعياً بعد الموت، فلا عجب أن تقوم هذه الآراء الخاطئة على صورة للإنسان لا تتوافق مع صورة الكتاب المقدس.

3.1 مِمَّ يَتَكَوَّنُ الْإِنْسَانُ؟

كما سبقت الإشارة، توجد في العهد القديم والعهد الجديد عدة مفاهيم تدلّ على مكونات كيان الإنسان. وليس مفهوما «الروح» و«النفس» هما اللذان يحتلان المرتبة الأولى، بل «القلب» هو الذي يصف كيان الإنسان أكثر من جميع المفاهيم الأخرى. فكلية «القلب» ترد في الكتاب المقدس أكثر من ألف مرة، وبمعان مختلفة. وقلب الإنسان - لا العضلة المخوفة التي تضخّ الدم - هو بالمعنى المجازي مركز الإنسان، كيانه الأعمق، ولذلك أيضاً كيانه الخفي.

والإنسان بوصفه تاج الخليقة وصورة الله كائن معقّد للغاية. ومن التبسيط المفرط أن نقسمه إلى عنصرين أو ثلاثة. فالإنسان لا يتكوّن من «جواهر» يمكن تفكيكها، بل يشكّل وحدة ذات جوانب مختلفة. والجانب¹²⁵ يصف الإنسان من موقع معين أو من زاوية نظر معينة. ونحن ننظر إلى الإنسان من جانب تجاوزه للزمان. وسؤالنا هو: ماذا يحدث للإنسان عند الموت؟

واللافت أن هذا السؤال كثيراً ما يمسّ عناصر الكيان أو جوانبه التي تُسمّى «الروح» و«النفس».¹²⁶ أما القلب، الذي هو أكثر من جميع المفاهيم الأخرى **المفهوم** الأنثروبولوجي بامتياز في الكتاب المقدس، فلا يكاد يُذكر في هذا السياق أو لا يُذكر إطلاقاً.

وسأأخذ موضعين كتابيين نقطة انطلاق لدراستي. أحدهما يرجع إلى خلق الإنسان، والآخر يشير إلى المستقبل:

125. انظر في ذلك بالتفصيل، W.J. Ouwenel، Psychologie، Ein Bibelorientiert-Wissenschaftlicher Entwurf، Dillenburg (CVD)، 1993، ص. 61-67.

126. مثلاً التكوين 8: 21، التثنية 6: 5، 26: 16، الأمثال 4: 23، متى 22: 37، مرقس 7: 21، رومية 1: 21، 2: 15، 10: 9.

«وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حية» (التكوين 2: 7) و:

«والله السلام نفسه يقدّسكم بالتّمام. ولتُحفظ رُوحكم ونفُسكم وجسَدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح» (1 تسالونيكي 5: 23).

في هذه الآيات نجد مفاهيم «الروح» و«النفس» و«الجسد» مقرونة بأصل الإنسان أو بخلقه، وبالنظر إلى مستقبله. فبولس يتكلم عن مجيء الرب، والإنسان كله عنده في هذا الموضع الكُليّ يتكوّن من روح ونفس وجسد. وعبارة «يقدّسكم بالتّمام» تؤكد هذه الحقيقة تأكيداً صريحاً. وهذا «الترتيب» لعناصر الكيان لا نجده في الواقع إلا مرة واحدة في كلمة الله، وذلك هنا. ومن هذا الموضع يستنتج كثيرون تقسيمًا ثلاثيًا حصريًا للإنسان.¹²⁷ ولو كان الأمر كذلك، فأين يبقى قلب الإنسان، وكيف تُفسّر عندئذ جميع المفاهيم الأخرى المذكورة أعلاه؟ إن بولس لا يحصر الإنسان عمومًا في هذه الجوانب الثلاثة، لأنه هو أيضًا يستعمل مفاهيم أخرى في رسائله. فهو هنا يضع المستقبل نصب عينيه، ويقول إن الإنسان كله في تنوّعه، في جميع جوانبه، يُحفظ إلى يوم المسيح.

ومن المهم لبولس أن تكون له هذه النظرة إلى الإنسان فيما يتعلق بالمستقبل. ونظرتة ليست سوى أخذ وتلخيص لجميع المواضع الكُليّة في العهد القديم التي تقول شيئاً عن تكوين الإنسان انطلاقاً من التكوين 2: 7. ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك، لأنّ الكتاب المقدس، المؤلّف من العهد القديم والعهد الجديد، يشكّل وحدة جمعها الله. وبذلك تتوافق صورة الإنسان عند بولس تماماً مع إعلان الله كما أعطى من قبل في العهد القديم. فهي إذن ليست صورة جديدة للإنسان، فضلاً عن أن تكون يونانية، بل هي، إن شئنا، صورة عبرية أو يهودية للإنسان.

127. لا أتابع هنا الجدل القديم حول ما إذا كان الإنسان بالمعنى الكُليّ ثنائي التكوين (من جزأين) أو ثلاثي التكوين (من ثلاثة أجزاء). وأفضل المقاربة التي لا يوجد فيها هذا الفصل الواضح بين النفس والروح بسبب تعدد معانيهما. ولذلك فإن الملاحظة التالية مفيدة: «من الناحية الوظيفية يمكن إذن، عند الإنسان الحي، إذا أخذنا كليته بعين الاعتبار، أن نتكلّم فعلاً عن روح ونفس وجسد، كما يحدث مثلاً في 1 تسالونيكي 5: 23. أما من ناحية الجوهر فيبقى أن الإنسان لا يتكوّن إلا من «جزأين»: الجزء المتسمي، أي الروح-النفس، والجزء الحاشي، أي الجسد. وهكذا يمكن أن نتكلّم عن ثنائية جوهرية وثلاثية وظيفية. فليس للنفس إذن وجود مستقل عن الجسد والروح، مع أنها ليست مطابقة تماماً للروح، بل تبقى دائماً - حتى بعد موت الإنسان - قابلة للتّمييز» (Roland Anholzer, Geist, Seele und Leib - der Mensch in seiner Beschaffenheit).

ويذكر بولس ترتيباً معيناً يضع فيه روح الإنسان في المرتبة الأولى. غير أن الجسد لا يُستخفّ به لكونه في المرتبة الأخيرة¹²⁸. وسبب اختيار هذا الترتيب يتضح من خلق الإنسان، حيث الروح (نسمة الحياة) هو العنصر الجوهري الذي يجعل الإنسان إنساناً على صورة الله.

3.2 روح الإنسان

الأقوال الرئيسية في العهد القديم عن خلق الإنسان هي:

«وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... نخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه» (التكوين 1: 26، 27).

«وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حية» (التكوين 2: 7).

نرى هنا الإنسان الأول، بلا حياة أولاً، مجبولاً من تراب الأرض. ثم تأتي عملية الإحياء الفريدة في قصة الخلق: الله ينفخ نسمة الحياة في أنفه. والنتيجة هي الإنسان الحي بجسد مادي مجبول من الأرض، وهو المخلوق الوحيد الذي فيه نسمة حياة الله. فنسمة الحياة تدخل فيه وتبقى هناك، وبذلك تنتمي إلى تكوينه¹²⁹. وهي التي تجعله إنساناً على صورة الله.

3.2.1 نسمة الحياة

نسمة الحياة، التي أعطاهها الله من ذاته، تقابل روح الإنسان، كما يسمّيها بولس أيضاً في 1 تسالونيكي¹³⁰. وكلمة «النسمة» تُترجم بطرق مختلفة. ولهذه الكلمة طيف واسع من المعاني. فهي تتعلّق بالله، وبالإنسان، وبالحيوانات. ومن معانيها أن نسمة الحياة هي الروح الذي أعطاه الله للإنسان، والذي يُنفخ في الإنسان بوصفه أهم عنصر في تكوينه، على خلاف الحيوان.

128. ومع ذلك فهو ترتيب ينبغي لليسوعي أن يراعيه: فحاجات الجسد قد تُتبيّن أنها عبء لا لزوم له، وبالتالي عائق أمام النمو الروحي. ولذلك قال بولس: «بل أقم جسدي وأستعبد» (1 كورنثوس 9: 27). فلم يرد أن يكون «محكوماً بالجسد»، بل أن يكون محكوماً بروحه الذي يجدّده الروح القدس. جسده ينبغي أن يكون أداة لروحه وأن يتبع أفكاره، لا العكس.

129. التركيب، التكوين، النظام.

130. يشهد العهد القديم لذلك مراراً: أيوب 27: 3، 32: 8، 33: 4، 34: 14، 15: 42، 5: 57، 16: 1، الملوك 17: 17،

21 مع المزامير 104: 29، 30 وحزقيال 14: 37.

وبالروح الذي يعطيه الله لكل إنسان¹³¹ يصير الإنسان شخصاً مستقلاً، أي «أنا»، وبالتالي أيضاً «أنت» بالنسبة إلى الله. ومفهوم «الشخص» المألوف لدينا جداً له أصله هنا بالذات. فالله إله غير محدود ومع ذلك إله شخصي، هو خالق الإنسان وحافظه. والإنسان المخلوق على صورة الله شخص، شخصيته مشتقة من شخصية الله.

3.2.2 الروح الذي من الله وروح الإنسان

إذا كان الروح الذي يعطيه الله يجعل الإنسان شخصاً، إذ يُشكّل روح الإنسان، فيجب أن نُميّز بوضوح جانبين لهذا الروح لهما أهمية كبيرة لموضوعنا. فمن جهة هو الروح الذي يأتي من الله ويبقى كذلك. وهذا لا يجعل الإنسان مساوياً لله، بل هو يملك هذا الروح بوصفه عطية في اعتماد على المعطي، كما أن أوراق الشجرة لا تملك القوة والحياة إلا في اتصالها بالشجرة. وبهذا المعنى يجب أن نفهم أيضاً قول بولس حين قال لليونانيين في أريوس باغوس إننا «ذرية الله» (أعمال الرسل 17: 28، 29؛ قارن سلسلة نسب يسوع في لوقا 3: 38، حيث يقف الله في البداية بوصفه مصدر الجنس البشري: «ابن آدم، ابن الله»).

والجانب الثاني يكمن في الوجود الإنساني الذاتي لهذا الروح. فالروح الذي من الله صار في الإنسان روح الإنسان، الذي يجعله شخصاً (رومية 1: 9؛ 1 كورنثوس 16: 18؛ 2 كورنثوس 2: 13؛ 7: 13؛ فيليبي 4: 23؛ 2 تيموثاوس 4: 22؛ فليمون 25).

وهكذا يُتكلم أيضاً عن روح «هم» - أي روح الإنسان - (النسمة) الذي يعيا أمام الله (إشعيا 57: 16). فهنا هو الروح البشري في ضعفه وزواله، على خلاف الروح الذي من الله، الذي لا يمكن أن يعيا.

والروح هو أعمق كيان الإنسان (المزامير 32: 2؛ ويُسمّى أيضاً القلب: مرقس 7: 20-23؛ إشعيا 57: 15؛ 1 كورنثوس 7: 34)¹³². إنه مركز الذات، «الأنا» بوصفها شخصاً (إشعيا 26: 9). وهذا الروح الذي من الله يمنح الإنسان كونه على صورة الله («الله روح»؛ يوحنا 4: 24)، ويشكّل إنسانيته كما قصدها الله.

131. لا يجوز الخلط بين «الروح الذي من الله» والروح القدس، الذي نسمّيه الأقدوم الثالث في اللاهوت. إنه الروح الذي من الله، لكن لا بوصفه شخصاً، بل بوصفه قوة محيية. إنه ما أعطاه الله للإنسان من ذاته.

132. قارن «الإنسان الداخل» في 2 كورنثوس 4: 16، حيث يصف مع ذلك الحياة الجديدة للؤمن.

والروح ليس، كما يفترض كثيراً، عقل الإنسان. فهذا الرأي أصله في الفلسفة اليونانية، حيث الروح مرادف لـ«العقل» و«المعرفة». وهذا الرأي يحجب صورة الإنسان الفريدة في الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس نفسه يبرز الفرق بين «الروح» و«العقل»، مع أن الروح يفكر ويشعر معاً. فالتفكير الذي ننسبه إلى العقل ليس إلا وظيفة واحدة من وظائف الروح (الأمثال 20: 27؛ 1 كورنثوس 2: 11؛ 14: 14؛ إشعياء 29: 24).

وروح الإنسان هو أيضاً «الموضع» فينا الذي يستطيع الله أن يكلمه. إنه نقطة الارتكاز والهوئي لعمل الله في الإنسان (الأمثال 20: 27). فهكذا مثلاً يشهد الروح القدس لأرواحنا (أي للروح البشري) أننا أولاد الله (رومية 8: 16). غير أن الله يخاطب الإنسان كله. فالروح هو المدخل لكلام الله، لكن حين يخضع الإنسان لله، فإن الإنسان كله هو الذي يضع نفسه في خدمة الله.

وروح الإنسان هو جوهر الإنسان، عند المؤمن وعند غير المؤمن على السواء (التكوين 41: 8؛ 45: 27؛ عزرا 1: 1، 5؛ دانيال 6: 3). لكن روح الإنسان من دون الروح القدس جسدي (رومية 8: 4-8)، عاجز عن الاتصال بالله.

وتوجه الإنسان الساقط في الخطية وروحه البشري نحو الله يظهر بوضوح في الأديان. ففي توجهه نحو الله لا يلجأ الإنسان إلى خالقه، بل إلى الأوثان التي تقف وراءها الشياطين.

والنقطة الجوهرية لدراستنا هي أن الروح المعطى من الله يملك صفة الخلود. صحيح أن خلود الروح البشري لا يذكر صراحة، لكنه ينتج من حقيقة أن نسمة الله لا يمكن أن تموت. فهي نسمة أو روح الإله الأزلي (رومية 16: 26). غير أن نسمة الله التي في كل إنسان منذ البدء ليست الروح القدس بوصفه أقنوماً في اللاهوت. فعن أولاد الله وحدهم يُقال إن الروح القدس يسكن فيهم. فلا يُقصد بنسمة الله أقنوم روح الله، بل نسمة الله بوصفها شيئاً يقابل حياة الله، وبالتالي هي القوة الحية للإنسان. ونسمة الله هذه هي من الله من حيث الطبيعة و«الجوهر». وإذا كان للإنسان هذا الروح، فيجب أن يكون روحه أيضاً - في اعتماد دائم على الإله الأزلي - خالداً أو متجاوزاً للزمن.

وأكرّر هنا: للإنسان نسمة الله بوصفها عطية حاسمة لكونه إنساناً. وهي في وجودها الذاتي تشكّل في الوقت نفسه شخص الإنسان. ولذلك من المثير أن نعرف ما يقال عن الروح

كثيراً، يقول إن التراب، أي الجسد البشري، يرجع إلى الأرض، والروح يرجع إلى الله الذي أعطاه (الجامعة 12: 7). فالروح يرى هنا في عدم فساد، إذ يبقى بعد موت الجسد وانحلاله. لكن هذا الروح ليس فقط الروح الذي من الله كما يُحيي الإنسان. إنه في الوقت نفسه روح الإنسان، الذي فيه تقوم شخصيته ووعيه بذاته. فحين يرجع الروح إلى الله، يرجع بذلك روح الإنسان، أي الشخص (لا حياة الجسد فقط)، إلى الله، والله يقبله، سواء للدينونة أو للبركة.

وروح الإنسان ليس مقيّداً بالجسد، ولا يزول مثل الجسد في الموت. فحين يقول المرتّم إن الروح يخرج ويعود إلى الأرض (المزامير 146: 4)،¹³⁴ فلا يمكن أن نستنتج من ذلك أن الشخص مقيّد بالجسد، وأن ما يشكّل «الأنا» يصير تراباً. فشخص الإنسان مرتبط بروحه (1 كورنثوس 5: 5)، ولا يكفّ عن الوجود حين يموت الجسد ويخل.

ويرينا العهد الجديد كيف رجع روح ابنة يائرس (Jairus) إلى الفتاة الميتة (لوقا 8: 55؛ يعقوب 2: 26)، وكيف استودع استفانوس روحه في يدي الرب يسوع (أعمال الرسل 7: 59؛ قارن لوقا 23: 46؛ المزامير 31: 5). وبهذا المعنى يتكلم بطرس أيضاً عن الأرواح التي هي الآن في السجن (1 بطرس 3: 19). فهي من جهة الأشخاص أنفسهم، ومن جهة أخرى هي، لأنهم ماتوا، في حالة روحية، أي غير مادية (العبرانيين 12: 23).

3.2.3 ملخص

يختلف مفهوم الروح في الكتاب المقدس اختلافاً جوهرياً عن مفهوم الروح في صور الإنسان الأخرى. فالروح يرفع النفس البشرية إلى روح-نفس، ويجعل الإنسان شخصاً، إنه ضامن هوية الإنسان. والروح يميّز الإنسان بوصفه صورة الله عن الحيوان. ولأن للإنسان روحاً، يستطيع الله أن يخاطبه، والعكس صحيح. وهو ذو وجود أبدي، لأنه الروح الذي يأتي من الله. وهكذا فالإنسان كائن أبدي، متوجّه نحو عالم أسمى غير منظور.

3.3 نفس الإنسان

بين روح الإنسان وجسده يذكر بولس النفس. وفي الكتاب المقدس يرد الروح والنفس أحياناً في ارتباط وثيق أحدهما بالآخر، بحيث يمكن لكل مفهوم منهما وحده (1 بطرس

133. قارن القسم 1.7.1.

134. هذا الموضع في المزامير دليل على أن مفهوم «الروح» له معانٍ مختلفة، وأنه يعنى هنا مثلاً مجرد «النفس».

2: 11؛ فيلي 1: 27) أن يدلّ على الإنسان الداخل (2 كورنثوس 4: 16؛ المزامير 103: 1)، أي على جانب الإنسان غير المادي وغير المنظور. ومع ذلك يميّز هذان المفهومان أيضاً أحدهما من الآخر (العبرانيين 4: 12؛ 1 تسالونيكي 5: 23).

وكثيراً ما أُشير بغير حق إلى أن **النفس** لا تعني إلا الحياة، كما تُحيي الكائن المادي للإنسان والحيوان (انظر متى 2: 20؛ 16: 25، 26؛ لوقا 12: 22). صحيح أن لكلمة **النفس** هذا المعنى أيضاً، لكن لها تنوعاً في المعاني يضاهي تنوع معاني كلمة **الروح**.

وكثيراً ما يميّز **النفس** عن مجرد معنى «الحياة». فال**نفس** أيضاً، مثل روح الإنسان، مكوّن جوهري فيه (أيوب 19: 2؛ الأمثال 3: 21، 22؛ متى 10: 28؛ لوقا 12: 20؛ 2 بطرس 2: 8).

فهكذا مثلاً تُقابل صحة النفس بصحة الجسد وحياته، وبذلك تُميّز عنها تمييزاً واضحاً (3 يوحنا 2). فالناس يستطيعون أن يقتلوا الجسد، لكنهم لا يستطيعون أن يقتلوا النفس (متى 10: 28). ولو كانت النفس في هذه الآيّة هي الحياة، لقتلت مع حياة الجسد. إن الرب يسوع يصف النفس في هذا الموضع بوضوح بأنها عنصر من كيان الإنسان لا يموت بموت الجسد. فال**نفس** بحسب كلام الرب يسوع تميّز بوضوح بوصفها عنصراً في الإنسان عن روحه وعن جسده (لوقا 17: 33؛ قارن 1 بطرس 2: 25؛ أعمال الرسل 14: 22).

والنفس، بوصفها جزءاً من الإنسان، هي إلى جانب الروح أيضاً تعبير عن الإنسان في كليّته. ولذلك يستعمل الكتاب المقدس مفهوم «النفس» حين يتعلّق الأمر بعدّ الناس (قارن التكوين 46: 25، 26، 27؛ أعمال الرسل 2: 41).

والنفس تشكّل في الإنسان مع الروح الشخصية (لوقا 9: 24؛ العبرانيين 6: 19؛ 10: 39). وهي - مثل الروح - تمثل «أنا» الإنسان (2 كورنثوس 1: 23؛ إشعياء 53: 11؛ مراثي إرميا 3: 24).

وإذا كانت النفس تحتلّ موقعاً وسطاً معيّناً بين الروح والجسد، فلها من جهة صلة بالروح، ولذلك نسمّيها أيضاً «الروح-النفس». ومن جهة أخرى هي في ارتباط وثيق بالجسد، أي بالإنسان الخارج.

وتظهر علاقة النفس بالجسد بوضوح حين نقرأ أن نفس الجسد هي في الدم (اللاويين 17: 11؛ التثنية 12: 23). فنفس الإنسان ونفس الحيوان تُقرنان بالدم (التكوين 9: 4، 5). ولذلك يوصف موت الإنسان أيضاً بأنه سكب النفس (المزامير 141: 8؛ إشعياء 53: 12). ومع كل اختلاف النفس عن الجسد، فهي في ارتباط وثيق جداً به، وهو ما لا يصح بهذه الصورة علي الروح. ولذلك يُقال عند خلق الإنسان إنه صار نفساً حية، كما يُسمى الحيوان أيضاً نفساً حية (التكوين 1: 20، 21، 24؛ 2: 19؛ 9: 10).

وكون الإنسان في كليته صار نفساً حية يُبرز بالذات العلاقة الوثيقة بين النفس والجسد، لأن الأمر هناك كان يتعلّق بإحياء التراب، أي المادة الميتة. وبهذا المعنى، ولا معنى غيره، يُسمى الحيوان أيضاً «نفساً حية». فنفس الحيوان لم ينفخها فيه الخالق، وهو بالذات ما حدث مع الإنسان. وفي هذا يكمن الفرق الجوهرى بين الحيوان والإنسان (اللاويين 24: 17، 18).

وفي العهد القديم تُسمى الجثة أيضاً (في العبرية) «نفساً» (العدد 5: 2؛ 6: 6، 11؛ 19: 11، 13). فالنفس هنا تدلّ على جسد الإنسان وهيئته. وهكذا فالجسد هو في الوقت نفسه الشكل الخارجى للنفس، لكنه ليس جوهرها، أي إن الجثة ليست النفس. ولا يمكن أن تكون كذلك، لأن النفس تخرج عند موت الإنسان (التكوين 35: 18). فمفهوم «النفس» بالنسبة إلى جسد الإنسان الميت يعنى الهيئة الجسدية المادية البحتة للنفس، ولكن من دون نفس.

وهذا الارتباط الوثيق بين الجسد والنفس يُلحّح إلى أنها حتى بعد موت الإنسان مرتبطة بشكل جسده البشري «الخاص بها» وهيئته. فالنفس تظهر بحسب ذلك «بهية جسمية» (بمعنى لوقا 3: 22). غير أن «جسد» الحالة الوسيطة هذا لم يعد مادياً. وبهذا تظهر النفس بعد الموت أيضاً بهية بشرية، ويمكن التعرّف عليها بوصفها كذلك.

وفي هذا الضوء يُفهم أن يوحنا يرى نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله (رؤيا 6: 9؛ 20: 4). فلو كانت النفس هي الحياة فقط، فماذا كان سيرى؟ لقد رأى على ما يبدو هيئات بشرية تعرّف عليها بوصفها كذلك. ولا يمكن أن يُستنتج بشأن جسميتها الروحية في العالم غير المنظور لنا أكثر من ذلك، أي من أن يوحنا تعرّف على النفوس بوصفها هيئات

بشرية. والمقصود هنا توضيح أن إمكانية التعرف على الإنسان بعد الموت لها علاقة بمظهره الخارجي، كما يحدث ذلك على الأرض بواسطة الجسد المادي.

وهذه التأمّلات في استمرار وجود النفس بعد الموت تمسّ أيضاً مسألة الخلود. فقد تبين بوضوح أن النفس تبقى بعد موت الجسد. أما هل هي خالدة، أي ذات وجود أبدي، فلا يمكن الإجابة عن ذلك إلا من خلال ارتباطها بالروح. وبما أن الروح، الخالدة، يسكن في النفس، ويقف في تكوين الإنسان في ارتباط لا ينفصم بها، وبما أن المفهومين كثيراً ما يعبران عن الأمر نفسه، فيجب أن تكون نفس الإنسان أيضاً، بوصفها روحاً-نفساً، خالدة. وهي ليست كذلك في ذاتها، لأن الله وحده خالد في ذاته. إنها خالدة لأن الله يحفظها، ولأنه يريد أن تحيا لا أن تموت.

3.3.1 ملخص

مع أنه ليس من الممكن صياغة تعريف بسبب المعاني المتعددة الطبقات لكلمة «النفس» (755 مرة في العهد القديم)، فإنه يمكن أن نستنتج من هذا الغنى بالذات: نفس الإنسان أحد عناصر كيانها. إنها روح-نفس، وبهذا تختلف عن نفس الحيوان، التي ليست نفساً روحية (Geist-Seele). وهي حلقة الوصل بين الروح والجسد. وهي مقر الشخصية والحياة الفردية للأنا. وبالروح الساكن فيها هي خالدة، وتحفظ الإنسان بوصفه شخصاً إلى ما بعد موت الجسد. وهنا أيضاً - كما في روح الإنسان - يتضح أن الإنسان كائن أبدي.

3.4 جسد الإنسان

الجسد أيضاً عنصر من عناصر كيان الإنسان. والجزء المنظور من الإنسان أقرب بكثير إلى فهمنا من جزئه غير المنظور، ولذلك يسبب لفهمنا صعوبات أقل. لقد أعطى الله جسداً كما أراد (1 كورنثوس 15: 38). والجسد تعبير عن حكمة الله - حتى بعد السقوط - ويلمّونا دائماً دهشة من الطريقة العجيبة التي صنعنا بها (المزمور 139). والجسد من لحم ودم (العبرانيين 2: 14) يجعل وجودنا في العالم المنظور ممكناً ويحدده. فبالجسد نختبر العالم ونعرفه ونحس به.

وبالموت، الذي اقتحم هذا العالم بسبب الخطية، صار الجسد، أي اللحم، خاضعاً للموت والفساد (رومية 6: 23؛ إشعيا 40: 6-8؛ 1 بطرس 1: 24). ومن وجهة نظر الإنسان

الطبيعي، التي لا تتجاوز الموت، يصيب الإنسان - كما يقول الجامعة - المصير نفسه الذي يصيب البهيمة: يعود تراباً (الجامعة 3: 19). فالإنسان الخارج يفنى (2 كورنثوس 4: 16)، كما تزول هيئة العالم أيضاً (1 كورنثوس 7: 31؛ إشعياء 51: 6)، أي كما يزول المنظور عموماً (2 كورنثوس 4: 18).

وقد صار الجسد أيضاً أداة للخطية (رومية 6). ولذلك يقول بولس، حين يتكلم عن عجز الإنسان المستعبد للخطية: «من ينقذني من جسد هذا الموت؟» (رومية 7: 24).

لكن هذا لا يعني أن الجسد سجن لا يتحرر منه المرء إلا بالموت. فهذه نظرة الفلسفة اليونانية، وهي مضادة تماماً لنظرة الكتاب المقدس إلى الجسد (قارن الفصل 4). وقيمة الجسد في عيني الله تتضح في أعظم سر في تاريخ العالم: الله نفسه صار إنساناً، الله ظهر في الجسد (1 تيموثاوس 3: 16).

يقول يوحنا إن الكلمة صار جسداً وحلّ بيننا (يوحنا 1: 14). والرب يسوع هباً له جسداً (العبرانيين 10: 5)، ليقدمه ذبيحة على الصليب إلى الموت (العبرانيين 10: 10). وحين مات لم يخلع جسده، الذي قدمه ذبيحة، إلى الأبد. ففي القيامة نال، لأنه إنسان كامل ويبقى كذلك إلى الأبد، جسداً مجداً هو في الوقت نفسه النموذج لجميع المؤمنين، حين يلبسون جسد المجد نفسه عند التغيير والقيامة (فيلبي 3: 21؛ رومية 8: 23).

وجسد المؤمنين صار بالفداء مسكناً لله (1 كورنثوس 6: 19)، لأن الله الروح القدس يسكن فيه. وهكذا فإن الجسد، مع أنه مائت بسبب الخطية، هو الأداة التي يتجدد الله بها الآن على الأرض (رومية 12: 1، 2؛ 1 كورنثوس 6: 20). فالإنسان كله موضوع في خدمة الله.

وقيامة المؤمنين هي البرهان على أن الله لا يرفض الجسد ولا يتركه وراءه لأنه ربما يفضل شكلاً آخر للوجود. فما خرج يوماً كاملاً من يد الله، ثم شوّهته الخطية وأفسدته، سيُعاد يوماً ما لمجد الله على أساس موت المسيح وقيامته.

وتبني المؤمنين لا يكتمل إلا حين يُفتدى الجسد (رومية 8: 23).

فالروح والنفس والجسد، أي الإنسان كله، معدّة منذ الخليقة للأبدية. والجسد لن يشترك في الخلود إلا في القيامة. ومفهوم «الخلود»، بوصفه نقيض «الموت» أو «القابلية للموت»،

لا ينطبق إلا على الجسد **المقام** (رومية 8: 11)، لأن هذا الجسد صار بسبب الخطية جسداً «مائتاً». ولذلك لا يتكلم الكتاب المقدس عن «خلود النفس»، لأن النفس لم تكن مائتة، ولم تصر كذلك، كما هي الحال فعلاً مع الجسد.

3.5 الخلاصة

لا جدال في ذلك: الكتاب المقدس يعرف الإنسان في **وحدة** الروح والنفس والجسد. وحتى لو سقط الإنسان من مصيره المقصود، أي أن يحيا في شركة مع الله، تبقى صورة الإنسان في الكتاب المقدس، كما تظهر من الخليقة، قائمة (يعقوب 3: 9).

وأؤكد هنا أن الجوانب الثلاثة تشكّل وحدة لا تنفصم، وتمثل الإنسان في كليته، التي تبقى إلى الموت. والموت يحدث انفصلاً مؤقتاً بين الجسد والروح-النفس. وبالقيامة تستعاد وحدة الإنسان هذه.

الإنسان كائن أبدي. ولا يُقصد بذلك جزء من الإنسان فقط، بل الإنسان كله في وحدته، وفي الوقت نفسه في تنوعه من جهة جوانبه المختلفة، كما أراده الله منذ البدء وكما صنعه.

أسئلة للتعمق

- لماذا صورة الإنسان في الكتاب المقدس فريدة؟
- اذكر مفاهيم يستعملها الكتاب المقدس لصورته عن الإنسان.
- ما هو المفهوم المحوري، ولماذا؟
- لماذا روح الإنسان خالد؟
- اذكر بعض السمات الرئيسية للروح البشري!
- اذكر بعض السمات الرئيسية للنفس!
- اذكر بعض السمات الرئيسية لجسد الإنسان!

4 خلود النفس

بعد أن استعملت مفهوم «خلود النفس» (في الأصل الألماني مختصراً: UdS) مرات كثيرة، أريد الآن أن أخصّص له فصلاً مستقلاً، لكي يمكن إزالة سوء الفهم الذي لا أساس له، وللأسف أيضاً الاتهامات.

هذا المفهوم يقسم كثيرين من المسيحيين إلى معسكرين متقابلين. وقد أدّى على مدى تاريخ الكنيسة حتى أيامنا هذه إلى نقاشات واسعة وحادة. ومع ذلك فقد اكتسب في المسيحية قبولاً عاماً، وهذا في حدّ ذاته لا يثبت صحته بعد. وسيكون نتيج فهم خلود النفس على مدى تاريخ الكنيسة موضوعاً واسعاً ومثيراً. لكن هذا ليس قصدي، لأنّ المواقف المختلفة، كما تبلورت منذ وقت مبكر، بقيت في جوهرها هي نفسها حتى اليوم.¹³⁵

واللافت أن الكتاب المقدس لا يستعمل مفهوم «خلود النفس»، ولا يتكلم مباشرة عن هذه الحقيقة. لكن غياب هذا المفهوم أو ما يعبر عنه ليس سبباً لرفض الحق الذي يتضمّنه. فهكذا يتكلم المرء أيضاً عن الثالوث في الله، وعن نيابة المسيح، أو عن الطبيعة القديمة، مع أن الكتاب المقدس لا يذكر هذه المفاهيم أيضاً. ومع ذلك فهي تعبر عن حقائق بطريقة ليست صحيحة فحسب، بل نافعة أيضاً.

والذين يرفضون خلود النفس يشيرون بحق إلى أننا هنا أمام مفهوم وثني، وفي هذه الحالة مفهوم يوناني. فقد كان خلود النفس جزءاً من تفكير اليونانيين. وبالمناسبة كانوا يستعملون أيضاً مفهوم «هاديس» لمكان الأموات ولإله عالم الأموات.

لكن من يرفض حياة واعية بعد الموت وفي الأبدية لمجرد أصل مفهوم «خلود النفس»، فإنه يقع في الطرف المقابل. فالصراع ضد تأثير الفكر اليوناني حادّ أحياناً إلى درجة أن كل خلود ما عدا خلود الله نفسه يُنكر دفعة واحدة، فيرمي المرء، إن جاز التعبير، الطفل مع ماء الحمام.

135. مثلاً 1966، *Texte der Kirchenväter*, München (Kösel Verlag)، المجلد 1، 4، 5.

لا أريد هنا أن أتمسك بهذا المفهوم وأدافع عن مصطلحه، فضلاً عن أن «أنصره». المهم هو كيف يجب أن نفهم خلود النفس بالمعنى الكلاسيكي.¹³⁶ ولا يجوز بأي حال أن نفتح الباب ولو قليلاً للفلسفة الوثنية.

«خلود النفس» يعني أن النفس، على خلاف الجسد، لا تموت (متى 10: 28). أما يمكن أن يكون اليونانيون قد امتلكوا قدرًا معينًا من الحق، سببه أن الله جعل الأبدية في قلب الإنسان (الجامعة 3: 11)؟ لقد كان الإيمان بحياة بعد الموت جزءًا من جميع الحضارات القديمة. فالناس يعرفون الحق، لكنهم يحجزونه بالإثم ويكتبونه، لأن قلوبهم أظلمت (رومية 1: 18-32).¹³⁷

4.1 الحياة الأبدية وخلود النفس

يعبر عن أحد الاعتراضات على خلود النفس بهذا السؤال: لماذا يحتاج الإنسان أيضًا إلى حياة أبدية، ما دام يملك خلودًا طبيعيًا للنفس؟

ويتّضح من طرح هذا السؤال أن الحياة الأبدية وخلود النفس يُفهمان على أنهما أمر واحد. وهذا فهم خاطئ، لأن الأمرين يختلفان أحدهما عن الآخر اختلافاً جوهرياً (قارن 2.9.2). فكل إنسان يولد بنفس خالدة. لكن بما أنه خاطئ بوصفه من نسل آدم، فإن كيانه كله مشبع بالخطية. ولذلك يحتاج إلى حياة «جديدة». وجوابي عن هذا السؤال هو: الإنسان يحتاج «بالإضافة» إلى نفسه الخالدة، أي إلى وجوده الأبدي، إلى الحياة الأبدية. فلأن له بالطبيعة، بوصفه مخلوقاً، وجوداً أبدياً من قبل، فلا يحتاج مرة أخرى إلى حياة بلا نهاية، لأن هذه له من قبل. إنه يحتاج إلى «حياة أبدية»، وهي أكثر بكثير من مجرد وجود أبدي. إنه يحتاج إلى وجود «جديد» يناله مع الحياة الأبدية. فيصير ابناً لله، لأنه يولد لذلك من جديد (يوحنا 1: 12، 13؛ 3: 1-21).

والإنسان الذي لا يملك الحياة الأبدية له مع ذلك وجود أبدي. لكنه وجود أبدي بدون الله. ففي حياته الأرضية يعيش بدون الله، ويموت بدون الله، وبعد إقامته سيستمر في

136. كيف يُفترض بقارئ الكتاب المقدس، الذي لا يعرف أفكار اليونانيين ولا يملك معرفة باللغات الأصلية، أن يفهم المواضع الكلاسيكية التي درسناها في الفصل 2؟ بالنسبة إليه لا يعني «خلود النفس» حصان طروادة، ولا تسليلاً لأفكار وثنية، بل يستطيع أن يفهم هذا المفهوم فهماً تكاملياً تماماً في إطار ما تم التوصل إليه في الفصل 2، وأن يستعمله بهذا المعنى. ففي نور العهد الجديد للمفهوم ما يسوغه، ولا يلزم بالضرورة أن ينقل أفكاراً وثنية.

137. انظر أيضاً 1999، Don Richardson، *Ewigkeit in ihren Herzen*، Lehr (Verlag der Liebenzeller Mission).

الحياة إلى الأبد بدون الله. فالمسألة إذن ليست هل يوجد الإنسان إلى الأبد، بل في أي علاقة بالله يوجد إلى الأبد. لكل إنسان وجود أبدي؛ أما المؤمن، بوصفه ابناً لله، فله بالحياة الأبدية وجود جديد وأبدي في شركة مع الله. وغير المؤمن له وجود أبدي بدون الله، لأن الخطية تفصله عن الله.

4.2 الخلود في العهد الجديد

كلمة «الخلود» (باليونانية *atanasia*) لا ترد في العهد الجديد إلا ثلاث مرات. ففي 1 تيموثاوس 6: 16 يُقال إن الله «وحده له عدم الموت» [أي: الخلود]. فالله يملك الخلود بالمعنى المطلق في ذاته. والخلود صفة لا يملكها بهذه الصورة إلا الله.¹³⁸ لم يعطه إياها أحد، ولا يستطيع أحد أن ينزعها منه. إنها ملكة الجوهري، لأنه «الكائن الأزلي» (الخروج 3: 13، 14) والإله الذي لا يتغير (رومية 16: 26). ولذلك فكل خلود مشتق منه، وهو وحده يستطيع أن يعطيه.

ويمكن أن يستنتج المرء من ذلك أنه لا أحد خالد سوى الله. لكن الرب يسوع يقول عن الملائكة إنهم لا يموتون (لوقا 20: 36)؛ أي بعبارة أخرى: إنهم خالدون. فهل يمكن لأحد سوى الله أن يكون له خلود؟ أليس هذا تناقضاً مع أن الله «وحده» له الخلود؟ كلا، فالملائكة ليسوا خالدين بالمعنى الذي به الله خالد. فهم لا يملكون هذه الصفة في ذاتهم ولا مستقّلين عن الله. هم أيضاً يحفظهم الله أحياء، كما يصحّ على كل ما هو حي. فكل الأشياء محمولة بكلمة قدرته (العبرانيين 1: 3). وبهذا المعنى فإن كل حياة، وبالتالي «الخلود» أيضاً، مشتقة من الله ومعتمدة عليه. فكل ما يحيا يحيا لأنه يريد ذلك (رؤيا 4: 11؛ 1 تيموثاوس 6: 13؛ أعمال الرسل 17: 25). وهذا يصحّ أيضاً على الروح-النفس عند الإنسان. فالسؤال ليس هل يمكن لأحد سوى الله أن يكون خالداً، بل بأي طريقة هو كذلك.

ويستعمل الرسول بولس هذا المفهوم مرتين آخرين في أصحابه عن القيامة (1 كورنثوس 15: 53، 54). وهناك يتعلّق الخلود حصراً بالجسد الجديد الذي يناله المؤمنون في القيامة أو التغير. فهذا الجسد الجديد وحده ينال المؤمنون الخلود بمعناه الكلي.

138. الالف أنه لا يُقال إن الله خالد. فلا يكون للكلام عن الخلود معنى إلا بعد أن دخل الموت إلى الخليقة، فهو نقيض «المات». وربما ليس من المناسب أن نقول إن الله خالد، لأنه لم يكن له قط شأن بالموت. إنه «له» الخلود، لا لأن هذا هو جوهه، بل لأنه يعطيه لكائنات مائجة.

وبذلك يتعلّق الخلود في الكتاب المقدس دائماً بالإنسان كله. لكنه لا يبدأ إلا بالقيامة. وهو عندئذٍ يشمل الإنسان كله، لا نفسه فقط. ولأقل ذلك بوضوح: الكتاب المقدس لا يستعمل مفهوم الخلود مقروناً بالنفس. لكنه من جهة أخرى لا يقول أيضاً في أي موضع إن النفس تموت، حين تقدّم بوصفها عنصراً من كيان الإنسان. ولأن الخلود لا يتعلّق إلا بالجسد، فإن القابلية للموت أيضاً لا تصحّ إلا على الجسد. وبما أن النفس ليست مائتة، فلا يوجد كذلك خلود للنفس. وهي لم تله أيضاً لاحقاً فقط بنوال الحياة الأبدية، كما يدّعي بعضهم.

فالقابلية للموت لا تصحّ في العهد الجديد إلا على الجسد (رومية 6: 12؛ 8: 11؛ 1 كورنثوس 15: 53، 54؛ 2 كورنثوس 4: 11؛ 5: 4). فالجسد مائت، ولذلك ينبغي إلى الخليقة المنظورة، وبالتالي الزائلة (2 كورنثوس 4: 18). أما النفس، التي لا نراها، فيصحّ عليها أنها أبدية على خلاف الجسد.

وهكذا فإن مفهوم «خلود النفس» ليس دقيقاً حقاً. وليس همّي أن أدافع عن هذا المفهوم، بل عن الحق الذي يعبر عنه. والأفضل أن نتكلم عن «الوجود الأبدي للنفس». وإن كنت أستمّر في استعمال مفهوم «خلود النفس»، بل أستعمله عنواناً للكتاب، فذلك من أجل تواصل أفضل.

والوجود الأبدي للإنسان لا يشمل الوجود الأبدي للنفس فقط، بل يشمل أيضاً وجود الجسد (في القيامة). فالإنسان في كليته معدّ للأبدية. وكون مفهوم «خلود النفس» لا يتناول إلا جانباً واحداً، هو النفس، من كليّة الإنسان، سببه أنه لا يتعلّق إلا بالزمن الواقع بين الموت والقيامة. فالمفهوم إذن صالح في الإطار الكتابي لهذه المدة فقط. وكل معنى يتجاوز ذلك سيكون أخذاً للفكرة اليونانية، التي يجب رفضها رفضاً تاماً.

4.3 بين الموت والقيامة

في الزمن الواقع بين الموت والقيامة تكون الروح-النفس بلا جسد. فالجسد ينحلّ، ولا يخرج ثانية إلا في القيامة. وهنا يعترض بعضهم بأن النفس لا يمكن أن يكون لها وجود مستقل بدون الجسد، لأنه لا يمكن أن يكون هناك وعي بدون الجسد وحواسه. فوحدة الإنسان، بحسب قولهم، هي بحيث يضع الموت نهاية لجميع الوظائف البشرية.

4.3.1 وعي النفس بدون الجسد

حالة الإنسان بعد الموت غير طبيعية على الإطلاق، لأن الموت يحطّم وحدة الإنسان. فالموت يفصل الروح-النفس عن الجسد. ويجب على الروح-النفس الآن أن «تدبر أمرها» بدون الجسد. ومن الواضح أن هذه الحالة ليست كاملة. لكن هذا لا يبرهن على أن الروح-النفس بدون جسد لا يكون لها وعي. ففي العالم المنظور نحتاج إلى الجسد والحواس لكي يكون لنا وعي. لكننا لا نستطيع أن ننقل ذلك إلى العالم الذي وراء الموت، غير المنظور لنا والمختلف كلياً.

وقد اتضح من النصوص التي تناولناها في الفصل 2 أنه لا توجد بعد الموت قيود على النفس وعلى وعيها بدون الجسد. فوعي النفس بعد الموت ليس مرتبطاً بالجسد. فوظائف مثل الكلام والسمع، التي لا يمكن في الأصل أن تُنسب إلا إلى الجسد، تنطبق أيضاً على «نفوس» الذين قتلوا (رؤيا 6: 9؛ قارن القسم 2.9). وحتى إن كنا لا نستطيع أن نتصور حالة النفس بدون جسد، فلا يجوز لنا لهذا السبب أن نستبعد وجود حالة كهذه. ولننظر فقط في الملائكة: إنهم أرواح (العبرانيين 1: 7، 14) ليس لها جسد. ومع ذلك لهم وعي بأنهم أشخاص.

وقد رأى الرسول بولس أنه من الممكن أنه كان «خارج الجسد» حين اختطف إلى السماء الثالثة (2 كورنثوس 12: 1-4).

4.3.2 هل لا تزال النفس بحاجة إلى جسد؟

وهناك حجة أخرى تقول: «إذا كانت نفس الإنسان تستمر في الحياة بعد الموت، ونفس المؤمن تدخل الفردوس، فلماذا تكون القيامة لازمة بعد؟ ولماذا نحتاج إلى جسد، ما دمنا نبغ شكلاً سعيداً من الوجود حتى بدونه؟»

وأؤكد هنا أيضاً أن الزمن الواقع بين الموت والقيامة يمثل حالة استثنائية مطلقة. ويمكن أن يقول المرء إن الإنسان لم يخلق لهذا الزمن. فالموت، بلغة البشر، لم يكن في الحسبان. ولم تكن مشيئة الله أن يموت الإنسان. ولذلك لا يمكن وصف الحالة بعد الموت بأنها كاملة، حتى لو كان المؤمنون في الفردوس. ففسدهم قد وقع فريسة للموت.

وهذه الحجة تعيدنا إلى الحق الذي تناولناه مراراً عن قيمة الجسد الذي خلقه الله وعن وحدة الإنسان. فعمل الله هذا قد حطّمه الموت. لكن الموت لا يمكن أن يهزم ويُبطل إلا بالقيامة.

فكما أن عمل يسوع المسيح كان سيبقى ناقصاً بدون قيامته (رومية 4: 25)، كذلك سيبقى الفداء ناقصاً (رومية 8: 23) لو بقي جسد المؤمنين الذين ماتوا في القبر. فلو لم تكن هناك قيامة لكان الموت قد انتصر. فالقيامة تتعلق بكرامة الله وتقجيده، اللذين كانا سينقصان بدون القيامة.

لقد ذهب المسيح بعد موته إلى الفردوس (قارن القسم 2.3). لكنه لم يبقَ هناك، مع أنه مكان أعظم سعادة. لقد قام من الأموات. وبقيامته يقوم خلاصنا أو يسقط. فبدون قيامته لما كان هناك تبرير ولا سلام مع الله. وهذا لا يتعارض مع أنه ذهب إلى الفردوس وأن روحه-نفسه لم تمت. وهنا نرى أن خلود النفس والقيامة لا يستبعد أحدهما الآخر ولا يُبطل أحدهما الآخر. نخلود النفس بالمعنى الكلاسيكي لا يجعل القيامة إذن بلا موضوع. أما إذا آمن المرء بخلود النفس بالمعنى اليوناني، فإنه لا يحتاج فعلاً إلى قيامة. ففهموهم الخلود في الفلسفة اليونانية لا يشترك في شيء مع الخلود الكلاسيكي، كما تُظهر المقارنة التالية.

4.4 الخلود في الكتاب المقدس وفي الفلسفة اليونانية

إن أقوى حجة تُساق ضد تعليم خلود النفس هي أصله الوثني. فقد نال تصوّر اليونانيين للخلود أشهر صيغة له عند أفلاطون (Plato)، مع أن الإيمان بخلود النفس كان موجوداً قبل اليونانيين بزمان طويل، مثلاً عند البابليين.

هل أخذت المسيحية تصوّر اليونانيين للخلود ومزجته بالتعليم الكلاسيكي؟ للأسف نستطيع أن نقرر أن الأمر كان كذلك فعلاً. وهنا يجب أن أعطي الحق للذين يرفضون خلود النفس. ولذلك يجب أن يرسم خط فاصل واضح، وأن يُرفض كل مزج.

وبالاستناد إلى التناقضات بين الفكر اليوناني والرجاء المسيحي في القيامة، المرتبط بمفهوم الخلود الكلاسيكي، سأوضح أنني لا أعقد أي تسوية مع الوثنية. والفروق المذكورة في أربع

نقاط (وهي بالتأكيد ليست كل الفروق الموجودة) ينبغي أن تكفي لإظهار مدى تعذر التوفيق بين التصورين. فلهما نقطتا انطلاق ونهاية متضادتان تماماً.

4.4.1 الثنائية

تقسم الفلسفة اليونانية الإنسان إلى جوهرين: الجسد والنفس، أو المادة والروح. ومن وجهة النظر الكاثية سيكون هذا التقسيم مقبولاً بعد¹³⁹ لو كان تقسيماً متكافئاً. لكنه ليس كذلك، لأن اليونانيين كانوا يرون النفس والروحي أسمى من الجسد، ويعدّون الجسد سجين النفس. ولذلك كان الموت عندهم التحرر من السجن، الذي به تجد النفس الحياة الحقيقية. فكان عندهم انشقاق بين الروح والمادة.

أما في الكتاب المقدس، انطلاقاً من خلق الإنسان، فالجسد لا يحتلّ أبداً مرتبة ثانية، لأنه من خلق الله، ولذلك هو حسن (قارن القسم 3.3). وحتى لو كانت الخطيئة قد جلبت الموت، يبقى قائماً أن جسد المؤمن هو الهيكل الذي يسكن فيه الله نفسه (1 كورنثوس 6: 19). فالمؤمن بجسده عضو في جسد المسيح.

4.4.2 القيامة

لم يعرف اليونانيون قيامة الجسد، لأنها لم تكن تنسجم مع تفكيرهم (أعمال الرسل 17: 32-34). فقيامة الجسد كانت ستعيد النفس إلى سجين الجسد.

والجسد ليس شيئاً يجب أن تتحرر منه النفس. وهذا يتّضح بحقيقة القيامة. فالله نفسه سيعيد الجسد في القيامة.

وحين يؤمن المسيحيون بأن الروح-النفس توجد إلى الأبد، فإنهم لا يتخلّون بذلك عن القيامة. فخلود النفس بمعناه الكاثي لا يحلّ محلّ القيامة ولا يستبدها. فكلاهما مترابطان ارتباطاً لا بدّ منه، وذلك بحيث لا يوجد أحدهما بدون الآخر.

ولأن الله خلق الروح-النفس عند الإنسان خالدة، فقد جعل القيامة الجسدية، مع بقاء هوية الشخص نفسها، ممكنة. وبذلك فالقيامة ليست خلقاً جديداً من عدم يسقط فيه الإنسان عند موته، بل هي ضمّ الروح-النفس إلى الجسد. ومشية الله أن تحفظ الهوية الشخصية لكل إنسان على حدة في القيامة وأن تستمر.

139. بوصفهما الإنسان «الداخل» والإنسان «الخارج».

وهكذا فإن قيامة الأموات شرط لخلود النفس. فلو لم تكن هناك قيامة، لما كان هناك أيضاً خلود للنفس. نقطة الله تشمل الإنسان في كليته. ولذلك لا يمكن أن يكون هناك وجود أبدي للنفس بدون الجسد. فالله سيعيد وحدة الإنسان.

ونعرف من مصادر سبق ذكرها أن الفريسيين كانوا مقتنعين بخلود النفس، وكانوا يؤمنون بالقيامة. وكانوا هم أيضاً معرضين للتأثير الهليني، لكن القيامة كانت من إيمانهم المؤسس على العهد القديم. ولم يكن عندهم مشكلة ولا تناقض في إدراك الصلة بين خلود النفس والقيامة.

نخلود النفس وقيامة الأموات ليسا متضادين. فبحسب التعليم الكلاسيكي هما مترابطان (قارن القسم 2.2)، كل منهما يشترط الآخر. وهذا ليس تسوية، ولا شكلاً مختلطاً من التعليم المسيحي والأفكار الوثنية.

4.4.3 خلود النفس ليس الحالة النهائية

عند اليونانيين تبلغ النفس بعد الموت مصيرها النهائي؛ فهي «الإلهي» في الإنسان، الذي يرجع إلى الله. أما بحسب الكتاب المقدس، فلأن هناك قيامة، لم تبلغ النفس بعد الموت مصيرها الأخير بعد. فتعليم خلود النفس من وجهة النظر الكلاسيكية لا يصف حالة نهائية أبدية. فالأمر بعد الموت يتعلق بحالة مؤقتة للنفس، لا تدوم إلا إلى القيامة. لقد أحدث الموت «حالة استثنائية» محدودة زمنياً، سترفع بفضل قيامة يسوع المسيح.

4.4.4 الشخصية

كان اليونانيون يؤمنون بالوجود السابق للنفس: فكما أن النفس، بوصفها شرارة إلهية، ترجع بعد الموت إلى الله، كذلك كانت موجودة في الله قبل الحبل بالإنسان. وكانوا يعدّون النفس جزءاً من «نفس كليّة» فائقة للطبيعة. وكانت هذه النفس، بعد أن تخلع سجن الجسد، تتخلّى ثانية عن فرديتها.

وهنا يمكن فرق حاسم عن مفهوم النفس في الكتاب المقدس. فهناك هي، بخلق الله، مقرّ شخصية كل إنسان والتعبير عنها. فالنفس روح-نفس فردية، وتبقى كذلك إلى الأبد. ووجودها لا يبدأ قبل تاريخ الفرد الواحد، بل معه، من دون أن ينتهي أبداً.

فهل يمكن، مع هذه الفروق الجسيمة، أن يستمرّ الاتهام بأن المسيحيين يقصدون الشيء نفسه الذي قصده اليونانيون حين يتكلمون عن خلود النفس؟ هل أخذوا ببساطة أفكاراً وثنية؟ إن الفروق المذكورة ينبغي أن توضح بما فيه الكفاية أن الأمر ليس كذلك.

4.5 الخلاصة

فيما يلي أُلخّص في ثلاث نقاط لماذا أؤمن بأن لكل إنسان وجوداً أبدياً، تنتمي إليه بحسب التعليم الكتابي أيضاً روح-نفس أبدية.

- روح الإنسان هو روح الحياة الذي نفخه الله نفسه (قارن القسم 3.1). ولأن هذا الروح من الله، ويشكّل في الوقت نفسه روح الإنسان، فيجب أن توجد الروح-النفس عند الإنسان وجوداً أبدياً مثل روح الله نفسه. وهذا الوجود قائم على مشيئة الله وحدها، الذي يحفظ كل شيء حياً.
- ثم درسنا بالتفصيل شهادات الكتاب المقدس عن الحالة بعد الموت (القسم 2.1-10). واتضح من ذلك أن الإنسان حين يموت لا يكفّ عن الوجود، بل يستمرّ في الحياة. فكيف نفسّر هذه الحقيقة؟ إن أكثر التفسيرات اتّساقاً هو أن الروح-النفس عند الإنسان لا تخضع للموت الجسدي.
- وإلى جانب الناس الذين يملكون الحياة الأبدية، هناك الذين لا يملكونها. وهم غير المؤمنين، الذين يقول عنهم الرب يسوع إنهم سيمضون إلى العذاب الأبدي. وهذا العذاب، مثل فرح المؤمنين الأبدي، بلا نهاية، أي أبدي (متى 18: 8؛ 25: 41، 46؛ 2 تسالونيكي 1: 9؛ العبرانيين 6: 2). فعلى الهالكين يمكث غضب الله إلى الأبد (يوحنا 3: 36؛ قارن القسم 6.2).

ويلنّص رينيه باش (René Pache)¹⁴⁰ هذا الموضوع تلخيصاً موقفاً:

الإنسان ينال

- عند ولادته، مع نفسه، الوجود بلا نهاية
- عند ولادته الجديدة ... الحياة الأبدية
- عند قيامته، مع جسده، الخلود

140. René Pache، «Das Jenseits» Wuppertal (Verlag Sonne und Schild)، 1957.

نخلود النفس ليس كبتاً لحقيقة الموت، بل هو مكوّن جوهري من مكوّنات الوجود البشري، كما يصفه الكتاب المقدس.

4.6 أهمية هذا الحق

لهذا الحق المهم أهمية كبيرة للكراسة بالإنجيل. ففي حقيقة أن لكل إنسان نفساً خالدة بالذات يكمن الحافز على الوصول إلى الناس بالإنجيل. يقول بولس: «فإذ نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس» (2 كورنثوس 5: 11). وكسبي المسيح سيكون لغير المؤمنين وللناس غير التائبين اللحظة التي ينطق فيها عليهم بالحكم الذي يختم مصيرهم الأبدي (رومية 14: 10-12؛ رؤيا 20: 11-15). ولذلك ينبغي أن يمتلك كل مسيحي الإحساس بضرورة الكرازة بالإنجيل: «فويل لي إن كنت لا أبشر!» (1 كورنثوس 9: 16).

أسئلة للتعمق

- لماذا يرفض خلود النفس كثيراً؟
- هل هذا الرفض مسوّغ؟
- ما المعنى الكتابي لخلود النفس؟
- ما الفرق بين الحياة الأبدية وخلود النفس؟
- أي الناس لهم نفس خالدة؟
- أي الناس لهم حياة أبدية؟
- هل يمكن أن يكون للنفس وعي بدون الجسد، ولماذا؟
- هل تحتاج النفس أصلاً إلى جسد، ولماذا؟
- ما الفروق بين الفهم اليوناني والفهم الكتابي لخلود النفس؟

5 مستقبل الأموات

اتّضح في الفصول السابقة أن الإنسان، مؤمناً كان أو غير مؤمن، لم يبلغ عند موته الحالة النهائية بعد. فالحالة التي تلي الموت مباشرة، والتي يختبرها الإنسان بوعي، محدودة المدة. ولذلك فهي حالة وسيطة، محطة في الطريق إلى الأبدية. غير أن الأموات يدركون منذ بداية الحالة الوسيطة أين سيقضون الأبدية، لأن هذا الزمن يطبعه منذ الآن ما سيكون نصيبهم في الأبدية: العذاب من جهة، والفرح من الجهة الأخرى.

لقد أعدّ الله للمؤمنين، أولاد الله، أمراً عظيماً. فقصده أن يمجّدهم وأن يجعلهم مشاهين صورة ابنه (رومية 8: 17، 29، 30). وهذا يشمل جميع المؤمنين - سواء كانوا لا يزالون أحياء حين يأتي المسيح ثانية، أو كانوا قد ماتوا من قبل. فالموت لا يستطيع أن يعوق قصد الله، لأن الموت قد أبطل في قيامة المسيح.

أما الذين ماتوا غير متصالحين وبدون سلام مع الله، فالأمر معهم مختلف. فلهم هم أيضاً مستقبل. فهم لا يفنون في الموت، لأن لهم روحاً - نفساً خالدة. لكن مستقبلهم سيكون رهيباً. فهم بحسب كلمات الكتاب المقدس «هالكون». وستنتهي الحالة الوسيطة لهم أيضاً، وعندئذ سيحضرون أمام ديّان كل الأرض (التكوين 18: 25) للنطق بالحكم.

ويختلف مستقبل المؤمنين وغير المؤمنين اختلافاً جوهرياً. وهذا يشمل أيضاً التسلسل الزمني للأحداث. ولذلك سنتتبع خطين، لنرى كيف يبلغ الله غايته مع المؤمنين ومع غير المؤمنين.

والحالة الوسيطة يميّزها انفصال الروح-النفس عن الجسد. ولأن الله يضع دائماً الإنسان كله نصب عينيه، فلا يمكن أن تكون هذه هي الحالة النهائية. ولذلك فإن القيامة - أي إعادة وحدة الإنسان - هي الحدث العظيم التالي الذي سيختبره الأموات.

5.1 القيامة

القيامة تنهي حالة الموت، أي انفصال الجسد عن الروح-النفس. وقصد الله، المؤسّس في الخليقة، هو أن يعيد الإنسان في كليته، أي المكوّن من روح ونفس وجسد (1 تسالونيكي

(5: 23).

وهذه الإعادة في القيامة ليست خلقاً جديداً من العدم، كأن الإنسان قد زال وانغى تماماً عند موته. فحين صار آدم بعد موته تراباً ثانية، لم يشمل ذلك آدم «كله»، بل جسده المائت فقط، الذي صنع من تراب الأرض. أما روحه-نفسه فلم تزل مثل الجسد المائت. ولم يكن ممكناً أن تزول، لأن فيها كانت نسمة حياة الله.

وهكذا تستمرّ الروح-النفس عند الإنسان في الحياة بعد الموت منفصلة عن الجسد، إلى اللحظة التي يوحدّها فيها الله ثانيةً بجسدها في القيامة (2 كورنثوس 5: 1-4).

واستمرار وجود الروح-النفس إلى القيامة هو السبب والشرط لبقاء الهوية الشخصية لكل إنسان في القيامة أيضاً. وهذا يعني أن الإنسان في القيامة هو بالضبط الإنسان نفسه الذي عاش يوماً على الأرض. فشخصية الإنسان - التي يدخل فيها الروح والنفس والجسد - كما أعطاه الله لكل إنسان (قارن المزامير 33: 15؛ إشعياء 45: 9؛ رومية 9: 20، 21)، لا تضع. إنها لا تتغير ولا تُخلق من جديد، بل تبقى محفوظة. فلن يخرج إذن من القبر إنسان آخر، مع أن الجسد سيكون جديداً. أليس عجيباً كم كل إنسان مثير لله بوصفه شخصية؟!

والبرهان على ذلك هو قيامة الرب يسوع المسيح. فالرب الذي قام من الأموات هو نفسه الذي مات على الصليب. وموته بوصفه إنساناً كان كذلك انفصال روحه-نفسه عن الجسد. فهو - أي روحه-نفسه (أعمال الرسل 2: 27، 31) - ذهب عند موته إلى الفردوس، إلى السماء عند أبيه (لوقا 23: 43، 46). وكان جسده ثلاثة أيام في القبر. ولذلك لم يكن هناك شك في أنه مات فعلاً. وفي قيامته رفع هذا الانفصال ثانية، بحيث يحتل الآن، بوصفه إنساناً في القيامة، المكان الأول بوصفه البكر بين إخوة كثيرين (رومية 8: 29).

ومع ذلك فإن القيامة، من جهة الجسد، هي تخلق جديد. ولا يقدر أن يحققها إلا الله، رب الحياة والموت. فالأمر كما في الخليقة: «لأنه قال فكان. هو أمر فصار» (المزامير 33: 9). إنه الله «الذي يُحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة» (رومية 4: 17). وهو وحده يستطيع أن يخرج الجسد المنحلّ ثانيةً بالسمات التي كانت خاصة بكل إنسان على حدة. وفي ذلك تتجلى عظمة قدرة الله وشدة قوته (أفسس 1: 19، 20).

5.1.1 القيامة في العهد القديم

كانت قيامة الأموات رجاء الناس منذ زمن العهد القديم. فهكذا وجد إبراهيم الشجاعة لكي يطيع الله ويقدم ابنه الوحيد، إذ «حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً» (العبرانيين 11: 19؛ قارن التكوين 22؛ رومية 4: 17). ويقول إشعياء: «تحيا أمواتك، تقوم الجثث. استيقظوا، ترمثوا يا سكان التراب» (إشعياء 26: 19). ويقول دانيال: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى» (دانيال 12: 2). ويقول حزقيال: «هكذا قال السيد الرب: هاأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي، وأتي بكم إلى أرض إسرائيل» (حزقيال 37: 12؛ انظر أيضاً الآيتين 5، 6).

وكانت القيامة (سواء القيامة القومية للشعب أو قيامة الجسد) من إيمان الإسرائيلي المؤمن (العبرانيين 6: 2؛ أعمال الرسل 26: 6-8؛ أيوب 19: 25-27). وقد عرف بهذا الرجاء في القيامة - على خلاف الصدوقيين - الفريسيون خصوصاً، الذين كانوا يؤمنون بأنه ستكون قيامة للأموات عند مجيء المسيح، حين يقيم ملكوته (أعمال الرسل 23: 6).

غير أن حقيقة القيامة لا تتخذ شكلاً ملهوساً إلا بقيامة يسوع المسيح، لأن قيامته هي الأساس لقيامة الأموات عموماً: «فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات» (1 كورنثوس 15: 21). فلأنه مات بوصفه إنساناً وقام بوصفه إنساناً، صارت قيامة الإنسان مضمونة. وهذا يصح خصوصاً على المؤمنين، لأنهم مرتبطون بالمسيح، القائم من الأموات، في الحياة وفي الموت على السواء (رومية 14: 8، 9).

لكن القيامة لا تقتصر صراحةً على المفديين، بل هي نصيب كل إنسان، حتى الذي لم يؤمن (يوحنا 5: 29؛ أعمال الرسل 24: 15).¹⁴¹ غير أن قيامة الأبرار وقيامه الأئمة تختلفان اختلافاً جوهرياً من جهة التوقيت ومن جهة الطابع على السواء. فالكتاب المقدس يعلم بوضوح أن هناك قيامة أولى، هي قيامة الحياة، لا تخص إلا المفديين، وقيامه أخيرة لـ«البقية»، هي قيامة الدينونة (رؤيا 20: 5). ولذلك لن تكون هناك قيامة «عامة» في «اليوم الأخير» (يوحنا 11: 24) يقوم فيها جميع الناس بلا استثناء في وقت واحد.

141. غير أنه لا يُقال إلا عن المؤمنين إنهم سيُحيون.

5.1.2 قيامة الحياة

قيامة الحياة تدلّ على قيامة المؤمنين، لأنها تتحقّق بحياة القيامة التي لابن الله وتسمّ بها (رومية 6: 9، 10). فقد قال عند قبر لعازر الميت: «أنا هو القيامة والحياة» (يوحنا 11: 25). إنه القيامة والحياة في شخصه. فبدونه لما كانت القيامة ولا الحياة فيما وراء الموت! والمؤمنون سيقومون لأنهم يملكون حياة الرب يسوع حياة لهم.

وسبب آخر لقيامة المؤمنين الذين ماتوا هو أن الروح القدس يسكن فيهم: «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رومية 8: 11).

فالروح نفسه الذي كان في يسوع (كولوسي 2: 9؛ العبرانيين 9: 14) وأظهر نفسه بقوة حين قام (رومية 1: 4؛ 1 بطرس 3: 18)، يسكن فينا أيضاً (1 كورنثوس 6: 19؛ 1 تسالونيكي 4: 8؛ 1 يوحنا 4: 13). ولذلك سيعمل روح الحياة (رومية 8: 2) أيضاً عند إقامة المؤمنين الذين ماتوا. فالروح القدس هو العربون، وبالتالي الضمان، لإقامة المؤمنين (2 كورنثوس 5: 5)، ولأنهم لن يتخلّفوا حين يأتي الرب (1 تسالونيكي 4: 13-17).

وفي القيامة والتغيير سيبلغ عمل الفداء في المؤمنين كماله (رومية 8: 23؛ فيلي 1: 6؛ 1 تسالونيكي 5: 23). فحين يأتي الرب يسوع ثانيةً مخلّصاً للمؤمنين (1 تسالونيكي 1: 10؛ 4: 15، 16؛ يوحنا 14: 3)، ليغيّر شكل جسد تواضعنا، سنلبس نحن أيضاً، بوصفنا خطاة مفديين، صورة السماوي (فيلي 3: 20، 21؛ تيطس 2: 13؛ 1 كورنثوس 15: 49). إنه الآن منذ الآن مخلّصنا (المنقذ؛ يوحنا 4: 42)، لأن خطايانا قد غُفرت، وقد قربنا إلى الله (1 بطرس 1: 19؛ 2: 24؛ 3: 18). لكن جسدنا ليس له قبل مجيء الرب نصيب في هذا الخلاص بعد، ولا يزال ميتاً بسبب الخطية (رومية 8: 10؛ قارن 6: 12). فجسد المؤمن لا يزال خاضعاً للموت. ولذلك ننتظره نحن الأحياء مخلّصاً لجسدنا.

وهذا يصبح أيضاً على الراقدين في المسيح، الذين ستظهر فيهم قوة المخلّص الفعّالة نفسها ظهوراً لا يقاوم في إقامتهم. وعندئذ يصير حقيقة أيضاً ما يرى في مشورة الله منذ زمن بعيد كاملاً. فسنكون ممجدين، وسيحتلّ المسيح بين الإخوة مكان البكر (رومية 8: 29، 30). إنه رأس خليفة جديدة (كولوسي 1: 18) هي ثمر قيامته.

ويسمّي الرسول يوحنا في سفر الرؤيا قيامة الحياة القيامة «الأولى»: «هذه هي القيامة الأولى. مبارك ومقدّس من له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة» (رؤيا 20: 5، 6).

من له نصيب في القيامة الأولى يدعى مباركاً، لأن الموت الثاني، أي الموت الأبدي في جهنم، ليس له سلطان عليه. وبذلك لن يشترك الأئمة في القيامة الأولى، لأنهم لا يمكن أن يدعوا مباركين ومقدّسين. هذه هي قيامة الأبرار، التي فيها يُجَارُونَ على أعمالهم البارة (لوقا 14: 14، 20: 35، 36؛ أعمال الرسل 24: 15). ويتناول الرسول بولس قيامة الأموات، وخصوصاً قيامة المؤمنين، بالتفصيل في 1 كورنثوس 15. وكان الدافع إلى هذا البحث أن بعضهم في كورنثوس كانوا يدعون أنه ليست قيامة أموات (الآية 12). وقد غاب عنهم أن هذا يعني أن المسيح أيضاً لا يمكن أن يكون قد قام من الأموات - وبذلك كان إيمانهم سيصير بلا معنى. وبعد أن دافع بولس عن قيامة المسيح بوصفها أساس الإيمان المسيحي، ودحض المعلين الكذبة، شرح بعد ذلك طبيعة القيامة.

«ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقيين» (1 كورنثوس 15: 20). فالمسيح يُقدّم بوصفه مصدر قيامة خاصته. وهو مرتبط بهم إلى الأبد. إنه رأس عائلة جديدة (رومية 5: 12-21). إنه سابقهم ومعدّ طريقهم، إذ فتح لهم الباب من الموت إلى الحياة. وهو الآن في الجانب الآخر من الموت، والموت لا يسود عليه بعد (رومية 6: 9).

ومفهوم «الباكورة» يعبر عن مكانة الأولوية. فهو من الناحية الزمنية الأول في نوع معين من القيامة. فقد كان هناك قبل قيامته أيضاً أناس أقيموا. لكنهم لم ينالوا جسد قيامة، بل ماتوا بعد ذلك ثانية. أما في قيامته فقد هزم الموت هزيمة نهائية. وحين يُقيم المؤمنين، لن يموتوا بعد.

ويصف بولس أولوية الرب يسوع في موضع آخر أيضاً: «وهو ... البكر من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء» (كولوسي 1: 18). فإقامته حدثت «من بين» الأموات (مرقس 9: 9؛ 1 بطرس 1: 3، 21). والمؤمنون أيضاً سيُقامون «من بين» الأموات، أي إن آخرين - غير المؤمنين - سيقومون متخلّفين إلى حين. فهؤلاء لا يشتركون في القيامة الأولى، بل لن يدعوا من قبورهم إلا في القيامة «الأخيرة». ولذلك يميّز الكتاب المقدس

بوضوح «قيامة الأموات» عن «القيامة من [بين] الأموات» (لوقا 20: 35؛ أعمال الرسل 4: 2؛ فيلي 3: 11).

بإنسان واحد، آدم، دخل الموت إلى العالم واجتاز إلى كل إنسان، بحيث يموتون جميعاً (رومية 5: 12، 21). لكن الموت يبطل في المسيح، لأنه بوصفه إنساناً غلب بقيامته الموت الذي كان عليه هو نفسه أن يذوقه قبل ذلك (العبرانيين 2: 9). وكانت قيامة المسيح من الأموات الإمكانية الوحيدة لهزيمة الموت.

ولا يتناول 1 كورنثوس 15 إلا قيامة المؤمنين. فالكلام على الذين للمسيح (الآية 23)، أي الذين ينتمون إليه، الذين هم فيه (الآية 22)، والذين سيختبرون القوة المحيية للإنسان الثاني (الآيات 45-47). لكن غير المؤمنين أيضاً سيقامون. ليس لهم صلة بالمسيح. وسيجري فيهم سلطانه بوصفه القائم من الأموات، إذ يدعوهم من القبور إلى الدينونة (يوحنا 5: 29). وهذا التجلي لسلطان ابن الإنسان ينتمي إلى ختام طرق الله مع الخليقة الأولى (رؤيا 21: 4). فهو في النهاية سيبطل أيضاً العدو الأخير، الموت، إلى الأبد.

وهذا الحدث يتضمن أيضاً قيامة الأئمة، لأن موتهم (الجسدي) أيضاً ينتهي بإبطال الموت. وهكذا فإن قيامة غير المؤمنين متضمنة في 1 كورنثوس 15، مع أنها لا تذكر مباشرة. فهذه القيامة تبقى في الخلفية حدثاً لا بد منه. وليس لغير المؤمنين نصيب في انتصار الرب يسوع على الموت، الموصوف في هذا الأصحاح وصفاً بارزاً جداً.

أسئلة للتعمق

- اذكر أسباباً تجعل المؤمنين يشتركون في «قيامة الحياة»!
- ميز ذلك عن قيامة غير المؤمنين!

5.1.3 الجسد في القيامة

يصعب وصف طبيعة جسد القيامة، لأنه لا يوجد ما يشبه مما يمكن أن نتصور هذا الجسد الجديد على أساسه. فنحن لا نعرف إلا الجسد الذي لنا الآن. وهو «لحم ودم»، إنه جسد طبيعي، مصنوع من تراب الأرض. وهو بسبب الخطية خاضع للموت والفساد.

يقول بولس إن «لحماً ودماً» لا يقدران أن يرثا ملكوت الله السماوي (1 كورنثوس 15: 50). ولذلك يلزم تغيير الجسد الأرضي. فالله يعطي المؤمنين - الراقيين في الإقامة،

والأحياء في التغيير - جسداً سماوياً (1 كورنثوس 15: 40، 48-50). وهذا الجسد سيوافق ظروف الحياة السماوية.

فلا شكّ إذن أنه يجب أن يكون جسداً آخر غير الجسد الحالي. ومع ذلك سيكون فيه شبه بالجسد الحالي. ستكون هناك استمرارية تبقى فيها هيئة الإنسان. لنفكر في الرب بوصفه القائم من الأموات. فقد عرفه التلاميذ. كان هو الذي تبعوه. بل إن جراح صلبه كانت لا تزال ظاهرة.¹⁴²

وهذا الشبه يظهر أيضاً عند بولس. فهو يقول إن أجسادنا المائتة ستُحيَا. فالجسد المائت الذي لنا الآن سيحيَا ثانيةً، وينال في القيامة الخلود.

وبالقدر نفسه يؤكّد الكتاب المقدس أنه سيكون جسداً آخر. فن مقارنة القيامة بالزرع يتّضح أن ما ينبت من الأرض شيء آخر غير البذرة التي وُضعت في الأرض. وهذه الصورة توضح أيضاً أن هناك شبهاً واستمرارية: فالبذرة والثمرة الخارجة منها هما «في الجوهر» شيء واحد، لأنهما نبتة واحدة بعينها.

يجب أن نضع هذين الجانبين (الشبه والاختلاف) نصب أعيننا. فالشخص المرتبط بالجسد الذي لنا الآن يبقى محفوظاً، وسيُعرف بوصفه كذلك. لكن نوع الجسد سيكون جديداً تماماً. ويمكن مقارنة ذلك بالخلقة القديمة والخلقة الجديدة. فالخلقة الجديدة أيضاً ستشبه الخلقة القديمة، مع أنها ستكون في الوقت نفسه جديدة تماماً (رؤيا 21: 1).

وأعظم ما في هذا الجسد الجديد هو حقيقة أننا سنكون مثله، مثل ابن الله (1 يوحنا 3: 2). يقول بولس: «يقام في مجد» (1 كورنثوس 15: 43). فكل شيء سيحمل طابع مجد المسيح. وهذا هو المجد الذي ناله حين صعد إلى السماء وتجلّد. والتشبه بالرب يتعلّق بمجده الخارجي. وهكذا سنلبس، حين نظهر معه، صورة **السماوي** (1 كورنثوس 15: 49؛ فيلي 3: 20، 21). ولذلك سيكون أن يتعجب منه في جميع المؤمنين (2 تسالونيكي 1: 10).

ولأن الموت قد هُزم، فلن يكون الجسد الجديد مائتاً بعد (1 كورنثوس 15: 54، 55). فعن الجسد الذي مات يُقال إنه سيلبس **عدم الفساد**. فالجسد الذي مات قد انحلّ. وهذا

142. سيكون هذا بالتأكيد استثناءً، لأنها جراح عمله الفدائي (قارن الحروف كأنه مذبح، أي بجرح الموت، رؤيا 5). والمؤمنون في رأيي لن تكون في أجساد قِيامتهم آثار جراح.

لن يحدث أبداً للجسد الجديد. وعن جسد الأحياء الذي لم يمت بعد يُقال إنه سيلبس الخلود. والموت لا يكون في ما بعد (رؤيا 21: 4)!

وهذه السمات أيضاً، أي عدم فساد الجسد الجديد وخلوده، هي سمات ابن الله القائم من الأموات: «عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً» (رومية 6: 9). ويقول الرب يسوع إن الأبرار في القيامة لن يموتوا بعد. فهم مثل الملائكة، الذين هم خالدون (لوقا 20: 36).

وفي هذا السياق يقول الرب أيضاً إنه لن تكون في القيامة علاقة زوجية، وبالتالي لن يكون توالد. وهذا لا يعني أن التمييز بين الجنسين يختفي أيضاً. فهذا التمييز يبقى قائماً في أن الله يحفظ شخصية الإنسان، التي ينتمي إليها بالذات كونه رجلاً أو امرأة.

والجسد الطبيعي مخلوق للأرض. ولذلك يطبعه ويحدده ارتباطه بالأرض. وقد كان خاضعاً لقوانين الأرض وظروف الحياة فيها. أما في القيامة فسننال «جسماً روحانياً» (1 كورنثوس 15: 44). ولن يكون هذا الجسد خاضعاً بعد لظروف الأرض. ويتضح هذا في جسد الرب يسوع في القيامة. فهو لم يكن مقيداً بالمكان والزمان. فقد دخل الرب والأبواب مغلقة. وبحسب تقدير التلاميذ لم يكن ذلك يمكن أن يكون إلا روحاً. لكن الرب يقول إن الروح ليس له سمات جسد من لحم وعظام. فقد استطاع التلاميذ أن يجسّوه، بل إنه أكل من السمك المشوي (لوقا 24: 36-43).

سؤال للتعمق

- عدد بعض صفات جسد القيامة!

5.1.4 توقيت القيامة

لن تكون إذن قيامة عامة متزامنة لجميع الأموات في نهاية الأيام. فالكاتب المقدس يميّز بوضوح بين توقيت قيامة الأبرار وتوقيت قيامة الأئمة. ويشهد لذلك أصلاً أن هناك قيامة للمؤمنين «من» بين الأموات، لا يُقام فيها بقية الأموات في الوقت الحاضر. وكذلك تسمية القيامة «الأولى» (رؤيا 20: 5) توضّح أنه ستكون لاحقاً قيامة «ثانية» أو «أخيرة».

أما الافتراض بأنه لا توجد إلا قيامة عامة واحدة في نهاية الأيام تعقبها دينونة، فيستنتج البعض من كلمات الرب يسوع: «لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع

الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا 5: 28، 29).

ويستتجون من كلمة «ساعة» أنه لا يمكن أن تكون إلا قيامة عامة **واحدة**. وهم يفهمون الساعة على أنها لحظة زمنية. لكن علينا هنا أن نفكر في حقبة زمنية تمتد على مدى أطول. وبهذا المعنى يتكلم يوحنا كثيراً عن «الساعة» (يوحنا 4: 21، 23؛ 5: 25؛ 16: 2، 25؛ 1 يوحنا 2: 18؛ رؤيا 3: 10؛ 14: 7؛ 17: 12). ومن هذه الآيات يتضح جلياً أن الساعة لا تدلّ على لحظة زمنية أو على وحدة زمنية مدتها 60 دقيقة، بل على حقبة زمنية تدوم من جهة أطول بكثير من ساعة، وتتميز من جهة أخرى بإسماء وأحداث معينة.

ففي يوحنا 5: 25 يتكلم الرب عن ساعة لا يمكن حصرها في مدة 60 دقيقة، بل تشمل زمن النعمة الذي يدوم الآن منذ 2000 سنة، والذي فيه يدعو صوت ابن الله الناس من موتهم الروحي. وفي ارتباطها بالقيامة تمتد «الساعة» على فترة لا تقلّ عن 1000 سنة. وهذا المعنى المجازي للساعة يصبح أيضاً على «اليوم الأخير» (يوحنا 6: 39 وما بعده؛ 11: 24). فهذا اليوم لا يدلّ على لحظة زمنية تحدّد نهاية العالم، بل هو مثل الساعة فترة زمنية، أي حقبة، ستحدث فيها القيامة المختلفة.

وقيامة الحياة، أي قيامة المؤمنين، تحدث حين يأتي المسيح ثانية. وهذا من الترتيب الذي حدّده الله: «ولكن كل واحد في رتبته: المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه» (1 كورنثوس 15: 23). وتوقيت قيامة الأبرار يساوي هنا بتوقيت مجيء المسيح. وبذلك يكون الموعد محدداً بدقة. ومجيء المسيح (باليونانية *parousia*) يحدث بدوره في توقيتين مختلفين. وبالتالي توجد أيضاً مرحلتان أو ثلاث مراحل لقيامات «القيامة الأولى»: 1. المسيح، 2. المؤمنون عند الاختطاف، 3. الشهداء في بداية مملكة السلام.

فأولاً سيأتي الرب يسوع ثانية ليأخذ جميع المؤمنين الأحياء إليه في السماء (يوحنا 17: 24؛ فيلي 3: 20، 21)، إلى بيت الآب (يوحنا 14: 2، 3). هذا هو مجيئه لاختطاف المؤمنين، الذي فيه يُقام الأموات في المسيح ويُغيّر المؤمنون الأحياء (1 كورنثوس 15: 51، 52؛ 1 تسالونيكي 4: 13-17). والمجيء الأول يخص المؤمنين وحدهم. فهو لا يأتي حينئذ ظاهراً لجميع الناس، كما سيكون الحال في وقت لاحق.

والنجي الأول للمسيح هو رجاء المؤمنين. فهم ينتظرون ابن الله من السماوات، الذي سينقذهم من الغضب الآتي، الذي سيأتي على الأرض حين يكونون في السماء (1 تسالونيكي 1: 10). وإلى هذه القيامة سينتمي أيضاً المؤمنون من زمن العهد القديم (العبرانيين 11: 35، 39، 40). فهم يرون مع مؤمني الكنيسة بعد القيامة في الأربعة والعشرين شيخاً، الذين سيحيطون في السماء بعرش الله وبالخروف (رؤيا 4: 4 وما بعده). والقائمون من الأموات يكونون في السماء حين يأتي غضب الله ودينوته على الأرض (رؤيا 6-19).

ثم سيظهر الرب يسوع المسيح للمرة الثانية ظاهراً لجميع الناس بقوة ومجد (2 تسالونيكي 1: 7، 8؛ العبرانيين 1: 6؛ رؤيا 1: 7؛ 19: 11-16). وحينئذ أيضاً سيقوم مؤمنون. إنهم الذين ماتوا بعد الاختطاف. ويقول يوحنا عنهم إنهم قُطعت رؤوسهم من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع، وإنهم لم يسجدوا للوحش؛ وسيُحيون (رؤيا 20: 4). فالقيامة الأولى تحدث إذن على خطوتين:

- أولاً مؤمنو الكنيسة ومؤمنو العهد القديم
 - ثم المؤمنون الذين ماتوا بعد الاختطاف إلى مملكة السلام
- ومؤمنو القيامة الأولى سيدخلون إلى السماء بأجساد مُمجّدة. وهناك سيسكنون إلى الأبد. فهم ينالون جسداً سماوياً، يكون لهم به وطنهم الأبدي لا على الأرض، بل في السماء. ولن تكون بعد دينونة للمؤمنين المقامين. فسألة الدينونة قد سُوّيت بالنسبة إليهم على صليب الجلجثة. ومن البديهي أيضاً أن الذين صاروا كاملين ويلبسون جسد المجد لن يدانوا بعد، مع احتمال أن يهلكوا في النهاية.

ومع ذلك سيقف المؤمنون أمام كرسي المسيح (2 كورنثوس 5: 10). لكن الأمر هناك لا يتعلق بمسألة الخلاص. بل يتعلق بتقييم أعمالهم وبالمكافأة (1 كورنثوس 3: 12-15). هناك سيرون حياتهم من منظور الله وقيمونها، لكي يعرفوا كما عرفوا (1 كورنثوس 13: 12). وسيعرفون النعمة التي أوصلتهم بأمان إلى الهدف ويحجّونها.

5.1.5 القيامة للدينونة

لا يقول الكتاب المقدس إلا القليل عن قيامة الأئمة (أعمال الرسل 24: 15). وقد سبق أن تناولنا بعض الأمور عند مقارنتها بقيامة الحياة. ويتكلم الكتاب المقدس عن هذه القيامة بوصفها حدثاً مهماً سيحدث، وبه سيختم الله تاريخ الخليقة الأولى.

وهذه القيامة ستحدث في لحظة، وستشمل جميع الأموات الذين لم يكن لهم نصيب في القيامة الأولى، أي الذين بقوا (رؤيا 20: 5). وبهذا المعنى وحده يمكن أن يتكلم عن قيامة عامة في اليوم الأخير.

والرب يسوع سيدعو الأئمة من قبورهم (يوحنا 5: 28، 29). وهذه القيامة يسميها «قيامة الدينونة»، لأنها تنسم بالدينونة. فالأئمة قد دينوا أصلاً طوال حياتهم، لأنهم لم يؤمنوا (يوحنا 3: 18). وبعد قيامتهم يمضون إلى الدينونة الأبدية، التي تبدأ بجلسة القضاء أمام العرش العظيم الأبيض (رؤيا 20: 11).

ويتكلم الرسول يوحنا في رؤيا 20: 11-15 عن هذا الحدث. فهو يتكلم عن **بقية** الأموات (رؤيا 20: 5)، الذين لا يعيشون حتى تتم الألف سنة من ملك المسيح. وبذلك يكون توقيت القيامة الأخيرة أيضاً محدداً بدقة. ففي نهاية زمن الملك هذا (1 كورنثوس 15: 24) يدعى الأموات. وسيقومون ليحضرُوا أمام ديّان الأحياء والأموات (العبرانيين 12: 23؛ رومية 2: 16؛ 2 تيموثاوس 4: 1).

ويصف يوحنا هذا الحدث المستقبلي وصفاً مؤثراً: فهو يرى أولاً عرشاً عظيماً أبيض. وهذا العرش يعطي مباشرة انطباعاً بالسلطان الأسمى وبالعدل والقداسة المطلقين (1 يوحنا 1: 5). ثم يبصر الجالس على العرش. ومن أمام هذا الشخص تهرب السماوات والأرض. هذه هي نهاية الخليقة الأولى (1 كورنثوس 15: 24). فالأرض والسماء تهربان (رؤيا 20: 11) وتخلّان محترقة (2 بطرس 3: 7، 11). والآن يجب على الخليقة القديمة أن تفسح المجال للخليقة الجديدة. فأَيُّ شخص يجب أن يكون هذا الذي يحدث أمراً كهذا! وماذا سيُشعر الناس الذين سيقفون أمام هذا الشخص!؟

فمن هو الجالس على العرش؟ إنه الرب يسوع المسيح، ابن الإنسان، الذي أعطاه الله الآب الدينونة كلها (يوحنا 5: 22، 27؛ أعمال الرسل 10: 42؛ 17: 31؛ 2 كورنثوس 5:

(10). فالديان إنسان عاش هو نفسه على الأرض ويعرف الكيان البشري معرفة كاملة. لذلك لن يستطيع أحد أن يتهمه بأنه لا يستطيع أن يحكم على وضع بشري ما عن خبرة.

ثم ينتقل نظر يوحنا، فيرى جمعاً عظيماً من الناس واقفين أمام العرش. إنهم جميع الأموات غير المؤمنين الذين عاشوا يوماً على الأرض. لم ينس أحد منهم. من الصغير إلى الكبير سيظهرون جميعاً هناك. وفي ساعة الحقيقة هذه لن يكون هناك تمييز.

ويلفت النظر أن هؤلاء الناس لا يزالون يُسمَّون «أمواتاً» بعد إقامتهم. وليس في هذا تناقض، فقد اتضح من قبل أنه لن يقف أمام العرش العظيم الأبيض إلا الأئمة. فالقيامة الأولى، أي قيامة الأبرار، قد حدثت قبل ذلك بما لا يقل عن 1000 سنة. وحين يسمي الناس الواقفون أمام العرش «أمواتاً» رغم إقامتهم، فبذلك توصف حالتهم الهالكة: إنهم أموات روحياً بالخطايا (أفسس 2: 1)، وقد ماتوا الموت الجسدي أجرة الخطية، وبعد النطق بالحكم يمضون إلى الموت الأبدي وهم في وعي كامل لذنبهم وخطيئتهم (رؤيا 20: 6، 14).

وأدلة الإثبات للحكم هي سفر الحياة¹⁴³ والأسفار التي دُوِّنت فيها جميع الأعمال (دانيال 7: 10). ففي سفر الحياة مكتوب جميع الذين كان لهم نصيب في قيامة الحياة. ولذلك لن يقف هؤلاء أصلاً أمام هذا العرش، لأن قيامتهم قد حدثت قبل ذلك بألف سنة. ويُقال إن كل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة عند هذه الديونة طُرح في بحيرة النار. إذن لا يقف هنا إلا الذين سيُطرحون في بحيرة النار!

غير أنه قد يُستنتج من وصف يوحنا أنه يقف أمام العرش أيضاً أناس لا يذهبون إلى بحيرة النار، لأننا نجد سفر الحياة هناك. فلماذا يُستعان به؟ السبب أن هذه الديونة تجري بدقة متناهية. فيزال كل شك قد ينشأ هناك عند إنسان بشأن حالته. وفحص السفر سيستبعد أي خلط. فلا أحد ممن له حياة ومكتوب في هذا السفر سيُطرح ظلاً في بحيرة النار.

فالإنسان هناك يُبَكَّتْ تَبَكُّيَةً كاملاً ويواجه بالحقيقة عن نفسه. ولهذا الغرض تُخدم أيضاً الأسفار الأخرى، التي دُوِّنت فيها جميع الأفعال. وهنا يجب أن ننتبه خاصة إلى أن غير المؤمنين يُدانون بحسب أعمالهم. فجميع الأعمال - الصالحة في الظاهر والردئية - تُفحص

143. لوقا 10: 20، فليبي 4: 3، العبرانيين 12: 23، رؤيا 3: 5، 13: 8، 17: 8، 20: 12، 15: 1، 21: 27، 22: 19.

وَتُمتَحَن وتُقَيَّم. وأمام هذا الديان يجب على الإنسان أن يعترف بمدى فساد حياته. وهذه المعرفة رهيبة، لأنه لا يوجد هناك تعويض، ولا يوجد أيضاً شفيع يتوسط له.

لن يصدر حكم سطحي أو إجمالي. فالدينونة ستكون عادلة عدلاً مطلقاً ونزيهة لا تقبل الرشوة، إلى أدق التفاصيل، لأن الديان العادل العليم بكل شيء هو الذي يجري الدينونة (2 تيوتاوس 4: 8؛ المزامير 7: 12؛ 9: 5).

ومرة أخرى يبدو أن يوحنا يتأمل من أين يأتي الأموات الكثيرون. فقد رأى كيف سَلِم البحر والموت والهاديس الأموات الذين فيها. وبذلك لا يُستثنى أي مكان ولا أي حالة يمكن أن يوجد فيها أموات بعد. ويُطرح الموت والهاديس في بحيرة النار، وبذلك يجد العدو الأخير، الموت، نهايته (1 كورنثوس 15: 26).

فالموت الأول، أي الموت الجسدي، لن يوجد حينئذ بعد، لأنه بعد القيامة الأخيرة لن يكون أموات بمعنى انفصال الروح-النفس عن الجسد. ولذلك لن تكون بعد حاجة إلى الهاديس بوصفه مكان الأموات. والنتيجة المرعبة لهذه الحقيقة هي أن الأئمة، أي الهالكين، سيقاسون بجسدهم الموت الثاني، بحيرة النار. ويقول الرب يسوع إنه ينبغي أن نخاف من «الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم» (متى 10: 28). ومن هذه الكلمات يتضح بما لا يحتمل اللبس أن الإنسان سيذهب بنفسه وجسده إلى جهنم، أي إلى بحيرة النار.

وهكذا لا تحدث هذه القيامة الثانية إلا لغرض واحد، هو أن يُنفى الأئمة بأجسادهم إلى جهنم. فهلاكهم لن يصيب نفوسهم وحدها، بل أجسادهم أيضاً. وبذلك يدخل الأموات بعد قيامتهم وبعد الدينونة إلى الحالة النهائية والأبدية.

سؤال للتعمق

- ميز بين المراحل المختلفة (أو التوقيتات) لقيامة المؤمنين وغير المؤمنين!

6 الإنسان في الأبدية

إن بداية الحالة الأبدية، أي بداية خليفة جديدة تماماً (رؤيا 21: 1)، هي إتمام طرق الله مع العالم. فتاريخ الخلاص يكتمل بعد زمن طويل. وفي النهاية يكون الله قد بلغ غايته وأتم مشورته الأزلية. وسيتمجد فيها. لقد عمل كل شيء وأعطى كل شيء، لكي يختبر الإنسان، خليقته وصورته، السعادة والفرح الأبدي.

وإن كلاً في ما يخص الحياة بعد الموت معتمدين اعتماداً كاملاً على إعلان كلمة الله، فهذا يصبح أيضاً حين يتعلق الأمر بالإنسان في الأبدية. ففي هذه المسألة أيضاً نحتاج إلى إعلان الله. وبفضل نعمة الله العظيمة يعلن لنا هذا أيضاً إلى حدٍّ يمكّننا من أن نستخلص منه نتائج مهمة لحياتنا. فغاية الله دائماً أن لا يقتصر الاشتغال بالأُمور المستقبلية على إشباع فضولنا، بل أن يكون له أثر في حياتنا اليومية أيضاً.

ففي الأبدية، تماماً كما اليوم، ستكون فئتان من الناس: الذين لهم حياة من الله، والذين ليست لهم حياة من الله. وهنا تكمن العلاقة بموضوعنا، أي الوجود الأبدي للإنسان، أو بعبارة أخرى خلود النفس. فإن افترض المرء أن الإنسان يفقد وجوده بعد الموت - ولو مؤقتاً - فقد يستنتج من ذلك أنه سيفقد وجوده يوماً ما نهائياً. ولذلك نجد عند الذين يعتقدون أن النفس فانية الرأي القائل بأن غير المؤمنين سيفنون يوماً. وتعليم فناء النفس وتعليم إفناء الإنسان يصادفان في الغالب معاً، لأن فناء النفس هو بطبيعة الحال شرط إفناء الإنسان. لكننا قد تبيّننا الآن من الكتاب المقدس أن للإنسان وجوداً أبدياً، وأن غير المؤمنين لذلك لن يفنوا أبداً.

وفي الدراسة التالية على أبعد تقدير يتضح أن حق خلود النفس، أو الوجود الأبدي للإنسان، ليس أمراً جانبياً أو ثانوياً. ولا يجوز أن يطوى تحت البساط لأجل الوحدة بين المسيحيين. فإن تحلى المرء عن هذا الحق، تشوّهت صورة التعليم الكتابي (رومية 6: 17) وانتقصت رسالة الإنجيل.

6.1 المؤمنون في الأبدية

قلّة قليلة من المؤمنين يشكّون في أن لهم مستقبلاً أبدياً. وإن كانت هناك آراء مختلفة حول «أين» و«كيف»، فإن الجميع يمتضون نحو الأبدية بانتظار مفرح. فنحن ننتظر مجيء يوم الله وسماوات جديدة وأرضاً جديدة (2 بطرس 3: 11-13).

لقد دعانا الله في المسيح يسوع إلى مجده الأبدي (1 بطرس 5: 10). نحن مدعوون إلى ملكوته ومجده (1 تسالونيكي 2: 12). وقد أعدّ لنا مجد لا ينطق به، سيفوق تصوّرنا بكثير (مثلاً رومية 8: 18، 21، 29، 30؛ 2 تيموثاوس 2: 10).

«في السماء سيُغلب إلى الأبد كل ما يجعل الحياة هنا على الأرض صعبة علينا. فسكان هذا المكان لن يضطّروا أبداً بعد إلى احتمال الألم أو الحزن أو الاكتئاب أو المرض أو الموت أو الخطيئة أو الأنانية أو التعب أو المعاناة، لأن «الأمر الأولى قد مضت» (قارن رؤيا 21: 4؛ 22: 3). ستكون السماء مكاناً للمحبة التي لا توصف، وللجمال والسلام والفرح والمغامرة والشركة مع الله (رؤيا 21: 4). ويصعب علينا أن نتصوّر ما سيفعله في الأبدية إله غير محدود في محبته، كلّ القدرة وكلّي العلم، لأجل الذين بذل لأجلهم ابنه الوحيد عن طيب خاطر (قارن رومية 8: 32؛ 1 كورنثوس 2: 9؛ 3: 21-23). فالحياة هناك ستفوق تصوّراتنا بكثير. وإن كان كل ما هو سلمي غائباً عن السماء، فلا بدّ أن يكون هذا المكان مملوءاً بكل ما هو جديد وإيجابي: «وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شيء جديداً! وقال: اكتب، فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة!» (رؤيا 21: 5).¹⁴⁴

إن التأمّل في هذه الأعجاف والبركات السماوية للمسيحي يستحقّ العناء، وكنت أودّ الآن أن أستمّر في الاشتغال بها. لكن الأمر هنا لا يتعلّق بمسألة الوجود الأبدي للمؤمنين. فلا أحد يشكّ فيه. أما الأمر مع غير المؤمنين ومستقبلهم فمختلف. فهنا تباين الآراء تبايناً جوهرياً.

144. John Weldon، Fakten über Sterbeerlebnisse، Pfäffikon (Verlag Mitternachtsruf) و John Ankerberg، 2001، ص. 67.

6.2 غير المؤمنين في الأبدية

غير المؤمنين الذين لم يتوبوا وليس لهم غفران خطاياهم سيموتون في خطيتهم (يوحنا 8: 21). وبعد ذلك تنتظرهم الدينونة (العبرانيين 9: 27). فهم يقعون في يدي الله الحي (العبرانيين 10: 31)، القدوس قداسة مطلقة، الذي لذلك يبغض الخطية ويمقتها. ولذلك لا تحدث قيامة غير المؤمنين إلا للدينونة (يوحنا 5: 29). هذه حقيقة لا يمكن إنكارها، مؤسّسة على أقوال كلمة الله: غضب الله القدوس سيمكث على غير المؤمنين إلى الأبد (يوحنا 3: 36).

ونسأل مع الرسول بطرس: «فما هي نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله؟» (1 بطرس 4: 17، 18). وكلمة الله لا تتركنا في غموض بشأن ذلك. لكن قبل أن أقدم جواباً عن هذا السؤال، أود أن أذكر مرة أخرى بأن الله المخلص قد عمل كل شيء في تقديم ابنه الوحيد ذبيحةً، لكي يخلص الخطاة الهالكين. فليست مشيئة الله أن يهلك الخاطئ (1 تيموثاوس 2: 4؛ 2 بطرس 3: 9)، بل أن يحيا وأن يخلص من الموت الأبدى. والله يسعى إلى كل إنسان ويحاول أن يبلغه بحبته الإلهية. ولن يستطيع أي إنسان أبداً أن يلوم الله على مصيره الأبدى. فالدينونة الأبدية ستصيب جميع الناس الذين لم يكرموا الله الخالق ورفضوا ابنه.

يتكلم الرسول بولس عن تصرف الله العادل، في النعمة وفي الدينونة على حدّ سواء: «أم تستهين بغنى لطفه وصبره وطول أناته، غير عالم أن لطف الله يقودك إلى التوبة؟ ولكنك بحسب عنادك وقلبك غير النائب تذر نفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد بحسب أعماله: أما الذين يطلبون المجد والكرامة وعدم الفساد بالصبر في العمل الصالح، فبالحياة الأبدية؛ وأما الذين هم أهل التحزّب ولا يطيعون الحق بل يطيعون الإثم، فبالغضب والسخط. شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر» (رومية 2: 4-9؛ مترجم عن ترجمة إلفرلد الألمانية).

الغضب والسخط والشدة والضيّق هي هنا تعابير عن دينونة الله العادلة على الخاطئ غير النائب. والكتاب المقدس يتكلم بلا لبس عن الدينونة المستقبلية والأبدية. وهو لا يخفي حقيقة غضب الله على الخطية، كما يحدث اليوم مع الأسف كثيراً. فقداسة الله وعدله اللذان يسلبان الخاطئ إلى جهنم لا يتفقان مع تفكير معظم الناس، ولا مع تفكير كثير من

المسيحيين أيضاً مع الأسف. فكثيراً ما يعتقد المرء أو يأمل أن الله مستعدّ للمساومة وأنه سيتغاضى عن الخطيئة بالنعمة. لكن هذا الظن لا ينفع أحداً، لأنه يضلّل الإنسان في ما يتعلّق بطبيعة الله وطبيعة الخطيئة، وبالتالي أيضاً في ما يتعلّق بمصيره الأبدي هو.¹⁴⁵

ويستخدم الكتاب المقدس تسميات مختلفة وصوراً أو تشبيهات صارخة، لكي يصف الدينونة الأبديّة بأقصى ما يمكن من التأثير. وهي تهدف إلى أن تُري الإنسان مدى جدية الله في نظره إلى الخطيئة، ومدى ما ينبغي أن يخشى منه في الدينونة. والكتاب المقدس يتكلّم عن السماء وجهنم بوصفهما مكانين موجودين حقاً، ويستخدم لغة تصويرية لوصفهما. ونحن لا نشكّ في حقيقة السماء لأنها توصف وصفاً تصويرياً (انظر سفر الرؤيا)، ولذلك لا يمكننا أيضاً أن نشكّ في حقيقة جهنم.

فلنفحص إذن المصطلحات والصور الثلاث الأساسية التي نتكلّم عن هذه الدينونة. وهي جهنم وبحيرة النار والموت الثاني.

6.2.1 جهنم (Gehenna)

يتكلّم الرب يسوع المسيح نفسه في الأناجيل إحدى عشرة مرة عن جهنم (متى 5: 22، 29، 30؛ 10: 28؛ 18: 9؛ 23: 15، 33؛ مرقس 9: 43، 45، 47؛ لوقا 12: 5؛ وفي العهد الجديد لا ترد إلا في يعقوب 3: 6). وجهنم هي المكان الذي فيه يُترك الأثمة وحدهم إلى الأبد في وعي كامل لذنبهم ويُدانون من الله.

ومن اللافت أن الرب يسوع المسيح نفسه هو أكثر من تكلم عن جهنم، مكان الدينونة الرهيبة، مع أنه هو نفسه إعلان محبة الله. فلم يعرف أحد محبة الله كما عرفها هو، وقد جاء ليعلنها. ولكن كيف يمكن أن تتفق محبة الله مع دينونة رهيبة كهذه؟ لأنه لم يعرف أحد أيضاً قداسة الله كما عرفها هو. يقول الرسول يوحنا: «وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به: إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (1 يوحنا 1: 5). فتعبير **النور** يرمز هنا إلى قداسة الله في مقابل الظلمة، وهي تعبير عن الخطيئة وعن كل ما يتصل بها.

145. يظهر التّوهُن من العذاب الأبدي ورفضه في صور مختلفة: 1. الشمولية والمصالحة الشاملة: جميع الناس سيخلصون في النهاية 2. المشروطية (الخلود المشروط) (Konditionalismus): غير المقيدين سيفنون - ويسمى أيضاً «الإفنائية» (Annihilationism) 3. إمكانية التوبة والخللاص بعد الموت (المشروطية الافتراضية). وكل واحد من هذه التعاليم يجب أن يرفض بوصفه غير كافي وتفرغاً للإيمان من مضمونه.

وكان لدى اليهود في زمن يسوع تصوّر معيّن لما يقصد بـ«جهنم» (باليونانية gehenna). وكان هذا التصوّر مستمداً من مكان معروف ومن تاريخه. فالكلمة اليونانية تقابل الكلمة العبرية «جي-هنوم» (ge-hinnom). وهي تدلّ على وادي هنوم، الذي يخدر جنوبيّ مدينة أورشليم (يشوع 15: 8؛ 16: 18). وفي تاريخ إسرائيل، في عهد الملكين آحاز (2 الملوك 16: 3) ومنسى (2 الملوك 21: 6)، كان هذا مكان أرجس عبادة للأوثان. فهناك كانوا يقدّمون الأولاد ذبائح للصنم مولك (2 أخبار الأيام 28: 3؛ 33: 6). وكانوا يحرقونهم على وقع ضرب الطبول، ليغطّوا على صراخهم. وقد أُنذر الله بدينونة رهيبة على هذه الرجاسات (إرميا 7: 32؛ 19: 5-9؛ 32: 35).

وفي أثناء النهضة في عهد الملك يوشيا دُمّر هذا الموضع وتحوّل إلى كومة من الأنقاض (2 الملوك 23: 10). وفي ما بعد صار هذا المكان مكبّاً للأنقاض والقمامة. فإليه كانت تُنقل فضلات مدينة أورشليم وأقذارها. وإليه أيضاً كانت تُنقل جثث المجرمين المُعدمين لكي تُحرق. كان مكبّاً للنفايات تشتعل فيه النار باستمرار للتخلّص من القمامة. وكانت الديدان تجد في النفايات ما يكفيها من الغذاء، حتى إنها استطاعت أن تعيش هناك. ولذلك كثيراً ما يُذكر في ارتباط بجهنم الدود الذي لا يموت والنار التي لا تطفأ (مرقس 9: 43-48؛ إشعياء 30: 33؛ 66: 24).

وفي كتابات اليهود يُشبه ما كان يجري في هذا المكان بالدينونة العقابية الأخروية والأبدية للأئمة.¹⁴⁶ والرب يسوع المسيح يبني هنا على التصوّر اليهودي في تلك الأيام. لكن كلماته، خلافاً لتصوّر اليهود، هي إعلان للحق الإلهي. وهو يبرز أمرين على نحو خاص:

- الإنسان كله يُسلّم إلى دينونة جهنم: «بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم» (متى 10: 28؛ قارن لوقا 12: 5). فدينونة جهنم (متى 5: 29، 30) ستصيب النفس كما تصيب الجسد (لوقا 12: 47).
- جهنم مرتبطة بالنار ارتباطاً لا ينقسم: «ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم» (متى 5: 22). «خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم، إلى النار التي لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ» (مرقس 9: 43، 44؛ قارن متى 5: 29).

146. Strack / Billerbeck, Exkurs: Scheol, Gehinnom u. Garten Eden, München (Verlag C.H. Beck).
G.W. Bromiley, Theological Dictionary of the NT, Grand Rapids (Eerdmans) 1985, 1037-1029, ص. 113.

الإنسان يخاف النار. وفي جهنم تصيب الديونة الجسد والنفس والروح. وصورة النار نتكلم عن العذاب وعن الخوف. ولا نستطيع أن نتصور ذلك. والصورة مؤثرة بما فيه الكفاية. إنها تحذير لا يمكن أن يكون أشد إلحاحاً. وكثيراً ما تُستخدم النار تعبيراً عن دينونة الله، التي توجه في يوم الدينونة ضد كل ما لا يتوافق مع الله (التكوين 19: 24؛ اللاويين 10: 2؛ العدد 16: 35؛ 1 كورنثوس 3: 13؛ 2 تسالونيكي 1: 8؛ العبرانيين 10: 27؛ 2 بطرس 3: 7؛ رؤيا 20: 9؛ 21: 8).

ومن الآيات الأخرى التي لا تذكر لفظ «جهنم»، لكنها تصف الديونة نفسها: «خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان» (متى 18: 8).

«... ويطرحونهم [أي بني الشرير] في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (متى 13: 42؛ قارن 8: 12).

يقول يهوذا: «مُكَلِّدَةٌ عقاب نار أبدية» (يهوذا 7).

6.2.2 بحيرة النار

بحيرة النار، بالتوافق مع الآيات المذكورة أعلاه، تسمية أخرى لجهنم (رؤيا 19: 20؛ 20: 10، 14، 15). ولا يذكر عن هذا المكان إلا القليل من التفاصيل. إنه المكان الذي لن يجد فيه الخاطئ راحة إلى الأبد. فالبحيرة، مثل البحر أيضاً، تشير إلى اضطراب دائم (رؤيا 14: 11).

فأولاً يطرح الوحش والنبي الكذاب (إنسانان من آخر الزمان، انظر رؤيا 13) في بحيرة النار (رؤيا 19: 20). فهما يذهبان حينئذٍ بجسديهما إلى هذا المكان المتقد بالنار والكبريت. وبعد ذلك بألف سنة يطرح إبليس في بحيرة النار، ليُعَذَّبَ نهراً وليلاً إلى أبد الآبدين (20: 10).

بحيرة النار، النار الأبدية، قد أُعدَّت لإبليس وملائكته - لا للإنسان! (متى 25: 41). لكن لأن الإنسان اتبع إبليس، وسلك طريق العصيان نفسه، ولم يُرد أن يخضع لله، فسيجد هو أيضاً هناك مصيره الأبدي (رؤيا 20: 10، 14، 15؛ 14: 10).

والنار موجودة لكي تحرق شيئاً وتزيله، كما حدث أيضاً مع القمامة في وادي هنوم. لكن الأمر في دينونة جهنم لا يتعلق بالإحراق بمعنى الإفناء.

وإلى جانب تعليم الإفناء الكامل للإنسان، يوجد أيضاً الرأي القائل بإقامة محدودة زمنياً في جهنم. وهي تخدم استيفاء عقوبة محدودة المقدار، أو حتى التطهير بمعنى المطهر. ولو فسّرت صورة النار بهذا المعنى، لا تحرق جميع الأشرار في الحال وعلى الفور حين يتعرضون لهذه النار. فليست لهم حياة جديدة ولا أي شيء صالح يمكن أن يبقى بعد التطهير. ولا مهرب من جهنم؛ فلها مدخل فقط، وليس لها مخرج.

والنار، كما كانت تشتعل في وادي هنوم، صورة لحقيقة جهنم، إذ تصف عذابات الخاطئ.

6.2.3 الموت الثاني

لقد تبيناً من قبل أن الموت ليس نهاية وجود الإنسان، بل هو في الأساس تغير في شكل الوجود. وفضلاً عن ذلك فالموت يحدث دائماً انفصلاً. والموت الثاني، وبالتالي الأخير (روياً 20: 6، 14)، هو الانفصال النهائي للخاطئ عن الله. وفي هذا تقوم الدينونة الأبدية للخاطئ. ولذلك يسمي بولس هذه الدينونة «هلاكاً أبدياً من وجه الرب» (2 تسالونيكي 1: 9). ولأن الله لا يستطيع أن ينظر إلى الخطية، فلا بد أن يبعد الخاطئ إلى الأبد عن حضرته (متى 7: 23؛ 25: 12)، إذ لا يمكن أن تكون للنور شركة مع الظلمة (2 كورنثوس 6: 14). فالخاطئ يُنفى إلى الظلمة الخارجية. وحينئذ يعلم أن الله لا يستطيع أن يقبله بخطيته (متى 22: 13؛ لوقا 13: 22-28؛ 2 بطرس 2: 17؛ يهوذا 13). كثير من الناس لا يريدون أن تكون لهم علاقة بالله - وحينئذ سيكونون أيضاً بلا الله إلى الأبد. وهذه الحقيقة تجعلنا نرتعد أمام ما سيكون نصيب الخطاة إلى الأبد وبلا نهاية.

فالإعراض النهائي وغياب الله يعنinan الوجود في أقصى ظلمة الموت - هلاكاً لا ينتهي أبداً.

سؤال للتعمق

- بأية صور يصف العهد الجديد المصير الأبدي لغير المؤمنين؟

6.3 كم تدوم العقوبة؟

هذا سؤال مهم، نقش كثيراً على مدى قرون تاريخ الكنيسة حتى اليوم. وهنا نتبين آراء كثير من المسيحيين. فبعضهم يؤكد أن العقوبة محدودة زمنياً. فإذا استوفى الإنسان مقدار عقوبته، فإنه يفنى إلى الأبد أو يدخل السماء. أما الآخرون، ومنهم الكاتب، فهم مقتنعون استناداً إلى كلمة الله بأن العقوبة لن تنتهي أبداً.

ولا يمكن الإجابة عن هذا السؤال إجابة موضوعية إذا كان للتصورات (والأماني) والمشاعر البشرية حق في الكلام. فالكاتب المقدس يجب أن يكون السلطة الوحيدة. وأقوال الكاتب المقدس توضح بلا لبس أن عقوبة الأشرار وعذابهم سيكونان أبديين، أي غير محدودين زمنياً. ويتضح هذا من الشواهد الكتابية التالية:

«خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم، إلى النار التي لا تطفأ» (مرقس 9: 43؛ قارن متى 3: 12؛ إشعياء 66: 24؛ إرميا 17: 4).

«خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان» (متى 18: 8).
«مكابدة عقاب نار أبدية» (يهوذا 7).

«فهو أيضاً سيشرب من نحر غضب الله، المصبوب صِرفاً في كأس غضبه، ويعذب بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف. ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين، ولا تكون راحة نهارة وليلاً...» (رؤيا 14: 10، 11؛ قارن 20: 10).

النار تشتعل إلى الأبد، أي إنها لا تطفأ. وامتداد الأبدية الزمني الذي لا يستطيع البشر تصوّره («إلى أبد الآبدين») يشبه هنا - لكي يصير أوضح لنا - بتعاقب النهار والليل الذي لا نهاية له ولا انقطاع.

«فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (متى 25: 46). «تعليم ... الديونة الأبدية» (العبرانيين 6: 2). «هلاكاً أبدياً من وجه الرب» (2)

تسالونيكى 1: 9). «الذين قد حفظ لهم قتام الظلام إلى الأبد» (يهوذا 13، قارن 2 بطرس 17: 2). «بل **يمكث** عليه غضب الله» (يوحنا 3: 36).

«ولكن من جَدَّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب خطية أبدية» (مرقس 3: 29؛ متى 6: 15؛ 12: 32). فحيث لا يكون غفران للخطية إلى الأبد، تكون أيضًا دينونة الله على الخطية إلى الأبد. وبصرف النظر عن السؤال: من هم الناس المقصودون هنا الذين يَجَدِّفون على الروح القدس، فإن هذه الآية أيضًا توضح أنه سيكون في الأبدية أناس ليس لهم غفران الخطية، وسيَمكث عليهم غضب الله إلى الأبد.

غير أن البعض يعترض بأن كلمتي «أبدي» و«الأبدية» لا تصفان دائمًا فترة غير متناهية، بل قد تصفان أيضًا فترة متناهية. ولذلك علينا أن نفحص معنى هاتين الكلمتين في العهد الجديد في ما يتعلق بالدينونة.

6.3.1 «الأبدية» و«أبدي» في العهد الجديد

كلمة «الأبدية» تقابل الكلمة اليونانية «aion». وهذه الكلمة قد تحمل معنى فترة زمنية معينة أو دهر محدود: انظر متى 12: 32؛ 24: 3؛ 28: 20؛ لوقا 16: 8؛ 20: 34؛ رومية 12: 2؛ 1 كورنثوس 1: 20؛ 2 كورنثوس 4: 4؛ غلاطية 1: 4؛ 1 تيموثاوس 6: 17؛ 2 تيموثاوس 4: 10؛ تيطس 2: 12؛ العبرانيين 9: 26.

وهذه الآيات توضح أن الأمر لا يتعلق بالزمن في حد ذاته فقط، بل بالسمات الأخلاقية التي يَتميّز بها الدهر أو مجرى الزمن.

و«الأبدية» هي أيضًا - في معظم المواضع - فترة غير متناهية:

- «إلى الأبد» (باليونانية eis ton aion). يرد هذا التعبير في الآيات التالية: متى 21: 19، مرقس 3: 29؛ 11: 14؛ لوقا 1: 55؛ يوحنا 4: 14؛ 6: 51، 58؛ 8: 35، 51، 52؛ 10: 28؛ 11: 26؛ 12: 34؛ 13: 8؛ 14: 16؛ 1 كورنثوس 8: 13؛ 2 كورنثوس 9: 9؛ العبرانيين 5: 6؛ 6: 20؛ 7: 17، 21، 24، 28؛ 1 بطرس 1: 25؛ 1 يوحنا 2: 17؛ 2 يوحنا 2.
- «إلى الدهور» (eis tous aionas). انظر في ذلك المواضع التالية: لوقا 1: 33؛ رومية 1: 25؛ 9: 5؛ 11: 36؛ 16: 27؛ 2 كورنثوس 11: 31؛ العبرانيين 13: 8.

- «إلى كل الدهور» (eis pantas tous aionas): يهوذا 25
- «إلى دهر الدهور» (eis ton aiona tou aionos): العبرانيين 1: 8.
- «إلى دهور الدهور» (eis tous aionas ton aionon). يرد هذا التعبير كثيراً: رومية 16: 27؛ غلاطية 1: 5؛ فيلي 4: 20؛ 1 تيموثاوس 1: 17؛ 2 تيموثاوس 4: 18؛ العبرانيين 13: 21؛ 1 بطرس 4: 11؛ 5: 11؛ رؤيا 1: 6، 18؛ 4: 9، 10؛ 5: 13؛ 7: 12؛ 10: 6؛ 11: 15؛ 14: 11؛ 15: 7؛ 19: 3؛ 20: 10؛ 22: 5.

وفي رؤيا 14: 11 و 10: 20 نجد تعبيراً لا يمكن تجاوزه عن لانهاية العقوبة التي ستصيب إبليس والوحش والنبي الكذاب، وكذلك الناس الذين تبعوا الوحش. فهم سيعذبون «إلى أبد الأبدين». وفي اليونانية ترد الأبدية بصيغة الجمع. فالمعنى الحرفي إذن: «إلى دهور الدهور».

والصفة «أبدي» أيضاً تشير إلى عدم المحدودية الزمنية. ويمكن أن يُرى ذلك بوضوح في البركات «الأبدية» للمؤمنين. فالمؤمنون يملكون:

- «الخلاص الأبدي» (العبرانيين 5: 9)
- «الفداء الأبدي» (العبرانيين 9: 12)
- «الميراث الأبدي» (العبرانيين 9: 15)
- «المجد الأبدي» (2 تيموثاوس 2: 10؛ 1 بطرس 5: 10)
- «البيت الأبدي» (2 كورنثوس 5: 1)
- «الملكوت الأبدي» (2 بطرس 1: 11).

ولا يخطر ببال أحد من أولاد الله أن هذه الأمور محدودة زمنياً. فهي بالذات في مقابل الأمور الزمنية والفانية (2 كورنثوس 4: 17، 18).

وفي مقابل بركات المؤمنين يقف نصيب غير المؤمنين:

- «العذاب الأبدي» (متى 25: 46)
- «النار الأبدية» (متى 18: 8؛ 25: 41؛ يهوذا 7)
- «الدينونة الأبدية» (العبرانيين 6: 2)
- «الهلاك الأبدي» (2 تسالونيكي 1: 9).

فبركات المؤمنين وعقوبة الأشرار كِلتاها أبديتان على حدّ سواء، أي بلا نهاية، كما يُلخّص متى ذلك بإيجاز ووضوح: «فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (متى 25: 46).

وحجّة أخرى ضد العذاب الأبدي تقول إن الصفة «أبدي» لا تنطبق على وجود الخاطئ ومدة دينوته، بل يجب أن تُحصر في أثر الدينونة أو في عاقبتها فقط. فيكون الموت الثاني، الأبدي، حينئذٍ إفناء الأشرار. ولكن هل يمكن أصلاً أن يُتكلّم عن إفناء الإنسان؟ وهل يعني «الهلاك» انتهاء الوجود البشري؟

6.3.2 «الهلاك»

إذا فهم تعبیر «الهلاك» على أنه إفناء، أي نهاية الوجود البشري، فإن عقوبة جهنم لا تكون غير متناهية، بل متناهية. لكن هذا الرأي يتناقض مع الشواهد الكتابية التي سبق أن اقتبسناها. فإن كان الإنسان يُفنى حقاً، فكيف يصعد دخان عذابه وآلامه إلى أبد الآبدين (رؤيا 14: 11؛ 20: 10)؟ ولماذا يوجد عقاب النار الأبدية إن لم يعد هناك أحد «تشتعل» لأجله هذه النار (يهوذا 7)؟ ولماذا نار الدينونة لا تُطفأ (مرقس 9: 43)؟

هذه الأقوال الكتابية توضّح أن الهلاك لا يمكن أن يحمل معنى الإفناء. وهذا ما توضّحه أيضاً مواضع أخرى في العهد الجديد. ففي العهد اليوناني عدة كلمات للهلاك، أذكر منها هنا أهمها، وهي تُستخدم أيضاً للتعبير عن دينونة الأشرار في الأبدية.

الاسم «الهلاك» (apoleia)

ترد هذه الكلمة 19 مرة، وتُترجم بطرق مختلفة:

- «الإتلاف» أو «التبذير» (متى 26: 8؛ مرقس 14: 4)
- «التسليم» (أعمال الرسل 25: 16)
- «ابن الهلاك» (يوحنا 17: 12؛ 2 تسالونيكي 2: 3)
- «الهلاك» (متى 7: 13؛ رومية 9: 22؛ فيليبي 1: 28؛ 3: 19؛ 1 تيموثاوس 6: 9؛ العبرانيين 10: 39؛ 2 بطرس 2: 1؛ 3: 7؛ 3: 16؛ رؤيا 17: 8، 11)

الفعل «أهلك/هلك» (apollymai)

والأمر نفسه يصحّ على الفعل «هلك» (86 مرة في العهد الجديد):

- «هلاك» الأرض في الطوفان (2 بطرس 3: 6؛ قارن العبرانيين 1: 11)
- «يزول» (1 بطرس 1: 8 وغيرها)
- «يقتل» أو «يهلك» (متى 2: 13؛ 12: 24؛ 21: 41؛ 27: 26 وغيرها)
- «يهلك» بمعنى يموت (متى 5: 29، 30؛ 8: 26؛ 26: 52؛ يهوذا 11 وغيرها)
- «ضالّ» أو «هالك» في ما يتعلّق بالناس والحيوانات والأشياء (متى 10: 6؛ 15: 24؛ 16: 25؛ 18: 11، 14؛ 2 كورنثوس 2: 15؛ 2 تسالونيكي 2: 10؛ 2 يوحنا 8 وغيرها)
- «إهلاك» الجسد والنفس في جهنم (متى 10: 28)
- «تلف» زقاق الخمر (متى 9: 17)
- «أهلك» بمعنى أباد (يهوذا 5)

الاسم «الهلاك» (olethros)

ترد هذه الكلمة أربع مرات في العهد الجديد: 1 كورنثوس 5: 5؛ 1 تسالونيكي 5: 3؛ 2 تسالونيكي 1: 9؛ 1 تيموثاوس 6: 9.

في 2 تسالونيكي 1: 7-9 لدينا وصف مؤثّر لدينونة الرب عند ظهوره، وفي الوقت نفسه للدينونة الأبدية أيضاً: «وأيّاكم الذين تتضايقون راحةً معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب، مُعطيّاً نعمةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من [أو: بعيداً عن] وجه الرب ومن مجد قوته.»

6.3.3 ملخص

هذه المصطلحات أيضاً، مثل الحياة الأبدية، لها معان مختلفة. فقد تعني في مواضع قليلة إفناء شيء ما أو إزالة أناس عن الأرض. لكن الهلاك لا يعني أبداً إفناء الإنسان أو محوه. قد يعني فقدان الحياة الأرضية. لكن هذا ليس نهاية الوجود، بل مجرد انتقال إلى شكل آخر من الوجود.

الهلاك هو السقوط والخراب الأخلاقي، الذي ليس إفناءً، بل هو تدهور جذري لحالة ما. فالهلاك ليس أبداً فقدان الوجود، بل فقدان كل ما يعطي الوجود قيمة. وإن وضع المرء

في هذه الآيات كلمة «أفنى» أو «إفناء» بدلاً من «الهلاك»، فلا يتشوّه المعنى فحسب - بل تصوير الآيات أيضاً غير مفهومة على الإطلاق.

والهلاك الأبدي للأشرار يقوم في أنهم سيكونون مقطوعين عن الله إلى الأبد وعرضة للدينونة. فهم هالكون ويوجدون في الظلمة الخارجية (متى 8: 12؛ 22: 13؛ 25: 30؛ يهوذا 13)

أسئلة للتعمق

- كيف يمكن الردّ على الآراء الخاطئة القائلة إن ...
- غير المؤمنين أو نفوسهم سيفنّون؟
- عقوبتهم محدودة زمنياً؟

6.3.4 برّ الله وقداسته

يصعب على الفهم والشعور البشريين أن يتصوّرا وجود دينونة أبدية وعقاب للخطي لا ينقطع. لكن كثيراً ما لا يرى المرء إلا النهاية، دون أن ينتبه إلى الطريق الذي أدّى إليها. ولا يجوز أن يقودنا تصوّرنا الخاص. ففي هذه المسألة المصيرية بالذات يميل المرء إلى تقديم أفكاره الخاصة على كلمة الله. لكن كلمة الله هي المقياس الوحيد، الذي لا يسعنا إلا أن نخضع له باتّضاع في كل المسائل.

فلنتذكّر مرة أخرى أن الله لا يُسرّ بأن يدين الخطي: «لأنه لا يذلّ من قلبه ولا يُحزن بني الإنسان» (مراثي إرميا 3: 33). ولكن لماذا إذن توجد دينونة أبدية؟ الجواب: لأن الله ليس محبة فقط، بل هو نور أيضاً: إنه إله البرّ والقداسة المطلقين. فبرّ الله يطلب بدفع دين الخطية، أي بمعاقة الخطي. وقداسة الله لا تستطيع أن تتحمل الخطية، ولا بدّ أن تزيل وتأكل كل ما يرتبط بها (يشوع 24: 19).

يقول النبي إشعياء: «ويتعالى رب الجنود بالعدل، ويتقدّس الإله القدوس بالبر» (إشعياء 5: 16).

فمن ينكر الدينونة الأبدية، فإنه بذلك يضع طبيعة الله نفسها موضع التساؤل. فالله لا يتغيّر في طبيعته، ولا يتخلّى أبداً عن برّه وقداسته. وإلى جانب الاستهانة بعدم تغيّر الله، يستهين المرء أيضاً بطبيعة الخطية وخطورتها. فالخطية هي سبب الدينونة الأبدية. وما هي الخطية في

عيني الله؟ الخطية ليست ضعفاً ولا هفوة بسيطة؛ «الخطية هي التعدي» [حرفياً: انعدام الناموس] (1 يوحنا 3: 4). وانعدام الناموس ليس مجرد تعدّ على وصية، بل هو رفض كل ناموس إلهي، أي الإرادة الذاتية وإنكار سلطان الله. وهذا في النهاية فوضى، أي ازدياء بحق الخالق في خلايقه. فالخطية عداوة لله وتمرد عليه.

والخطية لا تظهر بالضرورة في عداوة علنية لله، بل تتجلى في أشكال كثيرة. فبالخطية تُهان عظمة الله وكرامته. ولذلك لن يترك الله الخطية بلا عقاب. فهو سيستردّ كرامته ويستوفي مطالب قداسته. وأولاد الله يتعاملون مع الإله نفسه، لكن مطالب الله منهم قد استوفاه ابن الله على الصليب.

وحق شعورنا نحن بوصفنا أولاد الله متأثر مع الأسف بالخطية ومُعتم بها. فقد كمّا نحن أنفسنا بالطبيعة خطاة. ولذلك لسنا محايدين في حكمنا¹⁴⁷، ولا نستطيع أن نكيّف غضب الله على الخطية بحسب مقياسنا. فما هو تصوّرنا لشعور الله تجاه الخطية؟ هل نريد أن نملي عليه أنه لا يجوز له أن يعاقب الخاطئ على خطيته عقاباً أبدياً؟ إنّ كيفية تعامل الله مع الخاطئ هي شأن الله وحده لا غير. وهو لا يحتاج أبداً إلى تبرير لما يفعله، ومع ذلك يشرح لنا هذه الأمور في كلمته.

والدينونة الأبدية لا تضع محبة الله موضع التساؤل. فقد عمل كل شيء وبرهن أن السماء والمجد الأبدى مفتوحان لكل إنسان. ولذلك فإن الله القدوس البار¹⁴⁸ ليس ظالماً حين يدين الخاطئ إلى الأبد. والله سيتمجد في هذا أيضاً. فالله معترّ في القداسة (الخروج 15: 11)!

يقول الرسول بولس: «ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً، كما هو مكتوب: «لكي تبرّر في كلامك، وتغلب متى حوكت». ولكن إن كان إثماً يبيّن برّ الله، فإذا نقول؟ أعلّ الله الذي يجلب الغضب ظالم؟» (رومية 3: 4، 5).

147. إن سعي الروح القدس الدائم هو أن نفهم ما هي الخطية، لكي نبغضها ونشعر تجاهها كما يشعر الله تجاهها (قارن 1 يوحنا 1: 5-2).

148. رؤيا 16: 5؛ المزمير 47: 9؛ 119: 137؛ إشعيا 6: 3.

6.3.5 صليب الجلجثة

وإذ قد بلغنا الآن نهاية هذا الكتاب، فلنلقِ نظرة، تحت وقع الدينونة الرهيبة التي تنتظر الخاطئ، على أهمّ ساعات تاريخ البشرية.

لقد تبين أن الله لا يتخلّى أبداً عن برّه وقداسته لصالح محبته ونعمته. وصليب الجلجثة يقدّم لنا أقوى برهان على ذلك. فالصليب يذكّرنا بقداسة الله وبرّه، اللذين لم يستثنيا حتى ابن الله، حين بذل نفسه لأجل خطايانا: عمل كامل كمالاً إلهياً، أتمّه شخص إلهي، لكي يحرّرنا من دينونة غير متناهية.

فابن الله، الذي هو بلا خطية، حمل الدينونة نيابةً عنا. لقد واجه الله القدوس بخطيتنا، فعاقبه الله عليها على الصليب. لقد حمل خطايانا في جسده على الخشبة (1 بطرس 2: 24)، وجعل خطيةً عوضاً عنا (2 كورنثوس 5: 21)، وصار لعنةً لأجلنا على الخشبة (غلاطية 3: 13).

ويعبر مارك تابرنو (Marc Tapernoux) عن ذلك تعبيراً صائباً: «لقد حدث هذا لكي يُكفّر عن الخطية ويُستوفى ما يطالب به برّ الله وقداسته ومجده، ولكي يستطيع الله من جهة أخرى أن يعفو عن الخطاة. إن عظمة هذه الذبيحة [العبرانيين 10: 1-18]، والقيمة غير المتناهية للذي [متى 3: 17؛ 17: 5] كفّر عن الذنب [1 يوحنا 2: 2؛ 4: 10]، وثقل الدينونة التي أصابته [متى 27: 46؛ المزمور 22: 42؛ 69]، تجعلنا نفهم ثقل الخطية التي كان لا بد من التكفير عنها، ومدى الهلاك الذي أوقعت الإنسان فيه: إنه هلاك أبدي»¹⁴⁹.

ومن يقول إن العقوبة محدودة زمنياً، فإنه يزعم بذلك أن الخطية ليست في عيني الله خطيرة إلى حدّ أن تستوجب عقوبة أبدية. ولكن إن كانت الخطية بهذه البساطة، فلماذا دان الله ابنه نفسه بهذه الطريقة الرهيبة على الصليب؟ ولماذا تركه هناك في ساعات الظلمة الثلاث؟ ولماذا ضربه ضرباً مروّعاً كهذا (إشعياء 53؛ زكريا 13: 7)؟

هل كان هذا العمل المروّع ضرورياً لو لم يكن علينا إلا أن نتحرّر من قدر معيّن من الآلام الزمنية؟ كلا بالتأكيد. فهو لم يحرّرنا من قدر من الآلام المحدودة زمنياً، بل من غضب

149. Marc Tapernoux، Das ewige Gericht، Zürich (Beröa-Verlag)، 1962، ص. 5.

الله القدوس، الذي كان رهيباً إلى حدّ أن ابن الله نفسه لم يُعَفّ منه (رومية 5: 8-10؛ 8: 32).

فمن يزعم أن الخاطئ الهالك لن يُعاقب إلى الأبد، بل سيفنى يوماً ما، فإنه يستخفّ بآلام ابن الله! هذه هي العقابة السيئة التي تنتج حتماً من هذا الرأي. فلو كان الأمر لا يتعلق إلا بتحريرنا من عذاب عابر، لما كان من الضروري أن يأتي ابن الله إلينا ويقدم نفسه ذبيحةً لأجلنا. ولكن لأن غضب الله والدينونة أبديان، لم يكن يستطيع أن يحملهما عوضاً عنا ويحررنا منهما إلا شخص إلهي.

ومن ينكر العذاب الأبدي، فإن العواقب تبلغ من البعد حدّاً يجعله يمسّ حتى عمل الفداء الذي عمله يسوع المسيح ويحطّ من شأنه. ليحفظنا الله من أن نتقصّ بأي شكل من القيمة العظيمة غير المتناهية للذبيحة العظيمة عظمة إلهية! فلنتمسك بأن ابن الله قد حمل هناك على نفسه، بكامل مداها، العقوبة التي كانت ستصيبنا إلى الأبد.

هذا هو أعظم برهان على محبة الله غير المتناهية، وفي الوقت نفسه على قداسة الله التي لا تتغير.

هي الرحمةُ الأبدية،
تفوق كلَّ فكرٍ وعقلٍ،
رحمةٌ من بذراعِ محبةٍ مفتوحةٍ
يخني نحو الخاطئ ويقبلُ،
يحررنا من لعنة وموت،
ويقودنا إلى مجد يسوع في العُلَى.

ما شاء الله أن نهلك،
بل شاء لنا العونَ والخلاصَ،
لذا أتى الابنُ إلى الأرضِ،
ثم دخل السماء من بعدُ.
فمن عرش النعمة يأتينا الآن
ملءُ النعمة بالابن.

يا للنعمة التي كلّ الخطايا
بدم المسيح الآن تحو،
وتجعل الكرازة في كل مكان
بالغفران والسلام لكل إنسان.
انخلاص الأبدى الآن معد،
يا لزمن النعمة العجيب!

7 ملحق

7.1 ماذا يعلّم الكتاب المقدس عن الشيول والهاديس؟

إجابة عن أسئلة في Bible Treasury، المجلد 9 N، الصفحة 79

أسئلة

هل يدلّ التعبير «هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (متى 12: 40) على أكثر من القبر، والتعبير «أنه نزل أيضاً إلى أقسام الأرض السفلى» (أفسس 4: 9) على أكثر من الموت والقبر؟

هل يتفق مع الكتاب المقدس أن نقول إن الشيول أو الهاديس (بما في ذلك حضن إبراهيم والفردوس) تحت الأرض، وإن الرب يسوع نزل إلى هناك وأخذ بعضهم معه إلى العلاء؟ أم كان الفردوس أو حضن إبراهيم في السماء في كل حين، ولم يكن قط تحت الأرض، حتى في زمن العهد القديم؟

ما معنى التعبير «النزول إلى الشيول»؟

هل «الهاوية» شيء آخر غير «الهاديس»؟

هل يمكن أن تُطبّق كلمتا الشيول أو الهاديس على السماء، التي هي جزء من غير المنظور؟

J.C.B.

جواب

التعبير «الشيول» في العهد القديم يرد 65 مرة، ويُترجم في «Authorised Version» 31 مرة بـ«القبر»، و3 مرات بـ«الهاوية»، و31 مرة بـ«جهنم». وهذا يُظهر أن الكلمة قد تحمل معاني مختلفة. والكلمة نفسها تُرجمت في الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم) 31 مرة بـ«الهاديس»، ومرتين بـ«الموت» (thanatos) (2 صموئيل 22: 6؛ الأمثال 23: 14)، ولم تُترجم إطلاقاً في موضعين (أيوب 24: 19؛ حزقيال 32: 21)، لأن اللغة اليونانية لا تعرف كلمة تستطيع أن تؤدّي المعنى في هذين الموضعين.

ففي المواضع التالية - على سبيل المثال لا الحصر - التكوين 37: 35؛ 42: 38؛ 44: 29، 31؛ العدد 16: 30، 31؛ 1 الملوك 2: 6، 9؛ المزامير 49: 15؛ 141: 7، لا تعني «الشيول» إلا «القبر»، وهكذا تُرجمت أيضاً في الطبعة الإنجليزية، باستثناء العدد 16، حيث وردت «الهاوية»، بينما يدلّ تعبير «الشيول» في جميع المواضع الأخرى على مكان الأرواح المنطلقة. فالقبر يُستقبل الجسد الذي لا حياة فيه. وخلاصة القول إن تعبير «الشيول» في العهد القديم يُستعمل للقبر وكذلك لمكان إقامة الأرواح المنطلقة.

وحيث ننتقل الآن إلى العهد الجديد، يختفي هذا المعنى المزدوج، لأن الحياة وعدم الفساد قد أنيرا بواسطة الإنجيل. فكلمة «الهاديس»، التي هي في الأصل الترجمة اليونانية للكلمة العبرية «الشيول»، لا تُستعمل في العهد الجديد إلا لعالم الأرواح المنطلقة، تماماً كما أن كلمتي «الموت» و«القبر» (رؤيا 20) لا تتعلّقان إلا بالجسد، لا بالنفس والروح. فالجسد هو الذي يموت، بينما ترجع الروح إلى الله الذي أعطاها. والروح والنفس لا تكفّان أبداً عن الوجود. والهاديس لا يستقبل إلا الأموات غير المؤمنين. وحين يدعى المؤمن إلى الوطن، فإنه لا يذهب إلى الهاديس، بل إلى الفردوس.

ويرى البعض أن الهاديس يستقبل المؤمنين وغير المؤمنين على حدّ سواء عند الموت، وأن هاتين الفئتين تفصل بينهما مع ذلك هوة عظيمة. لكن الكتاب المقدس لا يتكلّم في أي موضع عن ذهاب المؤمنين إلى الهاديس، بل بالأحرى عن أنهم بعيدون عنه (لوقا 16: 23). ولو كانت الآية 10 من المزمور 16، وهي آية تُقتبس مرتين في أعمال الرسل 2، أساساً للتعليم بأن الرب نزل بعد موته إلى الشيول أو الهاديس ولم تترك نفسه هناك - مع أننا نعلم أنه ذهب إلى الفردوس، جنة النعيم لا الظلمة، حيث كان أيضاً اللصّ على الصليب -، لكان لا بدّ أن يكون هناك قسمان، للمؤمنين ولغير المؤمنين. لكن هذا الخطأ نشأ بسبب ترجمة خاطئة لهذه الآية في الطبعة الإنجليزية. فهذه الآية تعبر عن هذا: «لن تترك نفسي إلى [لا: في] الشيول (أي لن تسلّمها إليه أو تحيلها إليه)». وهذه الترجمة الصحيحة يؤيّدّها «النص المصحح» لأعمال الرسل 2: 27، 31، الذي يعترف به لانمان (Lachmann) وتيشندورف (Tischendorf) وتريجيلز (Tregelles) ووستكوت (Westcott) وهورت (Hort) ومترجمون آخرون.

ولا تُستعمل كلمة «الهاديس» في العهد الجديد أبداً بمعنى إيجابي. فلو كان في الهاديس قسم للمؤمنين وقسم لغير المؤمنين، فلماذا نقرأ عن الهاديس بلا استثناء في ارتباطه بغير المؤمنين، ولا نجد إشارة واحدة إلى أن مؤمناً يقيم هناك؟

والمقصود بالتعبيرين «في قلب» الأرض أو «أقسام الأرض السفلى» هو القبر. فربنا لم يمت فقط، بل دُفن أيضاً وأقيم في اليوم الثالث. ويونان رمز لذلك. والمزمور 139: 15 يمكن أن يحفظنا من تفسير حرفي مبالغ فيه لهذه الكلمات. فلا شك أن المقصود هنا بأعماق الأرض شيء غير منظور أو خفي. وقد ضُبط القبر بحراس بعد أن خُتم بحجر (متى 27: 66). ولم تستطع أي عين بشرية أن تنظر إلى الموضع المقدس الذي كان فيه جسد يسوع.

وقبل مجيء المسيح كان التعبير «في حضن إبراهيم» عند اليهودي التقّي خلاصة السعادة، لأنه كان يعلم أن إبراهيم دُعي «خليل الله». أما أن يكون المرء مع المسيح، فهذا هو الرجاء السعيد للمسيحي. وهذا في الأعلى، في فردوس الله. والفردوس ليس مرادفاً للهاديس. إبراهيم لم يكن في الهاديس، بل النفس المعذبة التي كانت في الهاديس رآته «من بعيد». ومن اختراع الإنسان أن الرب كان في الهاديس وأنه حرّر منه أحداً. فالرب لم يذهب إلى الهاديس، بل إلى الفردوس. والكتاب المقدس لا يقدم إشارة واحدة إلى تحرير من الهاديس. والمواضع القضاة 5: 12؛ المزامير 68: 18؛ أفسس 4: 8 لا تتكلم عن تحرير أسرى، بل عن أسرى قوى شريرة، تُسمى هنا السبي. فالمسيح جرد الرياسات والسلطين وأشهرهم جهاراً، ظافراً بهم (كولوسي 2: 15). لقد سبي سبياً. وهذا لا يتعلق بإطلاق أسرى من جهنم، كما يفسره البعض.

و«النزول إلى الشبول» يتعلق بالقبر أو الحفرة. وكلاهما تحت الأرض.

والهاوية (رؤيا 20) مكان لا يأتي إليه أي إنسان، بل يُقيّد فيه الشيطان ألف سنة، قبل أن يُطرح نهائياً إلى كل الأبدية في بحيرة النار. أما الهاديس فيستقبل نفس وروح الذين ماتوا غير متصالحين مع الله، أي الأموات غير المؤمنين، الذين سكنت روحم يوماً في الجسد المائت. فالنفس والروح تذهبان إلى الهاديس، بينما يجد الجسد، المجهول من تراب، مكاناً في القبر (في البحر أو في البر)، وينتظر القيامة للدينونة. وحين يُقام الإنسان - ولا تكون السماء والأرض حينئذ موجودتين بعد -، لا يُطرح في الهاديس (الذي لا يكون

موجوداً بعد)، بل في بحيرة النار، التي لم تُعدّ للناس، بل لإبليس وملائكته (متى 25: 41). أما المؤمن الذي رقد، فلا يُقام للدينونة، بل للمجد (فيلي 3: 20، 21). ولا يمكن أن تُطبّق كلمتا «الشيول» أو «الهاديس» على السماء، لأنهما في مقابلها.

ملاحظة المترجم

ترد كلمة الهاديس في العهد الجديد في المواضع التالية:

متى 11: 23 (لوقا 10: 15): في هذين الموضعين يقف الهاديس في مقابل واضح للسماء. فالرب يتكلّم عن أن كفرناحوم ستُهبّط إلى الهاديس. والمعنى السلبي واضح.

متى 16: 18: هنا يتكلّم الرب عن أن الذي صار بالولادة الجديدة والإيمان حجراً حياً في بيت الله، لا يمكن أن تقوى عليه أبواب الهاديس، أي إنه لن يأتي أبداً إلى الهاديس. وهذا الموضع أيضاً سلبي بوضوح، إذ يقول الرب ما لا يمكن أن يحدث.

لوقا 16: 23: الغني يرفع عينيه في الهاديس، وهو هناك في العذاب. ولا يُقال إن لعازر كان أيضاً في الهاديس. بل على العكس يرى الرجل الغني لعازر في حضن إبراهيم. فحزن إبراهيم أو الفردوس ليس جزءاً من الهاديس، بل هما مكانان متميزان بوضوح، ومن المستحيل الانتقال من أحدهما إلى الآخر. «وفوق هذا كله، بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أُثبتت».

أعمال الرسل 2: 27، 31: ترجمة الاقتباس من المزامير 16: 10 في أعمال الرسل 2: 27، 31 ليست صحيحة في رأيي. ففي الترجمة السبعينية يرد حرفياً *enkataleiphes eis haden* («تترك إلى الهاديس»). والصيغة الأساسية للفعل هي *enkataleipo*، وهي تُترجم في مواضع أخرى على نحو أفضل بـ «يُسلم إلى» (أو: «يترك»). وهذه الكلمة *enkataleipo* ترد في العهد الجديد، فضلاً عن أعمال الرسل 2: 27، 31، ثماني مرات أخرى، وقد تُرجمت 6 مرات بـ «ترك» (متى 27: 46؛ مرقس 15: 34؛ 2 كورنثوس 4: 9؛ 2 تيموثاوس 4: 10، 16؛ العبرانيين 13: 5)، ومرة بـ «أبقى» (رومية 9: 29)، ومرة بـ «أهمل» أو «ترك» (العبرانيين 10: 25). والحاسم هو أنه لا يرد هنا *en haden* (بحالة الجرّ أو المفعول فيه Dativ، كما في لوقا 16: 23)، بل *eis haden* («إلى الهاديس»، بحالة النصب Akkusativ). فحرف الجرّ *eis* («إلى») لا يأتي إلا مع حالة النصب. وحالة النصب تشير

في اليونانية كما في الألمانية إلى الحركة أو الاتجاه. ولو ورد في النص الأصلي *en haben*،
 لا يمكن أن تُترجم *enkataleiphes* بـ «ترك خلفك (في)». أما التعبير *eis haben*
 فيستبعد هذا الاحتمال. فليست المسألة هنا مسألة قراءات مختلفة، بل هي بوضوح مسألة
 ترجمة.¹⁵⁰ (قارن الملاحظات المفصلة لوليم كيلي (W. Kelly) في كتابه *An Exposition*
The Preaching to the Spirits in Prison, of the Acts of the Apostles).¹⁵¹

وحرف الجر *eis* يرد مثلاً في متى 18: 20: «مجتمعين باسمي (حرفياً: إلى اسمي)»؛ ثم في
 ارتباطه بالعمودية مثلاً رومية 6: 3، 4؛ 1 كورنثوس 10: 2؛ إنلخ (قارن المقدمة في ترجمة
 إيلبرفلد (Elberfelder) (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) بشأن المعمودية).

وبطرس يقتبس في أعمال الرسل 2 من المزامير 16: 10 لهذا السبب بالذات، لكي يبرهن
 أن الله أقام الذي سُمّر على الصليب وقُتل بأيدي أئمة. فلم يكن ممكناً أن يبقى الرب في
 الموت وأن يمسيك منه. ويريد بطرس بهذا الاقتباس في الآيات 25-27 أن يقول إن
 الرب لم يكن قط في الهاديس. فلم يكن الله ليسمح بأن تكون نفس الرب في الهاديس في
 الوقت الذي كان فيه جسده في القبر. وكما أن جسده لم يفسداً، كذلك لم تُحل نفسه
 إلى الهاديس. وكان الأئمة سيفعلون ذلك لو كان في استطاعتهم. لكن الله فكر في ذلك
 على نحو آخر، لأن الرب يسوع كان له كل مسرة الله. وهذا ما برهنه الله بعد ذلك بأوضح
 صورة، إذ أقام الرب. فهل يوجد موضع يوضح الطابع السليبي للهاديس أكثر من هذا؟

150. غير أن هذا الرأي يختلف عن رأي ج. ن. داربي (J.N. Darby)، الذي ترجم هذه المواضع ترجمة مختلفة (قارن مقدمة ترجمة
 إيلبرفلد عن الهاديس وجهنم، وهي من قلم J.N. Darby، Coll. Writings، المجلد 13).

151. W. Kelly، *The Preaching to the Spirits in Prison*، 1 Peter III. 18-20، Sunbury (Belivers Bookshelf).
 133، 134: «الكلمة العربية في المزامير 16: 10 لا تعني «في» الشبول، بل «إلى» الشبول، وهي لا تتضمن نزولاً، كما لا يتضمن أعمال
 الرسل 2: 27 في النص التقدي (eis haben) عند ألفورد (Alford) ولاحمان (Lachmann) وتيشندورف (Tischendorf)
 وترجيلز (Tregelles) ووردزورث (Wordsworth) ووستكوت (Westcott) وهورت (Hort). ولذلك تُترجم Revised Version
 العبرية ترجمة صحيحة: «لن تترك نفسي إلى الشبول [لن تسلمها إلى الشبول]» إنلخ، مع أنها تُترجم اليونانية خطأ بـ «إلى» بدلاً من «إلى». فحين
 مات ربنا استودع روحه في يدي أبيه، الذي هو بالتاكيد في السماء، واللص النائب، مهما تأخرت توبته، كان في ذلك اليوم بعينه معه في
 الفردوس (لوقا 23). وقد رأينا الآن أن الفردوس، بدلاً من أن يكون في الهاديس، هو في السماء، وهو كما قيل أبجد أجزائها. فأحد
 الرسل يربطه بـ «السماء الثالثة» (2 كورنثوس 12: 3، 4)؛ وربنا يقول بواسطة رسول آخر إنه سيعطي من يغلب (عند التمجيد) أن يأكل
 من شجرة الحياة، وبالتأكيد ليس في الهاديس (رؤيا 2: 7). ففي العهد القديم ظل الهاديس، مثل الموت والحياة وعدم الفساد، غير محدد؛
 لكن هذه الأمور، وأكثر منها بكثير، قد أنثرت بواسطة الإنجيل. ولذلك يصف ربنا في المثل الأخير من لوقا 16 الرجل الفخني، الذي لم
 يكن له إيمان ولا محبة، وهو يرفع عينيه بعد الموت في الهاديس - أما لعازر المؤمن فيصفه مغبوطاً عند إبراهيم الأمين. وقد أثبتت هوة
 عظيمة كهذه لكي تمنع العبور من كلا الجانبين. لقد كان الهاديس فعلاً «من بعيد»، والإقامة هناك تعني أن يكون المرء «في العذاب».
 ولا تقال كلمة واحدة عن أن لعازر كان هناك؛ فقد كان في حضن إبراهيم».

رؤيا 1: 18: هنا نرى أن الرب له مفاتيح الموت والهاديس. والرب يُقدِّم لنا في هذه الآية بوصفه الديان، كما نراه أيضًا في رؤيا 20: 11-15، حيث يدين جميع الأموات. هناك يجب على الموت والهاديس أن يسلمًا جميع الأموات، لكي يُدانوا. فالشيطان لا يسلم الأموات طوعًا. لكن للرب السلطان الأخير على الموت والهاديس أيضًا.

رؤيا 6: 8: الهاديس يتبع الفرس الأخضر (الشاحب) الذي يجلس عليه الموت. وهذا الموضع مرتبط بالدينونات التي ستصيب الأرض بعد الاختطاف. فالذين يقتلهم الموت يستقبلهم الهاديس فورًا، وبطبيعة الحال نفس الأموات وروحهم فقط. أما اليهود الأمعاء الذين يموتون في أثناء هذا الزمن، فهم على العكس من ذلك تحت المذبح (الأصحاح 6: 9).

رؤيا 20: 13، 14: هنا يُطرح الموت والهاديس في بحيرة النار. فالموت والهاديس هما آخر ما يقف في مقابل الله، ولذلك يُطرحان في بحيرة النار. فهل يُعقل أن يحيل الله روح مؤمن ونفسه، وقد خلصنا من قبل، إلى مكان يقف في مقابله؟ هذا مستحيل! والموت أيضًا يقف في مقابل الله، لكنه بالنسبة إلى المؤمن الباب إلى غير المنظور. وإن لم يأت الرب قبل ذلك، فلا بد أن نجتاز نحن أيضًا الموت، لأن جسد الخطية لم يخلص بعد. لكن رجاءنا هو أن الرب يأتي، وأنه يأتي قريبًا، و«الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء» (فيلبي 3: 21).

فيرنر ميونخر (Werner Muecher)

7.2 جدول بالمصطلحات المختلفة

التسمية	الشواهد الكتابية	المعنى
65 مرة في العهد القديم؛ مثلًا التكوين أولاً القبر، أي اللحد في الأرض.		
الشيول	37: 35؛ 42: 38؛ 44: 29، 31؛ ثم أيضًا عالم الأموات، دون تمييز (بالعبرية)	
العدد 16: 30-33؛ 1 الملوك 2: 6، 9؛ بحسب مكان إقامة المؤمنين أو		
المزامير 49: 15؛ 141: 7		إلخ غير المؤمنين

متى 11: 23؛ 16: 18؛ لوقا
 الهاديس 10: 15؛ 16: 23؛ أعمال
 (باليونانية) الرسل 2: 27، 31؛ رؤيا 1:
 18؛ 6: 8؛ 20: 13، 14
 معنى سلمي

لوقا 23: 43؛ 2 كورنثوس
 الفردوس 12: 4؛ رؤيا 2: 7
 مكان المؤمنين الراقدين، في فرح وإع

حضن إبراهيم لوقا 16: 22، 23 تسمية أخرى للفردوس
 مكان إقامة الناس والشيطان وشياطينه،
 الذين سيقاسون بلا انقطاع إلى كل
 بحيرة النار - رؤيا 19: 20؛ 20: 14، الأبدية عذابات الدينونة. وحتى اليوم لا
 البحيرة المتقدمة 15: 21؛ 8 (قارن «العذاب يوجد أحد في بحيرة النار. وأول من
 بالنار والكبريت الأبدية» في متى 25: 46) ينفي إليها الوحش والنبي الكذاب، ثم
 الشيطان بعد ذلك بألف سنة؛ ومعه
 حينئذ جميع غير المؤمنين.

متى 5: 22، 29، 30؛ 10:
 جهنم (باليونانية) 28؛ 18: 9؛ 23: 15، 33؛
 «جَهَنَّا» مرقس 9: 43، 45، 47؛
 (gehenna) لوقا 12: 5؛ يعقوب 3: 6
 أيوب 26: 6؛ 28: 22؛ 31:
 12؛ المزامير 88: 11؛

الأمثال 15: 11؛ 27: 20؛ الهاوية هي من بين أمور أخرى مكان
 الهاوية (بالعبرية) لوقا 8: 31؛ رومية 10: 7؛ 2 حفظ الملائكة الساقطين، الذين قيدهم
 (abbaddon) بطرس 2: 4؛ رؤيا 9: 1، الله إلى الدينونة النهائية.
 11؛ 11: 7؛ 17: 8؛ 20:
 1، 3

أكثر من 700 يميز الكتاب المقدس بين السماء الأولى (= سماء الغلاف
السماء مرة في الكتاب الجوي)، والسماء الثانية (الكون، الفضاء بين النجوم)،
والسماء الثالثة، حيث عرش الله والفردوس (2 كورنثوس
المقدس
(12)

بيت يوحنا 14: 2 سماء غير مخلوقة، سكنها أقانيم اللاهوت الثلاثة منذ الأزل،
الآب وسيدخلها جميع المؤمنين في جماعة الله (الكنيسة)

8 قائمة المراجع

- Ankerberg, J.، **Fakten über das Leben nach dem Tod**، Pfäffikon (Verlag
Mitternachtsruf) 2001
- Ankerberg, J.، **Fakten über Sterbeerlebnisse**، Pfäffikon (Verlag
Mitternachtsruf) 2001
- Bergmann, G.، **Leben nach dem Tod?**، Gladbeck 1960
- Brand, Reinhard، Godzik, Peter **Die gemeinsame christliche Hoffnung
über den Tod hinaus und ihre unterschiedliche Auslegung**، 1992
- Brinke, G. R.، **Jenseitiges und Zukünftiges**، Frutigen
- Brockhaus, R.، **Botschafter des Heils in Christo**، «Unsterblichkeit der
Seele, Seelenschlaf und Verdammnis»، 1919
- Bouter, H.، **Onnaspeurlijke Rijkdom, Bijbelstudies over het Paradijs
van God**، Gouda، 2003
- Cremer, H.، **Jenseits des Grabes**، 1886، Gießen (TVG) 1987
- Darby, J. N.، **Die ewige Pein**، Neustadt (E.-P. Verlag)
- Fijnvandraat, J. G.، **Wiedergeboren – in Ewigkeit?**، Schwelm 1980
- Grant, F. W.، **Facts and Theories as to a future state**، North Carolina
1889
- Hallesby, O.، **Himmel, Tod und Hölle**، Wuppertal (Rudolf Brockhaus
Verlag)
- Hauke, Dr., Rainer، **Wo sind unsere Toten? Ein vernachlässigter
محاضرة – Aspekt der individuellen Eschatologie** (Habitationsvortrag

تأهيل للأستاذية)

- Heidler, F.، Die biblische Lehre von der Unsterblichkeit der Seele
(Beiträge zur systematischen Theologie)، Vandenhoeck & Ruprecht
Hole, F. B.، Das Feuer, das nicht erlischt، Hückeswagen (CSV) 1987
Ironside, H. A.، Death and afterwards، Neptune (Loizeaux Brothers)
1924
Jennings, F. C.، The Human Body, Its Source, History and Destiny،
Essex 1927
Lockyer, H.، Was geschieht nach dem Tod، Wetzlar (Verlag Hermann
Schulte) 1976
Lutzer, E. W.، Fünf Minuten nach dem Tod، Dillenburg (CVD) 1999
Ouweneel, W. J.، Das ewige Leben، Neustadt (E.-P. Verlag) 1980
Ouweneel, W. J.، Herz und Seele، Dillenburg (CVD) 1991
Ouweneel, W. J.، De leer van de mens، Buiten & Schipperheijn، 1986
Ouweneel, W. J.، Ende gut – alle(s) gut؟، Bielefeld (CLV) 1993
Pache, R.، Das Jenseits، Wuppertal (Verlag Sonne und Schild) 1957
Pfannmüller, G.، Tod, Jenseits und Unsterblichkeit
Pollock, A. J.، Eternal Life، London
Rawlings, M.، Zur Hölle und zurück، Hamburg (C. M. Fliß) 1996
Rienecker, F.، Das Schönste kommt noch I, II، Wuppertal (Verlag
Sonne und Schild) 1964
Rincke, H. W.، Vom Zustand nach dem Tode، Basel، 1885

Sterbeerlebnisse, Ufo, Anthroposophie، (تحرير) ،Schwengeler, B
Berneck، 1981

Steinmeister, A.، Auferstehung – Realität oder Illusion، Wuppertal
(Telos) 1989

Swihart, P. J.، Der Tod – wirklich anders?، Bad Liebenzell، 1979

Tapernoux, Marc، Das ewige Gericht، Zürich (Beröa Verlag) 1962

Zodhiates, S.، Leben nach dem Tod، Dillenburg (CVD) 1978

الكتب التالية تعرض الموقف المضاد كليًا أو جزئيًا

Cullmann, O.، Unsterblichkeit der Seele oder Auferstehung der Toten،
Stuttgart (Quell Verlag) 1986

Custance, A. C.، Journey out of time، A study of the interval between
death and resurection of the body، Ontario (Doorway Publication)

Le Seur, P.، Die Zukunft der Toten، Wuppertal (Aussaat Verlag) 1974

Jukes, A.، Der zweite Tod und die Wiederbringung aller Dinge، 1912
(1987)

Magner, J.، Zukunft ohne Tod، Hamburg (Saatkorn Verlag)

Petry, P.، Allaussöhnung, Tod und letzte Dinge، Pforzheim
(Konkordanter Verlag) 1986

Raiber, H.، Wir werden was wir sind (Chiron Verlag) 1986

Tobler, G.، Wann beginnt das ewige Leben، Zürich (Advent-Verlag)

Tod und Leben، Studien zur christlichen Anthropologie، Genf (Edition
Oikumene) 1840

Tomasi, M., Tod und Auferstehung, Himmel und Hölle, Zürich
(Advent Verlag)

Fragen an die Gemeinschaft der Siebenten-Tags-Adventisten, 1988 77

كتب مرجعية

Handreichungen aus dem Worte Gottes، مجلة شهرية 1938-1913،
Bielefeld (CLV)

Kommentar zum Neuen Testament aus Talmud und Midrasch، C. H.
Beck، München (Strack & Billerbeck)

Texte der Kirchenväter، München (Kösel Verlag) 1963

The Bible Treasury، edited by William Kelly 1856-1920، Winschoten
(H. L. Heijkoop Verlag)

The Collected Writings of John Nelson Darby، Winschoten، (H.L.
Heijkoop Verlag) Reprint 1972

المجلات

An Outline of Sound Words، W. C. Reid، Edingburgh

Bibel und Gemeinde، مجلة رابطة الكتاب المقدس (Bibelbund)

De Bode van het heil in Christus، Vassen (Uitgeverij H. P. Medema)

تفسير الكتاب المقدس

Best, E., Second Corinthians, A Bible Commentary for Teaching and
Preaching، Atlanta (John Knox Press)

de Boor, W., Der zweite Brief des Paulus an die Korinther، Wuppertal
(R. Brockhaus Verlag) 1972

Godet, F., Kommentar zu dem Evangelium des Lukas، TVG

- Godet, F.، Kommentar zum 1. Brief an die Korinther، TVG
- Grosheide, F.W.، Paulus eerste Brief aan de Kerk te Korinthe، Korte Verklaring der Heilige Schrift، Kampen
- Kelly, W.، Notes on the second Epistle of Paul the Apostle to the Corinthians with a new Translation، London
- ،McDonald, W.، 2 Corinthians (Emmaus Bible School) ، 1961
- Ouweneel, W. J.، Wij zien Jezus, Bijbelstudies over de Brief aan de Hebreëen
- Ouweneel, W. J.، De Openbaring van Jezus Christus, deel 1 en 2
- Rienecker, F. Lukas, Wuppertaler Studienbibel، Wuppertal (Brockhaus Verlag)
- Zahn, T.، Das Evangelium des Lukas، TVG

أدوات الدراسة

- Begriffslexikon zum Neuen Testament، TVG
- media C ، Bibleworkshop، کتاب مقدس حاسوبي (Computer-Bibel) ،
- Bromiley, G. W.، Theological Dictionary of the New Testament، Eerdmans
- Metzger, B. M.، A Textual Commentary on the Greek New Testament، London، New York (United Bible Societies) ، 1971
- Rienecker، Sprachlicher Schlüssel zum griechischen Neuen Testament
- Vine, W. E.، Expository Dictionary of New Testament Words، Fleming H. Revell
- Wigram, G.، Publishing Englishmans Greek Concordance

مؤلفات عامة

- Bruce, F. F.، *Zeitgeschichte des Neuen Testaments*، Wuppertal (TVG) 1986
- Gitt, W.، *Und die anderen Religionen?*، Bielefeld (CLV)
- Gitt, W.، *Schuf Gott durch Evolution?*، Bielefeld (CLV)
- Hunt, D.، *Whatever happened to heaven*، Harvest House Publishers، Eugene، 1988
- Josephus, F.، *Geschichte des Jüdischen Krieges*، Wiesbaden (Fourier Verlag)
- Josephus, F.، *Jüdische Altertümer*، Wiesbaden (Fourier Verlag)
- Scott, W.، *Doctrinal Summaries*، Glasgow (G. T. Publications) 1982
- Walvoord, J.، *The Prophecy Knowledge Handbook*، Wheaton (Victor Books) 1990

الحواشي

غلاف ورقي

W. & M. Deppe

Auswege oder Wege ins Aus?

(«مخارج أم طرق إلى الضياع؟»)

320 صفحة

ISBN 3-89397-290-0

تحظى جماعات المعلمين الروحيين (الغورو) والبدع وعبادات الأسرار والجماعات النفسية في العالم الغربي بشعبية متزايدة وبأعداد أعضاء آخذة في الارتفاع.

وفضلاً عن ذلك، تغمرنا منذ الثمانينيات موجة من الباطنية (الإيزوتيريك) لا يمكن الإحاطة بها.

وفي الوقت نفسه تقريباً يحدث ما ظلّ قرونًا طويلة أمرًا لا يُتصوّر - إذ تبدأ في كل أنحاء العالم حوارات بين الأديان العالمية الكبرى!

والنتيجة أن المسيحيين يواجهون أكثر فأكثر أناسًا خلطوا الفكر المسيحي بعناصر من أديان أخرى، وأنهم مدعوون أكثر من أي وقت مضى إلى مواجهة التيارات المتنوعة في عصرنا.

هذا الكتاب أداة توجيه جيدة في متاهة التنوع الديني!

هل الأموات أحياء – أم أن الموت نهاية كل وجود؟ هل يقع الإنسان في نوم للنفس – أم أن له وعيًا فيما وراء الموت؟ أسئلة تشغل كل إنسان. والهدف من هذا الكتاب أن يجيب عن هذه الأسئلة، وأن يمنح الرجاء أيضًا، وتشكّل مسألة خلود النفس موضوعه المحوري. أموات أحياء – الكتاب المقدس يحلّ هذه المفارقة: الموت ليس النهاية، بل بداية حياة لا تنتهي أبدًا. وصدق هذا القول تضمنه ...